ظهورات لوس

(فرنسا ١٦٦٤)

وظهورات «غيتشڤاود»

(بولونيا ١٨٧٧)

طبعة أولى

٢٠١٢

❊

منشورات المكتبة البولسية

جونيه – شارع القدّيس بولس – ص.ب : ١٢٥

هاتف : ٩١١٥٦١ – ٠٩/٩٣٣٠٥٢ – فاكس : ٠٩/٦٤٣٨٨٦

بيروت – شارع لبنان – هاتف : ٠١/٤٤٨٨٠٦ – تلفاكس : ٠١/٤٤٤٩٧٣

زحلة – شارع سيّدة النجاة – مُقابل مُطرانيّة الروم الملكيّين الكاثوليك – تلفاكس : ٠٨/٨١٢٨٠٧

سلسلة ظهورات
٨

ظهورات لوس

(فرنسا ١٦٦٤)

وظهورات «غيتشڤاود»

(بولونيا ١٨٧٧)

أديب مصلح

٢٠١٢

ظهورات لوس

(فرنسا ١٦٦٤)

طفولةٌ محفوفةٌ بالمخاطر، يغمرها حضور اللّه

يستند تاريخ ظهورات «لوس» على شهادات شهود عيانٍ موثوقين، منهم قاضٍ، ومنهم كهنةٌ لاهوتيّون، مشهودٌ لهم بالاستقامة المطلقة، والدقّة حتّى الصرامة.

في ١٦ أو١٧ أَيلول من عام ١٦٤٧، وُلدت، في قريةٍ فرنسيّةٍ فقيرةٍ، جاثمةٍ على سفحٍ من سفوح جبال الأَلپ، تدعى «سانت إِيتيين داڤنسون» (Saint Etienne d'Avançon)، طفلةٌ أُطلق عليها اسم «بينوات رانكوريل» (Benoîte RENCUREL). إِنّ اسم بينوات يعني «المباركة»، ولكأنّه كان نبوءةً بما ستُحبى به تلك المولودة من بركاتٍ استثنائيّةٍ، في حياتها.

وكانت القرية التي رأت فيها النور، تؤوي بضع مئاتٍ من

السكّان، وأَكثر منها قليلاً من رؤوس الماشية. طقسها جبليٌّ، جافٌّ، وباردٌ. وتنمو في تلالها بعض أَشجار صنوبرٍ وزيتونٍ، وفي منبسطاتها القليل من الحبوب وكروم العنب.

وُلدت «بينوات» فقيرةً، في قريةٍ فقيرةٍ. بيت أُسرتها مؤلّفٌ من قبوٍ، وإِسطبلٍ، ومن غرفةٍ في الطبقة العليا. أَمّا قوام معيشتها فالخبز، ومنتجات الحليب، يُضاف إليها، صيفًا، الزهيد من الخضار والفواكه.

لم يكن مردود الأَرض الضئيل هو سبب الفقر السائد، الوحيد، بل كان يتضافر معه، ابتزاز المتنفّذين، وسلب الجنود واللصوص.

عام **١٦٥٤** توفّي والد ربّ الأسرة، «غيّوم»، تاركًا أَرملته وبناته الثلاث في وضعٍ مادّيٍّ حرجٍ. كانت «بينوات» قد بلغت السابعة، فكُلِّفت برعاية أغنام الأُسرة وماعزها، في مرعًى غير بعيدٍ عن القرية، حيث يتدفّق نبع ماءٍ، ويكثر الكلأ. كانت الصلوات تؤنس وحدتها، إذ كانت قد تعلّمت

صلوات «أبانا» و«السلام» وقانون الإيمان، فشغلت قسطًا كبيرًا من وقتها في محاورة الربّ، وتلاوة المسبحة. كانت تمتلك ذلك الإيمان البسيط الواثق، الذي يزحزح الجبال. فقد اعتلّت، ذات يومٍ، إحدى نساء القرية، فطلبت «بينوات» من أترابها، مواكبتها إلى الكنيسة حيث تلَوْنَ المسبحة من أجل شفائها، وإثر ذلك، قصدت «بينوات» منزل المرأة العليلة لتتبيّن نتيجة الصلاة، فإذا بها قد أتت ثمارها المرجوّة، ثمار برءٍ وعافيةٍ.

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ ظواهر فائقة الطبيعة باكرةً قد لوّنت طفولة «بينوات»، التي كانت تستشعر الأخطار المحدقة، وتحذّر ذويها منها. كانت تستمدّ القوّة، من نبع كلّ قوّةٍ، فتمتلئ جرأةً، وتشدّ من عزيمة والدتها، التي كانت تتخبّط وسط ألف شدّةٍ ومحنةٍ، واعدةً إيّاها بعون الله وأمّه. وكانت تجود على المحتاجين من مؤونة ذويها الأساسيّة، غير هيّابةٍ من أيّة ملامةٍ. فقد دعت، ذات يومٍ، إلى منزل ذويها، أترابًا لها جائعاتٍ، أتاحت لهنّ تناول قشرةٍ من مؤونة الجبن، آملةً

أن تنشأ عليها قشرةٌ جديدةٌ قبل عودة والدتها من الحقل. فكان أن دفعت، ثمن سخائها، ضرباتٍ موجعةً من أمّها.

وقد نما لديها، منذ طفولتها الأُولى، روح الصلاة والمحبّة، واستشفاف كوامن القلوب. ونمّت لديها الوحدةُ التي واكبت رعايتها لقطيع أسرتها الصغير، الكلفَ بالصمت والتأمّل الخاشع، بمنأًى عن أيّة نزعةٍ إلى الكآبة والتوحّش.

عام ١٦٥٧، وكانت في العاشرة، حجّت، برفقة أمّها، إلى مزار القدّيسة «سيكست»، الذي يستلزم بلوغه مسيرة أربع ساعات. وعاد الحجيج عبر نهرٍ، في قاربٍ صغيرٍ، مربوطٍ بسلكٍ حديديٍّ، ممدودٍ على ضفّتي النهر، انقطع بغتةً، فانطلق القارب هائمًا بين الصخور الحادّة. وقد برهنت «بينوات»، في تلك اللحظات المحفوفة بالمخاطر، عن شجاعةٍ منقطعة المثيل، أسهمت في إنقاذ جماعة الحجّاج، إذ حرَّضتهم على الصلاة بثقةٍ، والتماس رحمة الله. وبعد أن اجتاز القارب كيلومتراتٍ حافلةً بالرعدة، وامتلأ ماءً، ارتطم بسلامٍ، برمال شاطئ قريةٍ، هُرع سكّانها إلى نجدتهم.

وبعد سنةٍ، اقتادت «بينوات»، وشقيقتها الصغرى، حمارًا مثقلاً بأكياس الحنطة، لطحنها في مطحنةٍ بعيدةٍ. وكان الوقت شتاءً. وفي طريق عودتهما، بعد الظهر، انزلق الحمار فوق الجليد، ولم يعُد يقوى على النهوض. ولم يكن بوسع الفتاتين مساعدته على ذلك. وأخذ الظلام يخيّم. فاستنجدت «بينوات»، في سرّها، بالسماء، وجاءت النجدة بشكل سيّدةٍ مجهولةٍ أنهضت الدابّة، ونصحت الفتاتين بقضاء الليل في قريةٍ قريبةٍ، قبل مواصلة مشوارهما. وانطلق الحمار، تلقائيًّا، إلى العنوان الذي أشارت إليه السيّدة المجهولة، حيث رحّب بالفتاتين رجلٌ طيّبٌ، قدّم لهما طعامًا، ومكانًا ترقدان فيه، في مزرعةٍ مجاورةٍ.

لم يكن شيءٌ يخيف «بينوات»، ولا شيء يفاجئ براءتها. وقد اتّفق، عام ١٦٦٠، إذ كانت ترعى خرافها، أن شاهدت بغّالَين يحيدان عن الطريق، ويتوّجهان صوبها، وقد اتّضح جليًّا أنّهما كانا يبيّتان نوايا أثيمة. فجرت صوب مستنقعٍ كان، في تلك الفترة من السنة، قد تحوّل إلى بحيرةٍ كبيرةٍ،

واخترقت غمار الماء غير هيّابةٍ، في حين لم يجسر الرجلان المعتديان على المخاطرة بملاحقتها، فارتدّا خائبيْن، ولكن دهشيْن من جرأتها، وأخبرا القرية بشدّة بأسها.

كانت الصلاة ملاذها، في كلّ محنةٍ، ولم تتوانَ السماء في الاستجابة لاستغاثاتها.

لم تنلْ «بينوات» أيّ قسطٍ من التعليم، ولكنّها لم تكن جاهلةً. وإِن هي ظلّت جاهلةً الأمور النافلة والباطلة، غير أنّها توغّلت في المعرفة الحقّة المتجذّرة في أعماق الكائن المتّصل بالله، المعرفة التي يجهلها العالم.

في سنّ الثانية عشرة وُظِّفت راعيةً لدى أرملةٍ من قريتها. ولا ريب أنّه شقّ عليها السكن في بيتٍ غريبٍ، والانفصال عن أُمِّها وشقيقتها، والقطيع الصغير الذي أَلِفته. ولكنّها خضعت لإرادة أُمّها، واقتصر ما طلبته منها على مسبحةٍ تعينها على تجاوز تلك المحنة.

منذ الفجر كانت تنطلق بالقطيع الذي اؤتمنت عليه إلى

مرعًى لا يبعد سوى مسافةٍ قصيرةٍ عن القرية، ولا تعود إلاّ مع هبوط الليل، أي إنّ نهار عملها كان يمتدّ، حسب القول العامّيّ، «من النجمة إلى النجمة». ولم يكن الزاد الذي تُعطاه سوى خبزٍ جافٍّ لا يمكن تناوله إلاّ مبلّلاً بالماء. ويضاف إليه، في موسم الصيف، قليلٌ من الفواكه والعنب. وقد يسّر لها احتمال حياة الوحدة والشظف تلك كَلَفُها بالطبيعة، والنبات والماء، والرياح، وبتلاوة المسبحة التي كانت تملأ ساعات مراقبتها للسائمة. كانت نفسها ملتفتةً، دائمًا، صوب الله، وقد ساعدها ذلك على تنمية ما حباها الله به من مواهب وفضائل فطريّةٍ.

وكانت تراودها رغبةٌ حارقةٌ في رؤية السيّدة العذراء، ولا تتوانى عن التضحيات في سبيل مشاركة يسوع آلامه، غير مكتفيةٍ بحياة الفقر والحرمان المفروضة عليها. ففي سنّ الثالثة عشرة، شرعت تمارس أصوامًا قاسيةً، مقتصرةً على الزهيد من الخبز الجافّ، ومستغنيةً، أحيانًا، حتّى عن هذا الخبز. وفي سنّ الرابعة عشرة، شرعت تلبس مِسْحًا قاسيًا، وتجلد

ذاتها، ولا تنام إلاّ سويعاتٍ معدوداتٍ. هذه الممارسات لم يرشدها إليها أحدٌ، بل كانت تنبع من حياةٍ روحيّةٍ عميقة الغور، يحدوها ويقودها الروح القدس.

منذ طراوة عودها نمت لديها حياةٌ صوفيّةٌ، بوحيٍ من الروح القدس، حياةٌ مشدودةٌ بكاملها نحو الربّ الذي لا تنفكّ تتأمّله بحبٍّ، وتستكين إليه، وتعمل بإيحاءاته.

كانت، بالفطرة، سخيّةً، طائعةً، طاهرةً، وتطلّعاتها موجّهةٌ، بصدقٍ، إلى الله. ولكنّها لم تنزَّه من عيوبٍ فطريّةٍ. فطبيعتها القرويّة كانت تتّسم بقسوةٍ تلامس الفظاظة أحيانًا، وبعنادٍ لا يلين، ولا يصانع. ولكنّها كانت أداةً طيّعةً بين يدي الروح القدس، والأمّ العذراء التي عكفت على صقلها، فلم تلقَ منها مقاومةً، ولا تشبّثًا بأناها، فهي لم تكن، يومًا، كَلِفةً بتأمّل ذاتها في المرآة، ولا هي نزعت إلى التحليل الذاتيّ.

ومن ثمّ، لا يمكن تفسير رغبتها في التضحية بذاتها إلاّ بعمل النعمة والإيحاءات السماويّة. كانت تثقّف نفسها

بالصلاة وأعمال التكفير، وما كان إقبالها على الألم الطوعيّ سوى تقدمة حبٍّ.

وبما أنّ مستخدِمتها الأرملة لم تكن تستطيع أن تؤدّي لها أُجرتها كاملةً، فكانت تعمل أُسبوعًا لديها، وفي الأسبوع التالي عند مستخدِمٍ آخر فظّ الطباع. وفي الأيّام التي كانت تعمل فيها لحساب الأرملة، كانت تستغني عن نصيبها من الطعام من أجل إشباع أطفال مستخدِمتها الذين لم يكونوا يحصلون على كفايتهم من الغذاء. أمّا مستخدِمها الآخر، فقد نجحت، بفضل براءتها ورقّتها، ونصاعة سلوكها، في تحويله، تدريجيًّا، عمّا أَلِفه من قسوةٍ، وتجديفٍ، وأعادته إلى دروب اللّه.

وقد برهنت «بينوات» عن التزامها الصارم بمبادئ الاستقامة، عندما قرّرت الانفصال عن رفيقٍ لها، كان يساعدها على رعاية الأغنام، لأنّه سرق فواكه من بستانٍ، وقدّم لها بعضًا منها، مؤثرةً الاستغناء عن رفيقٍ يسلّيها ويعينها، على التواطؤ مع سارقٍ، حرصًا منها على ألاّ تلوّثها شائبةٌ من شوائب العالم، ومفضّلةً الاستغراق في وحدةٍ توفّر لها الخشوع والتأمّل، والاستبحار في محاورة اللّه.

وقد دلّل هذا السلوك على شدّة مراسها، وقدرتها على السير بما تمليه عليها قناعاتها الذاتيّة، بمنأًى عن أيّ تأثيرٍ لا ترضى عنه، في استقلاليّةٍ لا تخضع إلاّ لمشيئة اللّٰه، ووصاياه.

لقاءٌ وبشارةٌ

كانت «بينوات» مكلّفةً برعاية قطيعٍ يتألّف من نحو مئةٍ وخمسين نعجةً وماعزًا، فكان عليها أن تبحث لها عن كلأٍ، بعيدًا عن القرية. وفي شهر أيّار من عام ١٦٦٤، كانت قد أَلِفت اقتياد ماشيتها إلى سفح جبلٍ زاخرٍ بالأعشاب الربيعيّة. ولم تكن تخشى التوغّل في ظلال الغابة حيث تنبت شجيراتٌ صغيرةٌ، تستسيغ الماعز قضمها.

ومرّةً إثر مرّةٍ، لمحت هناك، متنزّهًا مسنًّا، يختلف زيّه عن زيّ قرويّي تلك المنطقة، وقد وصفته بأنّه طويل القامة، تزيد من طوله القبّعة التي كان يعتمرها، وتحيط لحيةٌ طويلةٌ بمحيّاه الجميل الزاهي اللون، ويرتدي ثيابًا حمراء. ومع أنّ أُمّها كانت طالما حذّرتها من الغرباء، إلاّ أنّ ذلك الغريب لم يوحِ لها بأيّة خشيةٍ أو ريبةٍ.

وظُهرَ أحد الأيّام، في موعد الغداء، توغّلت «بينوات» في الغابة، بحثًا عن نبعة ماءٍ تبلّل فيه خبزها الجافّ. وربّما فعلت ذلك بدافعٍ خفيٍّ. وعند مخرج الغابة، وقعت أبصارها على هضبةٍ بدا لها أنّها تحضن قريةً هجرها سكّانها، كما تدلّ بيوتٌ متهدّمةٌ منتشرةٌ حول كنيسةٍ متداعيةٍ، فأخذت بها الشفقة أمام المكان المقدّس المهجور، ووقفت وسط ماشيتها، وتلت المسبحة. وحينئذٍ ظهر الغريب الذي لمحته في الأيّام السابقة، فراحت تتأمّل منظره غير المألوف. وفيما كانت تتساءل عن حقيقة هويّته، بادرها هو بالسؤال:

– ماذا تفعلين هنا، يا ابنتي؟

– إنّني أرعى ماشيتي، وأدعو الله، باحثةً عن ماءٍ أستقيه.

كان الرجل عارفًا فحوى جوابها مسبّقًا، ولكنّه كان يستسيغ طلاوة لهجتها، وبراءة قولها، وعرض عليها:

– سآتيك أنا بالماء.

– أرجو سيادتك، إذن، مشاركتي بعضًا من خبزي.

– لا، يا ابنتي، لست بحاجةٍ إليه.

– ولكنّك، بلا ريبٍ، تأكل، فصحّتك تبدو جيّدةً، ولون وجهك قرمزيٌّ.

– كلاّ، يا ابنتي، أنا لا أحيا بخبز الأرض، ولا أتغذّى إلاّ بالخبز السماويّ.

ثمّ أضاف، موضحًا جوابه:

– أنا موريس.

ومن المعروف أنّ موريس كان أحد ضبّاط الإمبراطور ماكسيمان، وقد استشهد عام ٢٨٦، مع رهطٍ من رفاقه، رفضوا تقديم الأضاحي للأصنام، ويحيطه سكّان منطقة الألپ بتكريمٍ خاصٍّ.

ومضى موريس، وجاء للفتاة بماءٍ تبلّل فيه خبز غدائها. وفيما كانت تأكل استوضحته عن القبّعة التي كان يعتمرها، فأوضح أنّها تاجٌ أسقفيٌّ. كان موريس يرتدي ثوب الشهادة، ودلّت قبّعته على أنّه كوفئ بمنصب حبرٍ. وقد ندّد بالإهمال

الذي تردّى إليه المصلّى القائم في ذلك المكان، وبالمسؤولين عنه، الذين فقدوا كلّ شعورٍ بالمقدّسات، واكتفوا باستيفاء ريع المكان، عازفين عن إِنفاق أيّ فلسٍ في سبيل صيانته، مؤكّدًا رغبته في أن يُكرَّم في ذلك المكان عينه. ولكن يبدو، في الواقع، أنّه إنّما وافى ذلك المكان سفيرًا للعذراء إلى مختارتها «بينوات».

ولمّا فرغت الفتاة من تناول وجبتها القشفة، نصحها موريس بالتحاشي عن ارتياد ذلك المكان التابع لبلديّةٍ أُخرى، قد يعمد نواطيرها إلى احتجاز قطيعها.

ثمّ أنبأها بالبشرى السعيدة:

– اقصدي الوادي الصغير المطلّ على «سانت إيتيين»، وهناك ستشاهدين أمّ الله الطيّبة.

– ولكنّها في السماء، فكيف لي أن أراها هنا؟

– من المؤكّد أنّها في السماء، ولكنّها توافي إلى الأرض، عندما تشاء!

كـانت «بـيـنـوات» تجوب المنـطـقـة ببراءةٍ، غير حـافـلـةٍ بالحساسيّات التي تجعل، أحيانًا، من الجيران خصومًا. ولكنّ موريس أرشدها إلى منطقة «لوس» (LAUS) التي كان الربّ قد وهبها لأمّه الراغبة في اقتياد النعاج الضالّة إلى الخلاص، فيها.

واسم «لوس» هو اللفظة العامّيّة التي يعني بها أهل منطقتها «بحيرة» (Lac) تتجمّع فيها مياه الأمطار.

وقبيل عودة الراعية إلى قريتها أعطاها موريس عصًا، محذّرًا من أربعة ذئابٍ سيهاجمون قطيعها، موضحًا أن مجرّد تلويحها بعصاها، كفيلٌ بإبعادهم، وبدرء خطرهم.

هذا الحدث كان رمزًا للنعمة التي ستحظى بها الفتاة الراعية، من قِبَل ملكة السماء، كي تحمي النفوس، وتدفع عنها هجمات إبليس، مثلما درأت خطر الذئاب عن ماشيتها.

ظهور العذراء الأوّل

منذ صباح الغداة الباكر، اقتادت «بينوات» قطيعها إلى الوادي الصغير المطلّ على «سانت إيتيين» حيث يلتقي مجريا سَيلَيْن. سفح ذلك الوادي كان مغطًّى بصخورٍ بيضاء هشّةٍ، أَلِف سكّان المنطقة انتزاع قِطَعٍ منها كي يصطنعوا بها جبسًا، في أفرانٍ بدائيّةٍ كانت منتشرةً في تلك البقعة، التي أُطلِقت عليها تسمية «الأفران».

وكانت «بينوات» تعرف، في ذلك المكان، مغارةً عميقةً، طالما التجأت إليها كي تصلّي، ومع أنّها وصلت إلى ذلك المكان باكرًا جدًّا، لمحت فوق صخرةٍ بيضاء، تعلو مدخل المغارة، «سيّدةً جميلةً، فارعة القوام، حاملةً طفلاً بين ذراعيها». فوقفت مذهولةً حيال ما اتّسمت به السيّدة وابنها من بهاءٍ، وعذوبةٍ، ورقّةٍ. وتلقائيًّا استوضحت:

– «أيّتها السيّدة الجميلة، ما عساك تفعلين هنا؟ وهل جئتِ لابتياع جبسٍ؟».

لقد طغى على عذراء الظهور المظهر البشريّ، غير أنّ قول القدّيس موريس، بالأمس، سرّب الشكّ إلى نفس «بينوات»، مع أنّ تواضعها السحيق كان يقيها من أيّ أملٍ في استئهال رؤية أمّ الله. وربّما لم تشأ العذراء إذهال الفتاة منذ الوهلة الأولى، متيحةً لها فرصة اكتشافها، كما فعل يسوع مع المجدليّة، وتلميذَيْ عمّاوس.

وريثما تعرّفت «بينوات» هويّة السيّدة الجميلة، دعتها، مثلما كانت قد دعت بالأمس القدّيس موريس، إلى مشاركتها طعامها، محاولةً إغراءها:

– «لديّ خبزٌ شهيٌّ، سنبلّله بماء النبع».

ابتسمت السيّدة، ولم تتفوّه بكلمةٍ. ولكنّها نهضت عن الصخرة، وذرعت المغارة، جيئةً وذهابًا، ممسكةً بيد طفلها، فيما لزمت الراعية مكانها، وقد بلغ إعجابها بروعة الطفل أن طلبته من أمّه:

– «هل تتكرّمين بإعطائنا هذا الطفل الذي سيسعدنا جميعنا؟».

مرّةً أُخرى، ابتسمت السيّدة، ولم تتلفّظ بحرفٍ. وهكذا انقضى النهار. ولمّا شرعت الظلمة تهبط، أخذت السيّدة طفلها بين ذراعيها، وولجت المغارة، وتوارت.

في ذلك اليوم، اعتصمت العذراء بالصمت لأنّ «بينوات» لم تكن، بعدُ، معدّةً لاستيعاب حدثٍ يتخطّاها شأوًا بعيدًا. ومع ذلك غمرت السعادة نفسَ الراعية، التي قضت ليلتها تحلم بالسيّدة الرائعة، ومتطلّعةً إلى التقائها ثانيةً.

امتحان الصمت

منذ فجر غداة ذلك اليوم المشهود، هرعت «بينوات» إلى المغارة حيث كانت السيّدة في انتظارها، فعراها انخطافٌ دام النهار كلّه. ومنذئذٍ غدا «وادي الأفران»، مكان لقاء السيّدة وابنها، والراعية، على امتداد أيّامٍ، فأسابيع، فأشهرٍ. وبات يتعذّر على الراعية الإفلات من أَسر جاذب ذلك المكان على نفسها، مع أنّ السيّدة ظلّت معتصمةً بصمتها، وأحجمت الراعية عن طرح أيّ سؤالٍ. كانت عيناها مفتونتين بالسيّدة وطفلها، ونظرها الداخليّ مأسورًا برؤًى، وتأمّلاتٍ ساميةٍ. كانت العذراء توجّه إرادة الفتاة نحو الرقّة، والصبر، والتواضع، وإلى التمثّل بابنها الذي ما برح طفلاً واهنًا وخاضعًا. وكان على «بينوات» تعلّم الكثير.

وسرعان ما لحظ سكّان قريتها ما طرأ عليها من تحوّلٍ جسديٍّ ونفسيٍّ، فحتّى لهجتها فقدت حدّتها، واكتسبت رقّةً. ومع أنّها كانت تنطلق إلى المرعى منذ الفجر ولا تعود إلاّ وقد خيّم الليل، كانوا، في الفترات القصيرة التي تقضيها بين ظهرانيهم، مثل أيّام الآحاد، يشهدون، على محيّاها، فرحًا لا يدركون له سببًا. وكيف لا تضجّ فرحًا تلك التي تحظى برؤية العذراء وابنها، كلّ يومٍ!

وقد تخطّى أَسر المغارة على نفس «بينوات» كلّ حدٍّ، فأمست تنهض، في بعض الليالي، من عزّ نومها، وتجري، وهي ما زالت في غلالات النوم، غير عابئةٍ بالبرد والأقاويل، إلى حيث تأمل مقابلة السيّدة الرائعة، وما تلبث أن تعود خائبةً، وتنتظر الصباح الذي يوفّر لها فرصة لقاء من علق بها قلبها.

وكانت، إذا استُفسِرت عمّا يحدث لها، تخبر، ببراءةٍ وصراحةٍ، ولا تخفي أمرًا، غير حافلةٍ بالهزء والأقاويل. وعندما يأمرها مستخدِمها بالبحث عن مراعٍ أكثر وفرةً بالكلأ،

كانت تلبّي رغبته، ولكنّها لا تفوّت سانحةً للتعريج على مكان لقائها بالسيّدة.

وانقضى شهرا أيّار وحزيران، والعذراء ما برحت صامتةً، ولكأنّها تعمّدت اقتياد مختارتها إلى صحراء، ولا سيّما أنّ «وادي الأفران» قفرٌ يزخر بالصخور والحصباء، شديد الاختلاف عمّا أَلِفته الراعيةُ، قبل التقائها الشهيد موريس، من مروجٍ مخضلّةٍ، وغاباتٍ ظليلةٍ. والقفر هو المناخ الأفضل للتأمّل، هو جوّ صمتٍ خارجيٍّ وداخليٍّ، توخّت العذراء أن تثقّف، في كنفه، نفس الفتاة الراعية، على التجرّد، بعيدًا عن الضجيج، وعن تأثير المخلوقات.

وكانت «بينوات»، بفضل فطرتها، المنعتقة من كلّ تعقيدٍ في الفكر، والقول، والعمل، مؤهّبةً للتوغّل في الصمت الداخليّ، الآهل بالنعمة، وببهاء مريم وابنها. كانت فقيرةً، وفي فسحة فقرها أفاض الله ملء نعمته، فيما كانت العذراء تُعدُّها، في ساعات الفراغ والصمت المتمادية، لرسالةٍ طويلةٍ وشاقّةٍ، ستمتدّ على أربعةٍ وخمسين عامًا. فلا بدّ من التمهيد

لكلّ عملٍ ذي شأنٍ، ولكلّ رسالةٍ خطيرةٍ، بالصلاة والتأمّل، تمثّلاً بالربّ. وهذا ما أدركته «بينوات». فبعد أن أمعنت في الثرثرة، يوم لقائها الأوّل بالسيّدة، التزمت الصمت، هي أيضًا، عندما تبيّنت صمت المرأة الفريدة بين النساء. وانصرم شهرا صمتٍ طويلان، أصبحت، الراعية، عقبهما، متأهّبةً لسماع كلام السيّدة العذراء.

تحوّل «بينوات»

شرعت، إذن، السيّدة تتكلّم، بمبادرةٍ منها، بألفةٍ وبساطةٍ. ولكنّ «بينوات» لم تبلّغ سوى اليسير ممّا سمعته، ربّما لأنّ السيّدة لم تسترسل في الكلام، ولأنّها، في تلك الفترة، لم تُدلِ بأقوالٍ موجّهةٍ إلى الجماهير، راغبةً في إذاعتها، إذ كانت ما برحت دائبةً على تثقيف «بينوات»، وتحويلها إلى أداةٍ طيّعةٍ للروح. فلم تبلّغ محيطها إلاّ الزهيد من الأقوال والأحداث التي خلّفت أثرًا بليغًا.

بدأت العذراء بتلقينها صلواتٍ تجهلها، كي تلقّنها للآخرين، ولا سيّما طلباتٍ مريميّةٍ، وسواها. وفسّرت لها معنى هذه الطلبات التي تنشد باللغة اللاتينيّة. وجعلتها تردّدها إلى أن تحفظها غيبًا. ومن هذه الطلبات:

«أيّها الآب السماويّ، ارحمنا،

«أيّها الابن مخلّص العالم، ارحمنا،

«أيّها الروح القدس، اللّه، ارحمنا».

وعندما شرعت تلقّنها الطلبات المريميّة، كانت هي تتلو المقطع الأوّل منها، داعيةً «بينوات» إلى إكمالها، بقولها: «صلّي لأجلنا». فكانت هي البادئة بقول:

«يا أمّ المسيح... يا أمًّا طاهرةً... يا أمًّا منزّهةً من الدنس...».

و«بينوات» تعقّب على كلٍّ من هذه الطلبات بالقول: «صلّي لأجلنا».

ولكم سعدت الراعية بحفظها هذه الطلبات غيبًا، بعد ترديدها ثلاث مرّاتٍ فقط!

وإنّما كانت العذراء، بتلقين هذه الطلبات، تنفّذ مشيئة ابنها الإلهيّ الحريص على تمجيد أمّه الأرضيّة، وعلى تكريمها، وتعميم حبّها بين البشر. وهذه الطلبات تنطوي على مدائح نظير: «أيّتها العذراء الجديرة بالمديح...»، «»يا عذراء وفيّة...»، «يا سبب فرحنا...».

كما أنّها تستمدّ صُورًا رمزيّةً مستقاةً من الكتاب المقدس، مثل: «يا وردةً صوفيّةً»، «يا برج داود»، «يا تابوت العهد»، «يا نجمة الصبح...».

ولا ريب أنّ تلك الطلبات الموجّهة إلى من هي أمّ الخالق، العذراء القديرة، باب السماء، ملكة الملائكة، شافية المرضى، ملاذ الخطأة، تنال للمسيحيّين الذين يتلونها بحرارةٍ، فيضًا من النِّعَم الخلاصيّة.

وقد أوعزت العذراء إلى «بينوات» أن تعلّم أترابها إنشاد هذه الطلبات كلّ مساءٍ. وعندما لحظت تردّد الفتاة، التي كانت تعي عجزها، شجّعتها بتأكيدها: «سترين أنّهنّ سيستجبنَ لطلبك بفرح». وبالفعل، نجحت «بينوات» في هذه المهمّة، لدى رفيقاتها القرويّات اللواتي كنّ يحببنَها.

وذات يومٍ، كلّفتها العذراء بتلاوة صلاةٍ، في الكنيسة، للقربان المقدّس، واعدةً إيّاها بتولّي السهر على القطيع، عوضًا عنها. ولمّا عادت من هذه المهمّة، لم تجد السيّدة، ولا

هي عثرت على القطيع، فهرعت إلى القرية بحثًا عنه، واستشاط مستخدِمها غيظًا، محمّلاً إيّاها مسؤوليّة فقدان مواشيه، ولكنّها لم تجزع، وعادت إلى الجبل، فوجدت القطيع يرعى، مطمئنًّا، في وادٍ زاخرٍ بالكلأ، وظهرت لها العذراء التي هنّأتها بقولها:

– «**لقد أفرحتني، لأنّك لم تجزعي. وإنّما أنا توخّيت اختبار صبرك**».

ولم يكن للراعية من سبيلٍ إلى التمرّس بالصبر إلاّ بسيطرتها على ذاتها، وبإيلاء تلك التي أمست لها معلّمةً، ثقةً مطلقةً.

ودأبت العذراء، خلال فترة تثقيف تلميذتها، على توجيهها ونصحها، وتأنيبها، كلّما لحظت لديها سلوكًا لا ترضى عنه. وقد اختبرتها، ذات يومٍ، فطلبت منها حمَلاً، وعنزةً معيّنةً، وأجابت الراعية:

– «الحمل سأهبك إيّاه، وسيُحسَم ثمنه من أجري. أمّا

العنزة فلا يسعني الاستغناء عنها، لأنّني أمتطيها وأستعين بها على عبور الساقية عندما تعلو مياهها. فحتّى إن دفعتِ لي ثلاثين درهمًا، لن أتنازل لك عنها».

وأجابتها السيّدة: «**لن أنقدك ثلاثين درهمًا. ولكن يبدو لي أنّك تغالين في تعلّقك بهذه العنزة، وتطعمينها عنبًا وخبزًا، وكان الأَولى بك أن تتصدّقي بهما على الفقراء**».

يتجلّى، في هذا الحوار، أنّ «بينوات»، حتّى ذلك التاريخ، لم تكن قد تبيّنت هويّة محاورتها. فلو هي درت أنّها أمّ الله لما ضنّت عليها حتّى بعنزتها الأثيرة. كانت، إذن، ما زالت ترى فيها سيّدةً راقيةً، طيّبةً وثريّةً، قادرةً على دفع أيّ مبلغٍ، كي تحصل على ما تشاء. وقد توخّت العذراء إرجاء الإفصاح عن هويّتها حتّى تكمل تثقيف «بينوات»، فيتأكّد القوم أنّ تلك الراعية إن هي إلاّ أداةٌ طيّعةٌ، بيدٍ سماويّةٍ.

حتّئذٍ، وحتّى بعد أربعة أشهرٍ من التحاور مع أمّ الله، كان الجهل ما زال مهيمنًا على ذهن الراعية «بينوات»، ولكنّها

كانت عملاقة براءةٍ وإيمانٍ. ومن الأحداث التي تثبت ذلك أنّه كان لمستخدِمها طفلةٌ قبيحةٌ جدًّا، فخطر لبينوات، ذات صباحٍ، أن تأخذها معها إلى المرعى، فتستبدلها بابن السيّدة، فتسعد مستخدِمتها بهذه المقايضة، ويسعد جميع سكّان القرية، عندما يشاهدون ذلك الطفل الرائع في الكنيسة. وفي الآن عينه تكون أُمّ الصبيّ راضيةً بحصولها على طفلةٍ بديلةٍ لابنها. هذا كان مستوى تفكير «بينوات»، حتّئذٍ. وعندما كانت تروي لأبناء قريتها كلّ ما يحدث لها، كانت تزرع الحيرة في نفوسهم، فهل يُعقَل أن تكون تلك الفتاة الأمّيّة، المسرفة في البساطة، هي مختارة السماء؟

وتعمّدت، يومًا، زوجة مستخدِمها امتحان صدقها، وكانت تبزّ زوجها غلظةً، وزندقةً، فتظاهرت، ذات صباحٍ، بالاستغراق في النوم، عندما انطلقت «بينوات» بالقطيع، ثمّ سبقتها إلى المرعى، عبر دروبٍ مختصرةٍ، واختبأت داخل المغارة التي كانت «بينوات» تتكلّم عنها، وعن لقاء السيّدة فيها أو بقربها. وعندما وصلت الفتاة وعبّرت عن فرحها بلقاء

السيّدة، فاجأتها هذه الأخيرة بقولها: «إنّ مستخدِمتك مختبئةٌ تحت الصخرة!».

لم تصدّق «بينوات» قول السيّدة، مؤكّدةً أنّها تركت مستخدِمتها مستغرقةً في النوم. ولكنّ السيّدة جزمت، بحزمٍ، أنّها مختبئةٌ تحت الصخرة، وطلبت من «بينوات» تحذيرها من الإمعان في الحلفان الباطل باسم يسوع، ودعوتها إلى التوبة، وإلى التبرّع للفقراء بكمّيّات اللحم، والخمر، والحساء التي تلتهمها في الأعياد، مكتفيةً بالخبز والماء، كي تستحقّ الشخوص إلى السماء.

لم تشاهد تلك المرأةُ السيّدةَ، ولكنّها سمعت كلّ أَقوالها، ولائحة خطاياها وعيوبها: التجديف، والبخل، والشراهة، والكفر...، فارتعدت، وخشيت المصير القاتم، وبكت ندمًا. وعندما توارت السيّدة، هرعت الراعية إلى المغارة حيث ذهلت برؤية مستخدمتها منهارةً. وعندما همّت بتنفيذ المهمّة التي كلّفتها بها السيّدة، محذّرةً المرأة من مغبّات سلوكها الباطل، اعترفت المرأة أَنّها سمعت كلّ شيءٍ. وقد انتشرت

قصّتها في كلّ أَرجاء القرية، فدعمت أَقوال الراعية حول ضيفتها السرّيّة، وبات الجميع يرمقون «بينوات» بنظرةٍ جديدةٍ، ويرون فيها فتاةً محظوظةً، فرحةً، مطمئنّةً، واثقةً، تحوّلت تحوّلاً جذريًّا.

«أَنا مريم»

في مطلع شهر آب، فيما كانت «بينوات»، في «وادي الأَفـران» جـاء مـن أَمـرهـا بـالمثـول أمـام الـقـاضـي «غـريمو (Grimaud)»، الذي كان نائبًا في مجلس «غرينوبل»، في الثالثة والأَربعين من العمر، ومراقبًا يقظًا، لقّنته مهنة القضاء إِتقان التحقيق والاستجواب. كان يتميّز بالاتّزان وسداد الحكم، وبإِيمانٍ راسخٍ مستنيرٍ، لا يسلّم بالادّعاءات التي قد تنال من مجد العذراء، شديد التيقّظ، حيال الأَحداث فائقة الطبيعة. وقد ابتغى تحذير الراعية «بينوات» من أَيّة رواياتٍ لا تستند على واقعٍ راهنٍ، بحيث قد تفضي إلى إِلحاق الضرر بالإِيمان.

ولكنّه سرعان ما تبيّن، من خلال استجواباته المتمادية، ثقة الفتاة بنفسها وبأَقوالها، فلا ارتباك، ولا تردّد، ولا تناقض،

ما جعله يستخلص أَنّها منطقيّةٌ وصادقةٌ إلى أَبعد حدٍّ، وبمنأًى عن أَيّ كذبٍ، وقد جاء في محضر استجوابه: «لقد أَكّدت «بينوات» كلّ شيءٍ بثقةٍ وفرحٍ منقطعَي النظير. وأَظهرت لي – حسب ما قرأته على محيّاها – أَنّها كانت تستمدّ، من ذلك الظهور، فرحًا ورضًى فائقَيْن، لا يشوبهما أَيّ اضطرابٍ».

اطمأنّ القاضي إلى صدق الفتاة، وأيقن المؤمن، في داخله، أَنّ السيّدة الجميلة وابنها الرائع، اللّذين تحدّثت عنهما الراعية، إِنّما هما العذراء وابنها. فلا بدّ من استفسار السيّدة عن هويّتها. ولكن، لا مناص لبينوات، قبل ذلك، من الاستعداد بالاعتراف الصادق، والمناولة الورعة، وبعدئذٍ فلتكلّمها بجرأةٍ. وبما أَنّ «بينوات» ما برحت حدثًا جاهلةً، فقد لقّنها العبارات التي عليها مخاطبة السيّدة بها. ودعا المسؤولين الكنسيّين، في المنطقة، إلى الصلاة كي تتجلّى الحقيقة.

وجاءت «بينوات» إلى المغارة، وقد ساورها، للمرَّة

الأُولى، شيءٌ من الخشية والخجل، ولكن مصمّمةً على طرح السؤال الذي لقّنها إِيّاه القاضي بحذافيره، بلا خطأٍ. فركعت أَمام السيّدة وسألتها:

- «أَيّتها السيّدة الطيّبة، أَنا وجميع سكّان هذه المنطقة، شديدو التوق إلى معرفة هويّتك. فهل أَنت أُمّ إِلهنا؟ فإِن تكرّمت بتأكيد ذلك، سنشيّد هنا مصلًّى لأجل تكريمك وخدمتك».

وأَجابت السيّدة:

- «**لا موجب لبناء أَيّ شيءٍ في هذا المكان، فقد وقع اختياري على مكانٍ أَفضل**».

بجوابها هذا، لم تلقِ السيّدة أيّ ضوءٍ على السؤال الجوهريّ. وكان على «بينوات»، والقاضي، والكاهن، وطائفةٍ من المؤمنين، الاستغراق في مزيدٍ من الصلاة، استنزالاً للنور الذي كانوا يلتمسونه.

يوم ٢٨ آب سمعت «بينوات»:

– «**ادعي فتيات «سانت إِيتيين» لتنظيم تطوافٍ إلى هذا المكان، وهنَّ يُنشدن طلبات العذراء، وتقدّمي، أَنت، هذا التطواف، فتحظي، أَنت وحدكِ، بشرف مشاهدتي مع ابني، عند مدخل المغارة**».

هذه الدعوة كانت تلميحًا إلى هويّة السيّدة. ولكنّ «بينوات» تردّدت، ليقينها بعدم استئهال الشرف الذي خصّتها به السيّدة، وقالت:

– «قد لا يصدّقوني. فهل لك أَن تدوّني إِرادتك كتابةً؟».

ولكنّ العذراء أَجابتها بحزمٍ: «**لا حاجة إلى ذلك!**».

وكان لا بدّ لبينوات من تبليغ رغبة السيّدة إلى كاهن الرعيّة، الذي استجاب في الحال، وقرّر القيام بالتطواف في يوم الغد، التاسع والعشرين من آب، الموافق لعيد القدّيس يوحنّا المعمدان. وتمّ كلّ شيءٍ وفقًا لرغبة العذراء. وواكبت التطواف ثلّةٌ من الرجال، انضمّ إليهم القاضي «غريمو» بصفة مراقبٍ يقظٍ. واحتشد الجميع عند مدخل المغارة، منشدين ومصلّين. لم تظهر العذراء، ولكنّها كلّمت «بينوات»، وطلبت

انسحاب الجميع. فلم يبقَ، أَمام المغارة، سوى الراعية والقاضي «غريمو»، راكعَيْن، مستغرقَيْن في الصلاة.

وبغتةً هتفت الفتاة:

– «يا حضرة القاضي، هل ترى السيّدة؟ أَنا أراها، اقترب سريعًا».

وهرع القاضي مستفسرًا: «أين هي؟». كانت بينوات تحدّق إلى داخل المغارة، مشيرةً إلى حيث كانت السيّدة، وسألت، ثانيةً: «ألا تراها، يا سيّدي؟».

أَجاب القاضي أَنّه لا يستأهل هذه النعمة، ولكنّ الراعية لاحظت: «ها إِنّها تمدّ يدها». ومدّ القاضي يده، عسى أَن تمسّها يدٌ غير مرئيّةٍ. ولكنّ ذلك لم يحدث.

ابتعد القاضي، ناصحًا «بينوات» بمواصلة الصلاة، وباستفسار السيّدة عن اسمها. وجاء الجواب:

– «**أَنا السيّدة مريم** (Dame Marie) **أُمّ يسوع. ولن تريني، بعد الآن، في هذا المكان**».

هذه الإِجابة ختمت الفصل الأوّل من ظهورات «لوس» التي امتدّت بين أيّار وآب ١٦٦٤. وقد أعلنت العذراء، في نهاية هذه المرحلة، أنّها اختارت لتكريمها مكانًا مختلفًا عن ذاك الذي شرعت تظهر فيه. وكان على «بينوات» أن تقتفي خطاها، وتمضي إلى حيث هي شاءت، إلى مكان تجهله.

كان الصيف قد ولّى، والضيفة السماويّة قد توارت، وغاضت البشاشة عن وجه «بينوات» التي هجرت المرابع الحافلة بأجمل الذكريات، وباتت تقتاد قطيعها إلى وادي «أڤانس» في أسفل قريتها.

وها هي، في نهاية شهر أيلول، عند ضفّة النهر الذي يجتاز الوادي، وقد ربضت وراءها، قرية «سانت إيتيين»، وامتدّت أمامها منطقة «لوس» بتلالها المكسوّة بالشجيرات الشائكة، والأحراج، وكروم العنب، وبعض الأكواخ. وبغتةً أشعّ من جانب النهر الآخر، في محلّةٍ معروفةٍ باسم «پندرو (Pindreau)»، نورٌ غير طبيعيٍّ، وكوّن كرةً استشفّت «بينوات»، في داخلها، السيّدة العذراء، ساطعةً كالشمس.

وقد بهرها نورها بحيث لم تستطع التحديق إلى ملامحها. فتركت قطيعها يرعى، وامتطت عنزتها القويّة كي تجتاز مياه النهر العالية، وجرت إلى تلك التي هفا إليها قلبها، والتي أمست تعرف، يقينًا، أنّها ملكة السماء، وركعت أمامها. وتغلّبت عليها فطرتُها، فطرحت سؤالاً امتزج فيه الاحترام بالعتاب:

– «يا سيّدتي الطيّبة، علامَ حرمتني، كلّ هذه المدّة، شرف مشاهدتك؟».

– «كلّما رغبتِ في رؤيتي، تعالي إلى المصلّى الموجود في محلّة «لوس»، والذي تنبعث منه رائحةٌ طيّبة».

حتّئذٍ، كانت السيّدة هي التي تبادر لرؤية الفتاة الراعية، بُغيةَ تثقيفها، وإعدادها للمهمّة التي ستنتدبها لها. وها قد حان الوقت كي تسعى الراعية إلى السيّدة، وبنشدانها والعثور عليها، ستعثر على ابنها.

لم تكن «بينوات» تعرف مكان «لوس»، فدلّتها العذراء، بيدها، إلى وجهتها، قبل أن تغيب، وأعلمتها أنّها ستستدّل

على المصلّى – ملتقاهما – من خلال رائحةٍ ذكيّةٍ تفوح منه.

ولم تتلكّا «بينوات» في تلبية دعوة السيّدة، بل، منذ فجر اليوم التالي، يمّمت شطر المصلّى العطِر، مستهلّةً مرحلةً جديدةً في مسيرتها.

العذراء تنبئ ببناء مزار «لوس»

توقّلت «بينوات» الهضبة المفضية إلى «لوس» الذي كان، حينذاك، تلّةً تجثم عليها ثمانية أكواخٍ، تؤلّف دسكرةً، يقطنها نحو ستّين شخصًا، يستمدّون أَوَد عيشهم من الزراعة وتربية الماشية. وكانوا يضطرّون إلى قصد «سانت إيتيين» لممارسة واجباتهم الدينيّة، وتلقّي الأسرار. ولكنّهم، عام ١٦٤٠، بادروا إلى بناء مصلًّى أطلقوا عليه اسم «سيّدة اللقاء السعيد»، حيث كان كاهنٌ زائرٌ يقيم الذبيحة، في الأعياد الكبرى، ويعمّد الأطفال، ويجنّز الموتى. وقد حرصت العذراء على مكافأة هذه المبادرة بسخاءٍ.

جاست «بينوات» خلال الدسكرة، كوخًا كوخًا، ولم تستفسر أحدًا عن مكان المصلّى، معتمدةً على إرشادات العذراء، فتريّثت أمام كلّ بابٍ، مستشمّةً ما ينبعث منه،

وطال بها البحث حتّى كادت تبكي. وبغتةً جذبتها رائحةٌ ذكيّةٌ من كوخٍ لا يتميّز، في شيءٍ، عن سواه، فدفعت بابه، وإذ بالعذراء تنتظرها فوق هيكلٍ من جبسٍ، وقد رحّبت بها قائلةً:

– «**يا ابنتي لقد أحسنتِ البحث عنّي. ولكن لم يكن جديرًا بك البكاء. وقد سررتُ لأنّ صبرك لم ينفد**».

سجدت «بينوات» إجلالاً للأمّ السماويّة، وركعت، وقد أفعم الفرح نفسها. ولكنّها لم تُخفِ دهشتها من وجود ملكة السماء، في ذلك المسكن الزريّ، الذي تفحّصته بنظرةٍ خاطفةٍ، فإذا به غرفةٌ مسقوفةٌ بالقشّ لا يتجاوز طولها خمسة أمتارٍ، وعرضها ثلاثة أمتارٍ، وعلى هيكلها العاري شمعدانان خشبيّان، وكأسٌ من قصديرٍ. وقد استنكرت، خاصّةً، طبقة الغبار التي كست الهيكل، فعرضت أن تبسط عليه مئزرها الأبيض النظيف تحت أقدام السيّدة. وكرّرت أسفها لفقر المكان، وعدم أهليّته لاستقبال ملكة السماء، التي أعلنت: «**لا تقلقي، فسأبني، في هذا المكان، كنيسةً كبيرةً، مع**

سكن لكهنةٍ مقيمين، تكريمًا لابني الحبيب، ولي. وفيها سيرتدَّ عددٌ غفيرٌ من الخطأة والخاطئات. سيكون لها الطول والعرض الواجبان، حسبَ ما أشاء. وسترينني فيها مرّاتٍ عديدةً».

في تلك اللحظات، انحصر اهتمام «بينوات»، الواقعيّة، الساذجة، في الخطوات العمليّة اللازمة لتنفيذ مشروع العذراء، فاعترضت:

– «ولكن أين المال الذي لا بدّ منه لبناء كنيسةٍ كبيرةٍ؟ أليس من الأفضل الاكتفاء بهذا المصلّى؟».

– «**لا تقلقي، فعندما سيحين أوان البناء، سيتوفّر كلّ ما يلزم سريعًا، بفضل أموال الفقراء، ولن ينقص شيءٌ!**».

سؤال «بينوات» استند على فقر المنطقة، وافتقارها إلى موادّ البناء، وبُعدها عن طرق المواصلات. ولكنّ جواب العذراء انطوى على نبوءةٍ وعلى تشجيعٍ. فلن تكون حاجةٌ لمدّ الأيدي إلى محافظ الأغنياء، إذ سيقوم سخاء الفقراء

بالمهمّة. ستدعو العذراء أبناءها الفقراء إلى البذل، فهم أثيرون لدى اللّه. ومثلما وقع خيار أمّ اللّه على الراعية «بينوات»، وقع خيارها، أيضًا، على «لوس» المكان الفقير المعزول على سفح تلّةٍ. وقد نهض بناء المزار – مزار اللقاء السعيد – على أيدي قرويّي المكان، وتقوى المؤمنين، وجهد الفقراء.

وعقِب عهدَ التأمّل عهدُ العمل. ومن فوق الهيكل الزريّ أعلنت مريم، ملاذ الخطأة، أنّ خطأةً وخاطئاتٍ كُثُرًا، سيرتدّون إلى اللّه في ذلك المكان. واطمأنّت «بينوات» نفسًا، بعد أن وعدتها العذراء بالظهور لها، مرّاتٍ عديدةً، في المزار العتيد، مجدّدةً أفراح لقائهما في «وادي الأفران».

مزوَّدةً بهذا الوعد، ساقت الفتاة قطيعها، عائدةً إلى قريتها، كي تزفّ للجميع البشرى السارّة.

«صلّي دائمًا من أجل الخطأة»

لم يعد قفر «وادي الأفران» هو محجّة «بينوات»، بل مصلّى «لوس» الذي تقصده يوميًّا، بدعوة الأمّ السماويّة، أو بدافعٍ داخليٍّ لا تملك مقاومته. كانت الفتاة تستأذن مستخدِميها للقيام بهذه الزيارات، وهم لم يمانعوا، بعد أن تبيّنوا استمرار سلامة ماشيتهم وازدهارها. ويبدو أنّ العذراء كانت تساعدها على ذلك. فقد قطعت، ذات يومٍ، حديثها معها، كي تحذّرها من تأهّب خمسة ذئابٍ لمهاجمة ماشيتها، وأمرتها بالإسراع لحمايتها، بلا جزعٍ.

ولم تكتفِ العذراء بتحذير رسولتها من الذئاب، بل لطالما حرّضتها على الصلاة من أجل الخطأة. وهي، في براءتها، كانت تجهل الخطيئة ومخاطرها، وانتشارها في وطنها، وعلى امتداد العالم، ولا سيّما أنّ عالمها كان قريتها، بسكّانها،

وحيواناتها، وزراعاتها، والمواسم التي تتعاقب، وتتعايش معها الفتاة بسكونٍ، جاهلةً كلّ ما يجري في وطنها فرنسا، الذي ساده، في تلك الحقبة، الملك لويس الرابع عشر، الكلِف بمظاهر العظمة البشريّة الجوفاء، وبالبطر المفرط، متّخذًا الشمس شعارًا ورمزًا، مدّعيًا منافسة الشمس في إشعاعها وسطوتها، ناشدًا كلّ بارقٍ لمّاعٍ، على نقيض تلك الراعية الغارقة في وهاد الامّحاء والتواضع، والبذل والتضحية.

كانت تحدو الملك كبرياء عمياء، وكان يقرن عروض البذخ المفرط والمخزي، والمُتَع الوثنيّة، بمظاهر تَقوِيّةٍ كاذبةٍ، حريصًا على إبراز تفوّقه في كلّ شيءٍ، في حين كانت مواطنته «بينوات» أجيرةً لدى جيرانٍ ترعى أغنامهم، غير طامعةٍ إلاّ في نظر السماء التي كانت تحميها من تلوّث العالم، مضحّيةً بذاتها من أجل الخطأة، ومن أجل هداية ملكها الذي تجهله، في حين انحصرت مطامع العديدين من مواطنيها في أن يطالهم شعاعٌ ملكيٌّ بحظوةٍ، ولو على حساب كرامتهم، واستعبادهم لطقوسٍ مذلّةٍ. وفي حين استبحر الملك وبلاطه والزاحفون وراء حظوته الملكيّة في الملاهي، والحفلات،

والمآدب، والخلاعة، والمجون، انتشر بين أفراد الشعب، في المدن والقرى، الفقر والبؤس، بمواكبهما من مرضٍ، وعوزٍ، وجوعٍ، وضيقٍ، وقذارةٍ. وزاد مأساة الشعب حدّةً إمعانُ الجنود في عيث الفساد، وفي إعمال السلب والنهب والاغتصاب، التي لم تقتصر على البيوت والمزارع، بل امتدّت إلى الكنائس والأديرة.

من المحقّق أنّ أنوارًا متألّقةً أشعّت وسط تلك الظلمات، من خلال قدّيسين عظماء، أمثال «منصور دي پول»، و«فرنسيس ساليزي» و«جان أود» (EUDES)، ولاهوتيّين نيّري الفكر أمثال «بيرول» (BERULLE) و«أولييه» (J.J. OLLIER) و«لالّيمان» (Louis LALLEMENT). ولكن، بالمقابل، غدا العديد من الأساقفة صنائع للملك، غير مبالين بالرعاية الروحيّة، ولا همّ لهم سوى المنافع المادّيّة، والمصالح الخاصّة أو العائليّة، والتزلّف إلى الملك وبلاطه، طمعًا في حظوةٍ وجاهٍ، ما انتزع من القدّيس «منصور دي پول» هذه الصيحة الهلعة: «أخشى أن تجلب هذه المتاجرة المقيتة بالأسقفيّات، اللعنة على المملكة».

ولا بدع إن طلبت العذراء من «بينوات»، في هذا المناخ الموبوء، الصلاة بلا انقطاعٍ من أجل الخطأة، والتضحية من أجل خلاص وطنها والعالم.

ولا عجب إن عقدت السماء علاقةً فريدةً مع تلك الراعية البريئة، تلك النفس الناصعة، التي كُلّفت بمهمّةٍ خلاصيّةٍ خطيرة الشأن، إذ قلّما تواصلت العذراء مع إنسانٍ بمثل الأُلفة والحميميّة والتواتر، التي تواصلت بها مع «بينوات رانكوريل»، كي تُعدَّها للمساهمة في توبة الخطأة، جاعلةً من تلك القرويّة الأُمّيّة، مسيحيّةً نموذجيّةً، مستسلمةً، كلّيّةً، لمشيئة الله.

بدأت العذراء تطوير «بينوات» الروحيّ، بجعلها تدرك مدى وضاعتها وانغماسها في الخطيئة، بحيث أحجمت، في الثامن من حزيران ١٦٧٢، عن مسّ يد العذراء التي امتدّت لمصافحتها معترضةً: «أيّتها الأمّ الطيّبة، حاشى ليد كلبةٍ أن تلمس هاتين اليدين الجميلتين!».

واندفعت «بينوات» إلى الصلاة، بلا انقطاعٍ، من أجل

الخطأة. ولكنّ شعورها بثقل هذه المهمّة، التي تتخطّى طاقاتها، دفعها إلى التماس عون العذراء الدائم. كانت تنفق لا أقلَّ من اثنتي عشرة ساعةً، يوميًّا، في الصلاة. فتتلو خمس عشرة مسبحةً، وخمس عشرةورديّةً، وتردّد صلاة التبشير، وقانون الإيمان، وتنشد، بلا هوادةٍ، طلبات العذراء التي لقّنتها إيّاها المعلّمة السماويّة.

ملأت الصلاة نهاراتها ولياليها. كانت تصلّي وهي ترعى أغنامها أو تقوم بأعمالٍ يدويّةٍ. وتخصّص من الليل ثلاث ساعاتٍ للنوم، منفقةً باقي ساعات الليل في صلاةٍ حارّةٍ، حميمةٍ، خاشعةٍ، قلبًا لقلبٍ مع الله. كانت تبلّل بدموعها صلوات التكفير عن خطايا الآخرين، وتدعم هذه الصلوات بارتدائها المِسح، وبالأصوام، والأسهار، وبكلّ التضحيات التي تستطيع إليها سبيلاً. ثلاث غاياتٍ كانت موضع صلواتها: ارتداد الخطأة، والنفوس المنتظرة في المطهر، وصون طهرها.

أحيانًا تحدّد لها العذراء خطأةً معيّنين، تطلب منها الصلاة

من أجلهم، وحجّاجًا يؤمّون «لوس»، وتخشى العذراء تردّيهم إلى الهلاك.

وقد تدعوها العذراء إلى التضحية بمتَعٍ بريئةٍ. فقد اتّفق أن أهداها حاكم منطقة «غاپ» (Gap) ثوبًا جميلاً، سُرّت «بينوات» به، وارتدته لحضور قدّاس منتصف الليل. ولكنّ العذراء طلبت منها الإقلاع عن ارتدائه، لئلاّ يكون لها مدعاة غوايةٍ، فلبّت رغبتها بلا تردّدٍ، ليقينها بأنّ التكفير عن الخطأة يقتضي التضحية بكلّ متعةٍ عالميّةٍ، واحتمال تضحياتٍ موجعةٍ.

إنّ تضحيات النفوس السخيّة مطلوبةٌ دائمًا، إسهامًا في إكمال عمليّة الفداء المستمرّة، وتكفيرًا عن سيل الخطايا المرتكبة في العالم، و«بينوات» هي إحدى تلك النفوس التي لبّت دعوة التضحية والتكفير، تلبيةً بطوليّةً.

أُعجوبةٌ قضت على مقاومة الإكليروس

غدت أحداث «لوس» تغذّي أحاديث ليالي الشتاء الطويلة. وفي مطلع ربيع عام ١٦٦٥، وبمناسبة عيد القدّيس يوسف، غزا مصلّى «لوس» حشدٌ من الزائرين، اختلط فيه ورِعون وفضوليّون، وتعالت الصلوات ملتمسةً عون العذراء والقدّيس يوسف. وتكرّر المشهد عينه يوم عيد البشارة. كانت الجموع تتحلّق حول «بينوات»، وتمطرها بوابل الاستفسارات. وما إن تخلو الفتاة بنفسها، حتّى تلوذ بأمّها السماويّة، ملتمسةً عونها ومساندتها.

وكان القدّيس يوسف يظهر لها، أيضًا، ويقال إنّه ظهر لها ستّ مرّاتٍ، مشدّدًا عزيمتها، موجّهًا وناصحًا إيّاها بالصبر الجميل، في أثناء رعايتها لماشيتها.

وكانت تستمدّ مزيدًا من القوّة بتعبّدها أمام القربان

المقدّس، وبما أنّ ذلك كان يتعذّر عليها في أثناء النهار، من جرّاء انشغالها برعاية القطيع، فكانت تقصد الكنيسة، ليلاً، وتركع أمام بابها، وتصلّي خاشعةً. وفيما كانت على هذه الحال، ذات ليلةٍ من شهر نيسان، شاهدت موكبًا مضيئًا يتقدّم نحوها، قوامه حشدٌ من حاملي المشاعل ينشدون الترانيم. وفي تلك اللحظة ظهرت لها العذراء، وقالت لها: **«امضي فأيقظي أترابك، وواكبنَ التطواف إلى «لوس» مرتّلاتٍ الطلبات»**.

كان القادمون قد ساروا نحو عشرين ساعةً، وقطعوا زهاء أربعين كيلومترًا. ولا ريب أنّ انضمام شبيبة «سانت إيتيين» إليهم قد شجّعهم على متابعة تصعيدهم صوب «لوس». ذاك التطواف كان تطواف خطأةٍ نحو خلاصهم، وتطواف مرضى نحو شفائهم. وبالفعل، كان بين الحجّاج مُقعدةٌ، ما إن وصلت إلى مصلّى «لوس» حتّى ألقت عكاكيزها جانبًا، وانطلقت تمشي، شاكرةً، معلنةً شفاءها.

وشهد شهر أيّار تزايدًا في إقبال حجّاجٍ يدفعهم إيمانٌ

مضطرمٌ، ورغبةٌ في نعمٍ روحيّةٍ وجسديّةٍ. وكثرت الأشفية العجيبة. وشوهد بين روّاد الحجّ الكاهنان «پيتيو» (Peytieu) و«غايّار» (Gaillard) اللذان ارتبط اسمهما بظاهرة «لوس» ارتباطًا وثيقًا.

قدم الأب «پيتيو» إلى «لوس» للمرّة الأُولى، يوم سبت النور من عام ١٦٦٥، شابًّا، ولكن مصابًا بعلّةٍ رئويّةٍ التمس الشفاء منها، ونال ملتمسه. ومنذ ولوجه المصلّى استنارت نفسه، فأدرك «بؤسه وعدم أهليّته»، وشدّه جاذبٌ لا يُقاوَم إلى اللّه، ومقتٌ شديدٌ للشيطان، والعالم، والجسد. وبما أنّه كان لاهوتيًّا مجازًا، ذكيًّا، فما لبث أن تبيّن أنّ «بينوات» هي أداةٌ بيد اللّه، صقلتها العذراء. ثمّ عاد، بعد أربع سنوات، كي يكرّس نفسه، نهائيًّا، وكلّيّةً، لخدمة مزار «لوس».

أمّا الأب «غايّار»، الذي كان مسؤولاً عن كاتدرائيّة «غاپ» (GAP)، فقد جاء في النصف الثاني من شهر آب. وكان في الرابعة والأربعين من عمره. وما إن اقترب من مصلّى

«لوس» حتّى التمس ثلاث نِعَمٍ روحيّةٍ ظفر بها. وبعد أَن سمع ورأى، لم يتلكّأ في الاقتناع، ثمّ أَصبح واحدًا من مؤرّخي «لوس» الأَساسيّين، الذين انضمّ إليهم، عام ١٦٦٩، الأب «هيرميت» (Hermitte)، الذي تولّى، أَيضًا، خدمة الحجّاج، وسماع اعترافاتهم.

وكانت قد ذاعت رواياتٌ عن أَحداث «لوس» المعجزة، ولم يخلُ بعضٌ منها من المغالاة والتشويه، فطالب الأَب «غايّار»، النائبَ الأُسقفيّ باتّخاذ موقفٍ كنسيٍّ مُعلَنٍ، وأَمر النائب الأُسقفيّ بتحقيقٍ، فقدم إلى «لوس»، في ١٦٦٥/٩/١٤، لهذه الغاية، وفدٌ ضمّ النائب الأُسقفيّ (Lambert)، والأب «جيرار»، رئيس معهد اليسوعيّين، و«جان بونّافون» (Bonnafons)، أَمين سرّ المقرّ الأُسقفيّ، وقد انضمّوا إلى رهطٍ من أَعيان المنطقة، وبلغ عدد مجموعهم أَربعةً وعشرين شخصًا.

ارتعبت «بينوات»، فكيف لها، وهي القرويّة الجاهلة الهشّة، أَن تواجه أولئك السادة، ذوي العلم والسلطان،

المصمّمين على محوها. وخطر لها أَن تفرّ منهم، وتنجو بنفسها من أَذاهم. ولكن، أَلن يُفسَّر فرارها اعترافًا بكذبها ودجلها، وأَلن يكون مقاومةً لكلّ مخطّطات العذراء، وللظاهرة برمّتها؟ وكان لا بدّ من تدخّل العذراء، في سبيل تهدئة روعها، وتوجيهها، فأوعزت لها بالصمود، ونفي فكرة الفرار، والعمل على إِقناع المسؤولين الكنسيّين بصدق الظاهرة، قائلةً:

– «**لا تخافي... سيستجوبونك الواحد تلو الآخر، وسيجهدون في إيقاعك في تناقض أَقوالك، لا بل قد يُحقّرونك بشتّى الوسائل، لكي يلقوا الاضطراب في نفسك. وسيعلنون أَنّ رؤاك ما هي إِلاّ جنونٌ، وتخيّلات دماغٍ فارغٍ، وتخرّصاتٌ تستهدف خداع العالم... وسيعلنون عزمهم على تدمير المصلّى وإِحراقه، مؤكّدين قدرتهم على تنفيذ عزمهم. ولكنّهم لن يقووا على ذلك، ولا على سجنك. وعندما سيهمّون بالمضيّ كي يرسلوا من يقبض عليك، سيحول المطر دون تحقيق ما وطّنوا عليه عزمهم**».

وفي مقابل نوايا المحقّقين الخبيثة، لوّحت العذراء بقدراتها:

- «**قولي للنائب الأُسقفيّ أَنّ بمقدوره إِنزال اللّه من السماء، عملاً بالسلطة التي يوليه إِيّاها كهنوته، ولكن لا سلطان له على أُمّ اللّه!**».

وقد استهلّ النائب الأُسقفيّ وجوده في «لوس» بالصلاة، بضع دقائق، في المصلّى، ثمّ استدعى «بينوات» للمثول أَمامه. وشرع الأب «جيرار» باستجوابٍ دقيقٍ مُحكَمٍ، محشوٍّ بالفخاخ الرامية إلى إِبراز تناقض أَقوال الراعية وزيفها. ولكنّ صراحة «بينوات»، ومناعة ذاكرتها، قد فشّلت كلّ حِيَل الكاهن العالم، فلم تتردّد، لحظةً، في تأكيد ما رأت وسمعت، مجيبةً بوضوحٍ، وهدوءٍ، وثقةٍ، بلا اضطرابٍ ولا تردّدٍ، غير متيحةٍ للمحقّق إِصابة أَيّ هدفٍ.

حينئذٍ، استشاط النائب الأسقفيّ غيظًا، معلنًا أَنّ كلّ ما أَدلت به الراعية هو كذبٌ صرفٌ، وأَنّه، هو لم يأتِ لكي يبارك رؤًى وأوهامًا... بل لكي يدمّر هذه التخرّصات ويعاقب الفتاة المخادعة. وخلافًا لطبيعتها الانفعاليّة، لم تلجأ «بينوات»

إلى الدفاع الحادّ، بل اعتصمت بسلاح الصراحة، وتسلّحت بقول العذراء، وأَجابت:

– «لقد أَنذرتني العذراء بنواياكم، وإِنّي أُصلّي من أَجلكم. بوسعكم إِنزال اللّه من السماء، بقدرة الكهنوت التي وُهبتموها، ولكن لا سلطان لكم على أُمّ اللّه».

كان لهذه العبارات التي تفوّهت بها فتاةٌ جاهلةٌ، بثقةٍ مطلقةٍ، وبصدقٍ تجلّى في عينيها وعلى محيّاها، تأثيرٌ بالغٌ على النائب الأُسقفيّ وأَعوانه، وإِن هم جهدوا في إِخفائه. وقرَّر النائب الأُسقفيّ إِرجاء إِصدار حكمه، ولكنّه حذّر الفتاة، ثانيةً، من عاقبة الكذب الوخيمة، ومن عقابٍ شديدٍ، وطلب منها أَن تلتمس من الربّ والعذراء إِظهار الحقيقة له، من خلال إِشارةٍ أَو أُعجوبةٍ. فشكرته، وأَكّدت أَنّها ستصلّي من كلّ قلبها، وفقًا لطلبه.

وفي الغداة، ١٥ أيلول، تابع النائب الأُسقفيّ تحقيقه، وأَعطى تعليماتٍ واضحةً لخنق الظاهرة. وكان عاقدًا العزم على توقيف الراعية، وإِقفال المزار. وعندما همّ، بعد ظهر يوم

١٦ أيلول، امتطاء جواده والعودة لتنفيذ ما عزم عليه، هطلت أَمطارٌ من الغزارة بحيث حالت دون سفره. وتكرّر الحدث ذاته يوم ١٧ أَيلول، إذ، حالما همّ النائب الأُسقفيّ وصحبه بامتطاء دوابّهم، تأهُّبًا للسفر، انهمر المطر مدرارًا، ومنعهم من تحقيق مبتغاهم، وتحقّق بحذافيره إنباء العذراء. وقد لاحظ المؤرّخون، بدهشةٍ، أَنّ المطر، في تلك الأَيّام، لم يهطل إلاّ حيث كان النائب الأُسقفيّ، فيما لم يكن له أَثرٌ في سائر أَنحاء المنطقة.

في الساعة الثامنة من صباح ١٨ أَيلول، كان النائب الأُسقفيّ يقيم قدّاسًا قبل مغادرته «لوس». ولدى إشراف القدّاس على نهايته، علا ضجيجٌ حول المصلّى، وبرزت من الضوضاء صيحة «معجزة»، وكانت تردَّد بنبرة فرحٍ وانتصارٍ. وانتاب النائبَ الأُسقفيّ تأثُّرٌ مفاجئٌ استدرّ من مآقيه دموعًا غزيرةً بلّلت غطاء الهيكل. فقد خضّت النعمةُ قلبَه، وأَعدّت ذهنه لتقبّل المعجزة. وما لبث أَن دوّن، هو ومعاونوه، محضرًا دقيقًا مفصّلاً عن شفاء المدعوّة «كاترين ڤيال» (Vial)، بعد استماعهم لشهودٍ أَيّدوا شهادتهم بقسمٍ.

كانت كاترين المذكورة، وهي فتاةٌ في الثانية والعشرين من عمرها، قد وافت إلى «لوس»، في الرابع من أَيلول، برفقة أُمّها وأَخيها وخالتها. ومنذ التاسع من أَيلول باشرت معهم تساعيّة صلواتٍ عن نيّة شفائها. فقد كانت تعاني، منذ ستّ سنواتٍ، تقلّصًا في عضلات ساقيها، أَدّى إلى ارتدادهما إلى أَسفل ظهرها، والتصاقهما بمؤخرتها التصاقًا لزيزًا لا يسمح حتّى بمرور شفرة سكّين. وفي «لوس»، حلّت، مع ذويها، ضيوفًا على أُسرةٍ كان أَفرادها يتعاونون على حملها، كلّ يومٍ، إلى المصلّى، حيث كانت توضع فوق منضدةٍ، جالسةً على ساقيها المطْويّتَيْن، حتّى ظنّ كثيرون ممّن شاهدوها على هذه الحال أَنّها فقدت ساقيها. وكانت تلك العلّة قد سبّبت تصلّب ركبتيها، وارتخاء عضلاتها السفليّة. وقد أُجريت محاولاتٌ يائسةٌ لبسط ساقيها سُدًى. وأَكّدّ طبيبان بروتستانتيّان استحالة شفائها، وبلغت ثقة أَحدهما بتشخيصه أَن أعلن استعداده لاعتناق الكاثوليكيّة، إِن انتصبت تلك الفتاة، يومًا، على قدميها. ومع ذلك، كان لدى كاترين من الإِيمان ما دفعها إلى «لوس»، التماسًا للشفاء.

انتهت تساعيّة الصلوات يوم الخميس، ١٧ أَيلول. وفي ليلة الخميس الجمعة، كانت كاترين راقدةً مع أُمّها، وإِذ بها تصيح، في منتصف الليل: «فليُمجَّد اللّه، يا أُمّاه، فليُمجَّد اللّه، لقد انبسطت ساقاي». وطلبت إِشعال المصابيح. وظنّ مضيفوها أَنّها تحلم، ولكنّها أَكّدت: «لا، لست أَحلم، بل أُريد تمجيد اللّه، وتقديم الشكر له». وجيء لها بكتاب صلواتها كي تتلو صلوات الشكر. وعند الساعة الثامنة، قصدت المصلّى، سائرةً على قدميها، يسندها شخصٌ من كلّ جانبٍ، وبلغت صيحات فرح مرافقيها إلى مسامع النائب الأُسقفيّ، الذي عدل عن مشروع السفر، كي يجري تحقيقًا في شفائها المعجز، الذي رأى فيه الإِشارة التي طلبها، ويأخذ، بشأن حدث «لوس» و«بينوات»، قرارًا صائبًا. وكانت «بينوات قد صلّت لهذه الغاية، واستجابت العذراء في اللحظة الأَخيرة. وسرعان ما ذاع نبأ المعجزة في كلّ أَرجاء الوادي. وبعد شهرٍ، عادت كاترين إلى «لوس»، يواكبها معظم أَبناء قريتها، كي تجدّد آيات الشكر. كانت هي تتقدّم

الموكب، واجتازت مسافة نحو خمسين كيلو مترًا، بهمّةٍ، وفرحٍ، وبلا توقّفٍ.

وهكذا، بمساعدة العذراء، أَقنعت «بينوات» رجال الكنيسة، بصدق الظاهرة.

مشروع المزار يتحقّق

شهد ربيع عام ١٦٦٦ تزايدًا ملحوظًا في عدد الحجّاج، والتطوافات، والأَشفية. وغالبًا ما أُقيمت القداديس في الهواء الطلق، لأَنّ المصلّى لم يكن يتّسع لحشود الجموع. وأَمست إِشادة المزار الذي طلبته العذراء حاجةً لازبةً.

في الأَوّل من تمّوز، قدم إلى «لوس» النائب الأُسقفيّ، مصحوبًا بفريقٍ من البنّائين، عازمًا على بناء «كنيسةٍ صغيرةٍ، تحتوي هيكلين أو ثلاثة هياكل»، بحيث يمكن الاحتفال، فيها، بقدّاسين أَو ثلاثةٍ، في آنٍ واحدٍ.

لم يرتضِ الأَب «غايّار» كنيسةً ضيّقةً، فناقش، بالأَمر، النائب الأُسقفيّ الذي ادّعى أَنّ الحماس الذي تحاط به ظاهرة «لوس» لن يدوم أَكثر من عشر سنواتٍ، ثمّ يتراخى، فلا مبرّر لكنيسةٍ كبيرةٍ. ولكنّ الأب «غايّار» اعترض، مؤكّدًا

أَنّ الظاهرة ستدوم أَكثر من كليهما. وأَخيرًا، تنازل النائب الأُسقفيّ، فوافق على أَن تكون أَبعاد الكنيسة أربعةً وعشرين مترًا طولاً، وعشرة أَمتارٍ عرضًا. وصمت الأَب «غايّار»، مضمرًا عزمه على جعل البناء أَكبر ممّا تكرّم به النائب الأُسقفيّ. وعند بدء الأَعمال دوّن الأب «غايّار» في يوميّاته: «عندما شرعنا بحفر الأَساسات، لم يكن لدينا أَيّ مالٍ».

في الأَيّام الأُولى، دُفعت أُجور العمّال بالدريهمات التي كانت بحوزة المعاونين. وعندما نفدت، وقرّر العمّال إِيقاف العمل، أَطلق الأَب «غايّار»، وثلاثةٌ من معاونيه، حملة جباية تبرّعاتٍ، مستخدمين أَربع علب صفيحٍ. ومنذئذٍ، توفّرت، دائمًا، المبالغ الضروريّة لابتياع الموادّ، ولدفع الأُجور، مع أَنّ مجموعها بلغ بضعة آلافٍ من الليرات. وتحقّقت نبوءة العذراء، إِذ وفّرت دراهم الفقراء كلّ ما يلزم، ولم ينقص شيءٌ. وفيما كان الملك والمتزلّفون له يتبارون في البذخ الفاحش والوقح، كانت أَكواخ الفقراء محطّ إِيثار العذراء، حيث ظلّت عاكفةً على تثقيف وصقل مختارتها «بينوات»،

التي كانت تتقدّم، ببطءٍ، على دروب الفهم والقداسة، بفضل نِعَمٍ استثنائيّةٍ.

كان الفقراء يجودون بكلّ ما يتيسّر لهم من مالٍ زهيدٍ أو وفيرٍ، ويتبرّعون بجهد سواعدهم، وعرق جبينهم. وقد تمّ وضع حجر الأَساس في خريف عام ١٦٦٦، بإِشراف الأب «غايّار». ولمّا جاء النائب الأُسقفيّ ومعاونوه، متفقّدين تقدّم أَعمال البناء، كانت الجدران قد ارتفعت إلى علوّ أَربعة أَمتارٍ، وأَخذت تتخطّى موقع المصلّى القديم، متجاوزةً الأَبعاد التي كان قد أَقرّها النائب الأُسقفيّ. فقد كان الأَب «غايّار» مصمّمًا على أَن يضمّ إليها المصلّى القديم ويجعل منه موقع الهيكل الرئيس، مضيفًا إلى المساحة التي أَقرّها النائب الأُسقفيّ ستّة أَمتارٍ، تحقيقًا لرغبة العذراء في كنيسةٍ كبيرةٍ، لها ما يجب من الأَبعاد.

وردًّا على اعتراض بعضهم بأَنّ بناء كنيسةٍ بهذا الحجم سيقتضي مبالغ طائلةً، تعهّد الأَب «غايّار» بإِكمال المشروع في غضون أَربع سنواتٍ، أو في مهلةٍ أَقصاها ستّ سنواتٍ،

مؤكّدًا استعداده للتنازل عن بيته، ومكتبته، ورواتبه، إِن دعت الحاجة لذلك. وكان له ما أَراد، ونهضت الكنيسة مكتملةً، بالأَبعاد التي شاءتها العذراء، في غضون أَربع سنواتٍ.

في هذه الأثناء، لم تقتصر «بينوات» على الصلاة، بل دأبت على استدرار سخاء الحجّاج، والمساهمة، أَحيانًا، في العمل بساعديها، وعلى تشجيع العمّال، الذين كان عددهم يتراوح بين مئةٍ ومئةٍ وعشرين عاملاً يوميًّا، وقد أَخذت على عاتقها تقديم الطعام لهم بانتظام.

لم تكن الكنيسة الجديدة كاتدرائيّةً فخمةً، بل كانت صرحًا متواضعًا، يوحي بالطمأنينة والصلاة، مثلما شاءت العذراء، ولاسيّما بعد أن احتلّ مصلّى «سيّدة اللقاء السعيد»، حيث غالبًا ما تراءت العذراء لبينوات، موقع الهيكل الرئيس. ولقد أَضحى ذلك المزار ملاذ خطأةٍ وتائبين، ونبع نِعَمٍ لمحتاجين ملتمسين، تمثّل فيه العذراء بيت قربانٍ حقًّا، وباب السماء الحقّ.

تصعيد «بينوات» الروحيّ

عندما اكتمل بناء كنيسة «لوس»، عام ١٦٦٩، كانت «بينوات» قد بلغت الثانية والعشرين من سنيها، مواصلةً مسيرة تصعيدها الروحيّ المستمرّة. ففيما كان بناء الكنيسة يرتفع، حجرًا حجرًا، كان بناءٌ روحيٌّ يكتمل في نفس «بينوات». كانت قد اختيرت لأَنّها من أَشدّ الفقراء فقرًا، ولكن، كان لا بدّ لها من أَن تكون على مستوى الاختيار. وقد انحنت العذراء على هوّة فقرها الروحيّ، وأَخذت بيدها كي تواكب تسلّقها قمّة الكمال، وبمشقّةٍ، وصبرٍ، ومثابرةٍ، وتجرُّدٍ مستمرٍّ. فالتصعيد الصوفيّ يقتضي التضحية بالذات، والاستسلام لغزو الله. وفيما يتمّ التجرّد من الذات، تتفتّح الفضائل، وتزدهر تحت نور الروح. ولا ريب أَنّ ما حقّقته تلك الراعية القرويّة الخشنة قد تمّ بفضل قيادة العذراء التي تجلّت من

خلال نِعَمٍ استثنائيّةٍ، ونصائح تُسدى في أَثناء الظهورات، وتوجيهاتٍ واضحةٍ بواسطة الملاك، ودروسٍ تهدف إلى إصلاح سلوكٍ خاطئٍ. وبانصياعها لهذا التثقيف، كانت «بينوات» تساعد على تثمير وتقويم الخصال الفطريّة التي حظيت بها، مثل الطهر، وروح الطفولة، والبساطة، وتحسّس أَوجاع الغير، والتعاطف معهم. وهكذا كانت تتوغّل في حياةٍ صوفيّةٍ يهيمن عليها حضور الله وحبّه.

كانت، من غير أَن تدري، تستغرق في التأمّل الخاشع، فارضةً، بيُسرٍ، الصمت على فكرها المنزّه من كلّ تعقيدٍ، متيحةً لقلبها فسحة الكلام. هذا الموقف التأمّليّ كان يضفي على محيّاها، وعلى كلّ كيانها، أَمارات الفرح، والسكون، والطمأنينة.

ومن أَمثلة الدروس التي تلقّتها «بينوات»، في هذا المجال، أَنّ ملاكها الحارس كان قد أَنبأها، عام ١٦٦٥، أَنّ شخصًا تعرفه يتعرَّض لتجربةٍ قاسيةٍ، وطلب منها مساعدته على الصمود. ولكنّ «بينوات»، بسبب مقتها التدخّل في شؤون

الغير، تلكّأت عن تحقيق طلب الملاك، وعندما وطّنت عزمها على تنفيذ طلبه، كان الأوان قد فات. وحينئذٍ، ظهرت لها العذراء، وقالت لها:

– «**بسبب إِحجامك عن مؤازرة ذلك الشخص، وعقابًا لك على عصيانك أَمر الملاك، ستُحرمين من مشاهدتي، فترةً طويلة**».

كانت «بينوات»، حينذاك، في الثامنة عشرة من عمرها، وعاملتها العذراء معاملة ولدٍ. وقد أَبكاها عقاب الأُمّ السماويّة، فظلّت، أَيّامًا عديدةً، لا يجد العزاء إلى نفسها سبيلاً، وكادت تقضي نحبها غمًّا، حسب أَقوال الشهود.

ولطالما لقّنتها العذراء دروسًا من هذا القبيل، معلّمةً إِيّاها عدم التردّد في أَداء الواجب، ونبذ الحياء البشريّ الذي يمنعها، أَحيانًا، من قول الحقيقة. وكانت العذراء تعاقبها بغيابها عنها، كلّما ارتكبت مثل هذه الأَخطاء. وكان هذا العقاب من أَكثر العقابات التي لا تطيق لها احتمالاً.

ولطالما دعتها العذراء إلى مقاومة شرود الذهن، والحفاظ

على الصمت الداخليّ الذي يساعد على سماع كلام اللّه، وإلى الإِقلاع عن الثرثرة كلّما استفسرها الفضوليّون عمّا يجري لها. فمن شأن الثرثرة إِضعاف روح الخشوع.

ومنذ عام ١٦٧٠ أَمست العذراء أَشدّ حزمًا في إِصلاحها، وتقويم عيوبها. ففي ٢٦ آذار من تلك السنة، قالت لها:

– «**يا ابنتي، بما أَنّك لم تحتملي، بالقدر الوافي من الصبر، عيوب أَخواتك، فلن تريني مدى شهرين ونصف**».

وطلبت منها، تكفيرًا عن تقصيرها، أَن تزور، يوم الخميس العظيم، القربان المقدّس الذي كان معروضًا للعبادة في كنائس عديدةٍ. ثمّ نصحتها بألاّ تستبدل معرّفها. وهكذا قضت «بينوات» زمن صومٍ كئيبًا، وهي تتأمّل في واجب الصبر، والمثابرة، ومستغرقةً في العبادة.

على هذا النحو مضت مسيرة «بينوات» على طريق الكمال، عبر دروب الحرمان المتمثّل في غياب العذراء عنها، والإِصلاح بواسطة التأنيب الحازم، والتكفير بأَعمال التوبة، والصلوات، فضلاً عن تضحياتها المألوفة المستمرّة.

ولكن يجدر بالتنويه أَنّ تلك الفتاة القرويّة التي أَلِفت، في صغرها، التقويم المنزليّ القاسي، والعقابات الجسديّة العنيفة، أَحيانًا، كانت تشعر بأَنّ إصلاح الأُمّ السماويّة، وتأنيبها لها، كانا يتمّان في كثيرٍ من الرقّة، فلا تأخذهما، دائمًا، مأخذ الجدّ. ولا ريب أَنّ ما بلغته، مع ذلك، من تقدّمٍ روحيٍّ، لدليلٌ على نِعَمٍ كبرى أَسبغتها عليها المعلّمة السماويّة.

لقد اقتادت العذراء تلك النفس على دروب الحبّ الإلهيّ، نحو جبل الله. فجرّدتها من كلّ أَرضيٍّ يحول دون الاتّحاد الصوفيّ، وأَغنتها بأَشدّ الفضائل قسوةً: كالصبر، والتواضع، والخضوع لمشيئة الله، فانتظمت قواها النفسيّة، ورُوّضت في نور الله وحبّه.

ولمّا حلّ عام ١٦٧٣، كانت قد زيّنتها النعمة، وطهّرها الأَلم، وسكنها السلام، وتحرّرت إِرادتها من كلّ قيدٍ أَرضيٍّ، واضطرمت حبًّا لمخلّصها، وباتت متأهبّةً لسماع صوته. ولكنّ الشرّير حاول القضاء عليها، قبل بلوغها غايتها.

إِبليس يصارع «بينوات»

من أَشدّ المِحَن التي يتعرَّض لها بعض مختاري اللّه قسوةً، هي المِحَن الشيطانيّة.

وقد سمح اللّه أَن تتعرَّض «بينوات» لهذه المحن، كي، بانتصارها عليها، تكتسب مناعةً، وقوّةً، وعلاقةً أَشدّ ثقةً باللّه. وقد أوسع إِبليس تلك الفتاة الراعية المختارة اضطهاداتٍ من كلّ لونٍ، جاهدًا في إِفساد نفسها، وفصلها عن المسيح، وإِقصائها عن ملكوت اللّه، شانًّا عليها حملةً إِثر حملةٍ، بلا هوادةٍ، مرتديًا في كلّ حينٍ زيًّا، حتّى زيّ الخير، أَحيانًا، بقصد التضليل.

لقد أَثارت النعم التي أغدقتها أُمّ اللّه على تلك النفس سخط عدوّ اللّه، فشنّ هجماته على جبهتين: نفس «بينوات»، وظاهرة «لوس».

وقد بدأ بمحاولة تدمير الدرع التي كانت تتقوّى بها الفتاة، وهي درع البراءة والطهر، فبذل جهودًا مستميتةً من أَجل تلطيخ براءتها، ما زادها حرصًا عليها، وصلاةً من أَجل صونها.

حداثة سنّ «بينوات» ووهن ذكائها كانا يجعلان منها ضحيّةً يسهل إِرهابها، وزرع الاضطرابات في نفسها، فكثرت ظهورات الشرّير لها بأَشكالٍ مريعةٍ أَحيانًا، وبريئةٍ أَحيانًا أُخرى. ولكن لم يكن من العسير على «بينوات» اكتشاف زيفها من خلال تفاصيل صغيرةٍ. كانت تستشفّ الجوهر من خلال ما يرمز إليه المظهر. ففي مظهر الذئب كانت تستشفّ المفترس، وفي الضفدع البشع النتن كانت تستشفّ بشاعة السريرة. وكانت ترى في الكلب عدوًّا متأهبًّا للعضّ، وفي العنزة كائنًا خبيثًا صاحب نزواتٍ. وكانت تقرأ في بشاعة كلّ كائنٍ يظهر لها انحطاط طبيعته، وفي توتّره ثورة حقده، وفي تشعّث شعره سورة غضبه، وفي مخالبه شراسة عدائه، وفي جراحه فساد كيانه.

وكانت تطرد هذه الكائنات الشرّيرة برسم إِشارة الصليب، وإِن هي عادت، كانت ترشّها بالماء المقدّس. وقد رأت، في نومها، ذات ليلةٍ، حيّةً مفرطة الطول، لها رأس كلبٍ، وعينان ملتمعتان، وشدقٌ متأهّبٌ للّدغ. وجهدت في الوصول إلى إِناء الماء المقدّس، ولكنّ الحيّة هدّدتها بالتهامها إِن هي استخدمته. غير أنّ الفتاة، تمكّنت، بعد لأيٍ، من رشّ ذلك الماء على الحيّة التي أَطلقت من شدقها لهبًا، وانسحبت، مخلّفةً رائحةً خانقةً.

وبمناسبة عيد ميلاد عام ١٦٧٣ طال انتظار «بينوات» لزيارة العذراء، وإِذ بطفلٍ لا يتعدّى عمره سنتين يتراءى لها قائلاً: «لقد سهرتِ الليل كلّه كي تري الأُمّ السماويّة، وها إِنّك تشاهدين ابنها». فارتعشت «بينوات» خشيةً، إذ إِنّ محدّثها لم يكن يملك شيئًا من بهاء ابن العذراء، ولا من رقّته وعذوبته. وعندما تبيّن الشرّير افتضاح أَمره، استشاط غيظًا، وحطّم على الحائط قدرًا فخّاريَّةً كانت الفتاة تُعِدّ فيها حساءً لرفيقاتها، وفرّ من النافذة، مطلقًا لهبًا ملأ الحجرة، ومخلّفًا رائحةً كريهةً لا تُطاق.

وفي نوبةٍ أُخرى، ظهر لها، في عزّ الليل، طفلٌ ينتحب، وما إِن رسمت الفتاة إِشارة الصليب حتّى ولّى هاربًا، وسط ضجيجٍ مصمٍّ.

ولطالما مثّل الشرّير حركاتٍ فاسقةٍ، ساعيًا إلى النيل من طهر «بينوات». وبما أَنّ الفتاة كانت قد أَلفت اللجوء إلى حقل قمحٍ للتأمّل والصلاة، فقد اختطفها إِبليس في شهر تمّوز ١٦٧٠ إلى حقل قمحٍ يقع خلف مسكن الكهنة، على مقربةٍ من الطريق العامّ، مدّعيًا أَنّ له عليها سلطانًا مطلقًا، بدليل أَنّه لم يختطفها إلى غابةٍ أو قفرٍ، حيث يتعذّر العثور عليها، بل جاء بها إلى حقلٍ ملاصقٍ لسكن الكهنة ولطريقٍ يذرعه الكثيرون، جيئةً وذهابًا، وحيث يسهل للمارّة سماعها إِن هو سمح لها بالكلام، أو بمجرّد التنفّس.

غيابها فاجأ القوم، وأَقلقهم. فنشط البحث عنها في كلّ مكانٍ، وفي كلّ قرى الجوار. وراحت أُمّها تبحث عنها مردّدةً صيحات قلقها على جناح كلّ ريحٍ، منتحبةً ومفجوعةً. وكرّت الأَيّام، و«بينوات» راقدةٌ في الحقل، تكتوي بالهجير

نهارًا، وترتعد قرًّا في الليل، عاجزةً عن الحركة وعن إصدار أيّ صوتٍ. والشرّير لا يني يهدّدها، مردّدًا: «أنت في قبضتي، ولن يقوى أَحدٌ على إنقاذك. فهبيني ذاتك، وإلاّ لن تخرجي من هنا إلاّ ميتةً. هبيني ذاتك، تنالي كلّ ما تشتهين، ولن ينقصك شيء».

وكيف لها أن تهب الشرّير ذاتها، وقد ارتبطت بالله ارتباطًا لا انفصام له! وما انفكّ الشرّير دائبًا على غوايتها، وتعذيبها، وكانت ترافق أَقواله روائح إنتانٍ كفيلةٌ بالقضاء عليها، لولا عون الله.

إلى جانب الآلام الجسديّة: من جوعٍ وعطشٍ، وحرٍّ وقرٍّ، وعجزٍ عن الحركة والكلام، كانت «بينوات» عاجزةً حتّى عن الصلاة، وتعاني آلام التخلّي الداخليّ. عزاؤها الوحيد كان في زيارات ملاكها الحارس المتواترة التي كانت تأتيها بالتشجيع والدعوة إلى الصبر والصمود، والتأكيد بأن ليس للشرّير سلطةٌ على إرادتها، ولا على نفسها. هذه الزيارات كانت تزوّدها بشجاعةٍ راسخةٍ، وتضرم قلبها حبًّا لله. ولذلك

كان الأبالسة، كلّما زارها ملاكها الحارس، يمعنون هياجًا وصراخًا، وضجيجًا مروّعًا.

تلك المحنة دامت خمسة عشر يومًا. وذات يومٍ إذ كان الكهنة عائدين إلى مسكنهم، لحظ أَحدهم حركةً بين سنابل القمح، في حين لم تكن، ثمّة، أَدنى هبّة نسيمٍ، فدنا ووجد «بينوات» في حالة خوَرٍ ذريعٍ، تحاكي الاحتضار. وقد جهد مع زميله في حملها، ولكن سرعان ما تبيّنا أنّها كانت من الثقل بحيث عجزا عن تحريكها. وسارع أَحدهما فتزوّد بأدوات التعزيم، وأَمر الشيطان بالخروج منها. وحينئذٍ، وقد تحرّرت، مضيا بها إلى الكنيسة لتقديم الشكر لله، وأَعطياها طعامًا وشرابًا لإنعاشها.

كان إِبليس قد أَوسعها تنكيلاً، ولكنّه لم يستطع النفاذ إلى الملجأ السّريّ، حيث تختزن موارد الرجاء والإِرادة التي ساعدتها على مقاومة اضطهادٍ رهيبٍ. وكانت تلك المحنة حلقةً بارزةً في سلسلة صراع تلك النفس مع قوى الجحيم.

لقد ادّعى البعض أَنّ تلك الحملات الشيطانيّة لم تكن

واقعيّةً، بل مجرّد كوابيس. ولكن حتّى لو صحّت هذه الفرضيّة، لكانت كفيلةً بتحقيق أَهداف الشرّير الذي كان يبتغي إِبعادها عن رسالتها لدى الخطأة. وحتّى لو تبيّن أَنّ تلك الكوابيس هي نتيجة مرضٍ عصبيٍّ أو ذهنيٍّ يستدعي إِيداعها مصحّةً أو ديرًا، لكان الشرّير قد بلغ أَربه. ولكن من المحقّق أَنّ شهودًا موثوقين كُثُرًا قد رأوا آثار ضربٍ وتمزيقٍ على جسدها، تستبعد عزوها إلى مجرّد كوابيس.

ومن المؤكّد، أيضًا، أَنّ هذه المِحَن واحتمال «بينوات» لها بصبرٍ بطوليٍّ، قد ساهمت في تطهير نفسها، وفي إِكسابها مناعةً واستحقاقًا لنعمٍ تفيض على الحجّاج.

وكانت العذراء قد أَنبأتها: «**ليس للأبالسة من سلطانٍ على نفسك، إلاّ إِذا استجبتِ لطلباتهم**». والشرّير نفسه اعترف: «لولا وقاية السيّدة الكبيرة، لكنّا أودينا بك إلى الهلاك».

وخليقٌ بالتنويه أَنّ هذه المحن قد اشتدّت في السنوات الثلاث التي عقبت وفاة معرّف «بينوات»، الأب ««پيتو» الذي كان يمدّها بالعزيمة، والعزاء، والسكون.

إبليس يشنّ هجماته على «لوس»

لم يكتفِ الشرّير بالهجوم على «بينوات»، بل سعى، أيضًا، إلى القضاء على ظاهرة «لوس»، ذلك المكان الذي باركته العذراء، وقدّسته، وأفاضت فيه نعمها، فأصبح محجّة صلاةٍ، وعبادةٍ، وتوبةٍ، وارتدادٍ إلى اللّه، لأجيال عديدةٍ. ولذلك عمد الشرّير إلى تدنيسه بوسائله القذرة، مستخدمًا أزلامه، الثابتين، بعنادٍ، في رفضهم الإيمان والتوبة. ولهذه الغاية سرّب إلى جموع المصلّين غانياتٍ فاجراتٍ، بغية إفساد المؤمنين وإغوائهم. وقد وُهبت «بينوات» ميزة التمييز بين الطاهرين والأنجاس، تساعدها على ذلك رائحةٌ عطرةٌ كانت تنبعث من النفوس النقيّة، ورائحةٌ كريهةٌ تأتيها من النفوس النجسة، حتّى إن كان ظاهرها يوحي بالورع والطهر. وقد حظي بمثل هذه النعمة مختارون آخرون، منهم القدّيسة كاترين السيينّاويّة.

وكانت «بينوات» حالما تستشمّ وجود عاهراتٍ قادماتٍ لغرضٍ أَثيمٍ، تدعوهنّ إلى الابتعاد عن المكان المقدّس، وإِن هنّ أَصررنَ على تنفيذ مهمّتهنّ، كانت تستعين بمن يطردهنّ عنوةً.

وبغية زرع الريبة في نفوس الحجّاج، كان إِبليس يقلّد الظهورات، أو يدفع نفوسًا ضعيفةً إلى ادّعاء ظهوراتٍ كاذبةٍ. وقد استخدم، في إِحدى محاولاته، راعيةً ادّعت ظهور العذراء لها، ولكنّها فضحت كذبها بنفسها عندما دعت مصلّين كانوا يحضرون قدّاسًا، إلى ترك القدّاس ومرافقتها إلى مكان الظهور المزعوم. هذه الدعوة إلى هجر القدّاس، كانت، في ذاتها، دليل كذبها.

وتكرّرت حوادث من هذا النوع، وكان لبعضها من مظاهر البراءة ما خدع كهنةً ومؤمنين كثيرين، وكادت «بينوات» نفسها تقع ضحيّة إِحدى هذه الخدَع. غير أَنّ نعمة التمييز التي وُهبتها، حمتها، ولم يقوَ عدوّ الله والبشر على تسريب الريب والاضطراب إلى نفسها. لا بل إِنّها استطاعت،

بحدْسها، ومحبّتها، ردع مضلِّلين ومضلَّلين من قبضة إبليس، وإِعادة السلام والاستقامة إلى نفوسهم.

كانت «بينوات» تحذر من ذاتها، وهذا الحذر وقاها من الوقوع ضحيّة خداع أَدوات الشرّير. ولا ريب أَنّ العذراء كانت تواكبها بحمايتها، وقد قادتها، خطوةً خطوةً، نحو نضجٍ نفسيٍّ، ووضوح رؤيةٍ، أَهّلاها لمواجهة امتحاناتٍ كانت تشتدّ، كلّ يومٍ، قسوةً. ومن المحقّق أَنّ إِبليس قد يحسن التمثيل، ولكنّه لا يملك إِشاعة النشوة الروحيّة الناجمة عن حضور الربّ وأُمّه، وبذلك يمكن استبيان خديعته.

واتّضح أَنّ قلعة «لوس» كانت راسيةً على أُسسٍ وطيدةٍ تضمن لها الصمود.

اتّحادُ صوفيٌّ بالصليب

مع جهلها الذهنيّ للحياة التأمّليّة، كانت «بينوات» ترتقي، درجةً درجةً، السلّم المؤدّية إلى الاتّحاد الصوفيّ الأَسمى. كانت تَعُدّ كلّ ما تحظى به نعمةً. ومن نعمةٍ إلى نعمةٍ، بلغت مستوًى فريدًا من الفضائل البطوليّة. كانت أنوار الروح القدس تضيء لها حقائق يعجز العقل بمفرده عن إدراكها، مصحوبةً بحبٍّ عذبٍ مضطرمٍ. وكان الملاك قد أَوضح لها الغاية التي يريدها الله لها:

– «يشاء الله أَن تكوني كلّيّة الطهر، ومنزّهةً من كلّ عيبٍ، كما يجب أَن تكوني».

هدفٌ يمثّل تحدّيًا يفوق، بلا قياسٍ، المواهب الطبيعيّة التي حظيت بها «بينوات»، ويؤكّد أَنّ كلّ ما بلغته في مضمار الفضيلة، كان مترسّخًا في أَعماقها، وليس قشورًا.

لقد اقتضت منها السماء كمالاً لا نقص فيه: فلا مساومة ولا تسويات مع الحقيقة والواجب؛ نفسٌ موجَّهةٌ نحو اللّه، بلا تشتّتٍ ولا شرودٍ؛ لا نفادُ صبرٍ، ولا ثرثرةٌ، ولا خجلٌ بشريٌّ؛ لا صغاراتٌ، ولا اهتماماتٌ نافلةٌ.

في العشرين من عمرها، غالبًا ما أَنفقت لياليها في المصلّى، تحاور اللّه، زاهدةً في كلّ شيءٍ، كي تكسب الكنز الوحيد الجدير بالامتلاك. وقد وصفها الأب «غايّار» أَنّها، عام ١٦٧٠، «كانت مضطرمةً حبًّا جمًّا ودائمًا للّه ولأُمّه كلّيّة القداسة».

كانت تتلظّى عطشًا دائمًا إلى الحبّ، والتضحية، والكمال. تنفق كلّ ساعات نهارها في خدمة الحجّاج ومساعدتهم روحيًّا، وتقضي ليلها في الصلاة، ما عدا ساعةً واحدةً ترتاح فيها، وتفرض على ذاتها آلامًا قاسيةً تكفيرًا عن الخطأة. وعندما تتأمّل مشاهد صلب يسوع، «تهوي وكأنّها ماتت أَلَمًا».

ظهورات العذراء لها، وحواراتها معها كانت تمدّها بالقوّة

على خوض هذه الحياة البطوليّة. ولذلك كانت تتألّم من غيابها الذي اشتدّت وتيرته، شيئًا فشيئًا.

إتمام الاتّحاد بالله لا يتحقّق إلاّ بالصليب، فهو وسيلة الاتّحاد الحميم بالله، في هذه الحياة. وكان هوى الصليب هو هادي مسيرة «بينوات» ودافعها. ففي العمر الذي تحلم فيه معظم الفتيات باللهو والعبث، كانت «بينوات» تتوق إلى التكفير عمّا يسبّبه البشر للفادي من آلام الصلب.

يذكر كاتبو سيرتها أنّها، عندما تجلد نفسها، كانت تتحمّل الجلدة الأُولى تضامنًا مع آلام المصلوب، والثانية تكريمًا للسيّدة العذراء، والثالثة التماسًا لتوبة الخطأة.

وبما أنّها كانت تغالي في ممارسة التضحيات، رئف الله بها، فانتزع ملاكها الحارس، في خريف عام ١٦٧٠، أدوات التكفير التي كانت تعذّب بها نفسها. وهي، في بساطتها، شكت الأمر إلى الأُمّ السماويّة.

ولعُها بالصليب كان يدفعها، غالبًا، إلى زيارة صليبٍ خشبيٍّ كبيرٍ، منصوبٍ في البرّيّة، بين قريتي «لوس»

و«أڤانسون» (Avançon). وغالبًا ما كانت تجتذبها إليه رائحةٌ عذبةٌ نفّاذةٌ.

وقد أَكمل يسوع عمل العذراء في نفس «بينوات» بظهوره لها محتضرًا على الصليب. ففي يوم جمعةٍ من عام **١٦٧٣**، فيما كانت تعمل في حصاد حقل قمحٍ تابعٍ للرعيّة، اجتذبتها رائحةٌ ذكيّةٌ، فهرعت إلى موقع صليب «أڤانسون»، وجثت تصلّي أَمامه، وإِذ بيسوع، حيًّا، ملطّخًا بالدم، مسمّرًا على الصليب، يكلّمها:

– «**إِنّي أَتراءى لك على هذه الحال، لكي تساهمي في آلامي**».

مشهد الربّ المثخن بالجراح، الملطّخ بدمائه، ووجهه المحتقن، أَلقى في نفس الفتاة تأثيرًا فقدت معه الوعي، والقدرة على النطق والشعور، فانخرطت في النحيب. ومنذ ذلك اليوم غدت تعاني، كلّ يوم جمعةٍ، آلام الصلب، التي تبدأ بعد ظهر يوم الخميس، وتنتهي صباح السبت. وفي هذه الأثناء يتّخذ جسمها شكل جسد المصلوب الإِلهيّ، وتتصلّب

أَعضاؤها، وتركب إِحدى ساقيها على الأُخرى، وتطبق أَصابعها على راحتيها، وتصبح في مثل صلابة الحديد. وغالبًا ما تأتيها العذراء، وهي على هذه الحال، معزّيةً ومشجّعةً.

غير أَنّ جراح صلبها لم تكن ظاهرةً، كما كانت لدى صوفيّين آخرين أَمثال القدّيس فرنسيس الأَسّيزي، وفيما بعد، الأب پيو، ومارت روبان، ورائية دمشق ميرنا نظّور، بل كانت داخليّةً. كانت «صلبًا صوفيًّا» مثل الذي عانته القدّيسة كاترين السييّناويّة.

وقد تزامن اتّحادها الصوفيّ بيسوع المصلوب، مع ما حدث أَيضًا لمعاصرةٍ لها، هي «مارغريت ماري» في «پاري لي مونيال» (Paray le Monial).

هذه الآلام الأسبوعيّة استمرّت حتّى الشروع ببناء سكن الكهنة المحاذي للمزار، في غروب عام ١٦٧٥. وحينئذٍ، توقّفت مدى نحو سنتين، كي يُتاح لبينوات مدّ يدها إلى ورشة البناء. ولكن كان عليها معاناة صلبانٍ أُخرى، في تلك الأَثناء.

مسيرة «بينوات» بين عام ١٦٧٤ وعام ١٦٨٥

في تلك الفترة كانت حركة الحجّ إلى «لوس» تشهد ازدهارًا رائعًا. وقد بيّن الأَب «غايّار» ملامح الحجّاج القادمين، فإذ بهم:

– حسنو النوايا تحدوهم رغبةٌ في إِرضاء اللّٰه، وخلاص نفوسهم؛

– ملتمسو شفاءٍ جسديٍّ أو روحيٍّ؛

– من لم يوافوا بغية الاعتراف، ولكنّهم اعترفوا تمثُّلاً بالآخرين، ونالوا فائدةً كُبرى.

– من لا يبتغون سوى التظاهر بالورع والتقوى؛

– من يواكبون آخرين، مجاملةً، أو يحقّقون لزوجاتهم وأولادهم أُمنيّةً أو فضولاً.

عام ١٦٧٤، كانت «بينوات» في السابعة والعشرين من عمرها، فتاةً منيعةً جسديًّا، لم تُفقِدها ممارسات الصوم والأَسهار، والأَمراض المتعاقبة، شيئًا من قوّتها. فهي قادرةٌ، حسب شهادات من عرفوها، على حصاد حقل قمحٍ، في غضون ثمانية أيّامٍ، في حين يعجز عشرون عاملاً على النهوض بهذه المهمّة، في المهلة عينها.

وكانت «بينوات»، في هذه المرحلة، قد بلورت مصيرها، ووطّنت العزم على وقف ذاتها وحياتها على خدمة مزار «لوس»، الذي أَسهمت، أَكثر من أَيٍّ كان، في ازدهار الحجّ إليه. وكانت قد وُهبت، مجّانًا، نعمًا فائقةً، لا من أَجل ذاتها، بل لمساعدتها على تنفيذ الرسالة الموكلة إِليها، ولاسيّما رسالة توبة الخطأة. وقد مكَّنتها العذراء من قراءة الضمائر، واستجلاء خفايا النفوس، فساعدتها هذه الموهبة على شفاء نفوسٍ عديدةٍ. ولطالما أَلهمتها الأُمّ السماويّة نصائح عمليّةً، تسديها لكهنةٍ ورهبانٍ، وموظّفين، وأَرباب أُسرٍ، ولصوصٍ.

وهي لم تكن تهدر وقتها في التحدّث إلى الجميع، بل

كانت تقتصر على محاورة من تستشفّ لديهم استعدادًا للإِصغاء. ولم يكن من العسير عليها العثور على تائبين لدى شتّى الطبقات والفئات الاجتماعيّة.

وفي الآن عينه، لم تكن الأَمراض تهادن تلك التي كان همّ حجّاج المزار يؤرّقها بلا هوادةٍ. ولكنّ السماء كانت تؤتيها شفاءً فوريًّا ومباغتًا، كلّما دعت الضرورة إلى إِنقاذ خاطئٍ من خطرٍ روحيٍّ.

وفضلاً عن ذلك، كانت حياتها نسيجًا من أَحداثٍ فائقةٍ. ولا ريب أَنّ روح الطفولة، الذي امتدحه الربّ هو الذي فتح لها باب ملكوت السماء. فأَعمالها الخارجيّة لا معنًى ولا قيمة لها، بمعزلٍ عن الإلهامات الصوفيّة التي كانت تتلقّاها. فابنة الأَرض تلك، المخلوقة الخشنة، المثقلة بالعيوب، والطاهرة مثل الفجر، قد اغتنت بنعَمٍ فائقةٍ، أَهّلتها لتخطّي طبيعتها البائسة، شأوًا بعيدًا.

ذات يومٍ من عام ١٦٧٤، فيما كانت مختليةً في حجرتها تنشّقت رائحةً عذبةً، توسّمت فيها نداء الربّ، فهرعت إلى

صليب «أڤانسون»، ووجدت ملاكًا راكعًا عند قدميه، بادرها بالقول:

«هذا ما عاناه أَبي وأَبوكِ من آلامٍ. فأيّ أَلمٍ لا نحتمله حبًّا به؟».

هذا القول أَفقدها الوعي. وما إِن ثابت إلى رشدها، حتّى عبّرت عن أَساها بفيضٍ من التأوّهات، والنحيب، والدموع.

لقد شاءها الله ضحيّة تكفيرٍ عن خطايا البشر. وقد ساعدتها على تحقيق هذه المهمّة آلام صلب يسوع التي كانت تعانيها في جسدها كلّ يوم جمعةٍ، ورؤيتها بشاعة الخطايا الكمينة في النفوس، والتي كانت ترهقها. ويمكن تخيّل ما كان يستحوذ عليها من هولٍ، من جرّاء مشاهدة دخيلة نفسٍ قيّدها الشيطان. غير أَنّ هذه الرؤية قد مكّنتها من تحرير ثلاثين نفسًا كان إِبليس يسكنها، عام ١٦٧٤.

وقد فاضت نفسها اشمئزازًا، عام ١٦٧٦، عندما تعيّن عليها مصارعة نفوس سبع نساءٍ كنّ يتعاملن مع إِبليس،

فتبيّنت، تلك الحريصة على طهرها، إلى أيّ دركٍ من الفسق تردَّينَ.

نهاراتها كانت حافلةً بخدمة الله والآخرين، وعندما تأوي إلى غرفتها، ليلاً، تُكبّ على الصلاة، وعلى إماتة ذاتها، ثمّ تصيب لحظات نومٍ، تستأنف بعدها الدعاء والتأمّل، ولا يلبث أَن ينبلج الفجر، ويكون الحجّاج قد شرعوا يتوافدون ويثرثرون، فتمضي معهم إلى الكنيسة التي تعنى بكلّ لوازمها. وتعود، بعد القدّاس، لتستغرق، من جديد، في العبادة، وتستهلّ يومًا آخر، يوم خدمةٍ وصلاةٍ.

وغالبًا ما تهرع، ليلاً، حافية القدمين، فوق الثلج والجليد، إلى موقع صليب «أڤانسون»، كي تتأمّل في آلام الفادي، وتقدّم ذاتها ضحيّة تكفيرٍ.

في أَثناء النهار، يحاصرها الحجّاج من كلّ صوبٍ، بلا رحمةٍ. بعضهم يلتمسون نصحها في أُمورٍ عديدةٍ، وبعضهم يطرحون أَسئلةً فضوليّةً. هذا يبسط، بين يديها، مشاكله الروحيّة علنًا، وذاك ينتحي بها جانبًا كي يبوح لها بما يثقل

كاهله، وكلٌّ يعرض هواجسه ومشاكله. وكثيرون يلتمسون صلواتٍ واستشفاعاتٍ لذواتهم، وذويهم، وأَصدقائهم. و«بينوات» كلٌّ للكلّ، تنير الظلمات، وترشد إلى السلوك القويم، بسداد رأيٍ، وثقةٍ، وحنكةٍ.

كلّ يومٍ تغرق في عباب الجموع، وتُصدَم بكُتَل الخطايا التي ترهقها رؤيتها، ويضنيها سماعها، وتبتهج كلّما تبيّنت استجابة اللّه لدعائها، أو شفاء نفسٍ من علّتها.

عام ١٦٨٠ كان زاخرًا بالأَشفية العجيبة من كلّ لونٍ. فهذا طفلٌ تعرَّض لحرقٍ خطيرٍ، أَدّى إلى تعطيل معظم وظائف جسمه، منذ ثلاثة أَيّامٍ، فجيء به إلى مزار «لوس»، وبعد ثلاث ساعاتٍ طفق يتكلّم، ويضحك. وهذه فتاةٌ عمياء، في الثانية عشرة من عمرها، جيء بها إلى المزار، وقُدّم قدّاسٌ عن نيّتها، فاستعادت بصرًا كاملاً، في أثناء القدّاس، وشاركت «بينوات» ذويها فرحتهم.

ومع كلّ ذلك لم تقطع «بينوات» صِلاتها بذويها، بل

ظلّت تزور، باطّرادٍ، أُمّها، وأَخواتها، وأَترابها في «سانت إِيتيين»، وتساعدهم في الأعمال الزراعيّة الموسميّة.

وكان قد قدم إلى «لوس» عام **١٦٧٥**، **الأَخ** «أوبان»، الذي ابتنى لنفسه منسكًا فوق صخورٍ مطلّةٍ على القرية. ولكأنّ العناية الإِلهيّة قد اقتادته إلى ذلك المكان، إِذ إِنّ «بينوات» ارتاحت له، وغدت تبوح له بأسرارٍ كانت تحجبها عن سواه. وقد دأب ذلك الأَخ على تدوين نجاواها، وكلّ ما كان يجري في «لوس» من معجزاتٍ وظواهر خارقةٍ، بحيث أَصبحت تدويناته مرجعًا رئيسًا لتاريخ ظاهرة «لوس».

ومع كلّ ما كان يحدث لها، حافظت «بينوات» على الكثير من خصال طفولتها، ودأبت العذراء على إِصلاح عيوبها. فقد كانت تبكي نفاد صبرٍ، كلّما تلكّأت الأمّ السماويّة في الظهور لها، فعاتبتها، ذات يومٍ من عام ١٦٧٦ قائلةً:

– «إِنّك لا تستأهلين شرف ظهوري المتواتر لك... لذلك لن تريني حتّى يتضاءل نفاد صبركٍ، انتظارًا لظهوري».

وفي فترةٍ لاحقةٍ ظهرت لها العذراء بصحبة ثلّةٍ من الملائكة الذين أَمعنوا تحدّثًا فيما بينهم، في حين اعتصمت العذراء بالصمت، فضاقت «بينوات» ذرعًا، وقالت للملائكة:

– «اصمتوا، أَيّها الملائكة الرائعون، ودعوا الأُمّ الطيّبة تتكلّم!».

فأجابها أَحد الملائكة: «إِنّما نحن نتكلّم بأَمرٍ منها». حينئذٍ ابتسمت العذراء، وشرعت تحدّث «بينوات».

هذا الحادث الطريف يبيّن عفويّة «بينوات» وبساطتها. تانك العفويّة والبساطة دلّ عليهما حادثٌ آخر عام ١٦٦٧، إِذ كانت «بينوات» تصلّي عند أقدام صليب «أڤانسون»، وظهرت لها العذراء واقفةً عند ذروة الصليب، في الهواء، فساور «بينوات» الخوف عليها، وهتفت:

– «أيّتها الأمّ الطيّبة، كيف تقفين عند هذا الارتفاع؟ أَلا تخشين السقوط؟».

هذا السؤال الساذج يفسّره جهل «بينوات» لميزات الأجساد الممجّدة، وخوفها على أُمٍّ تولّهت بحبّها حتّى الجنون. وقد

أَجابتها السيّدة العذراء بنبرةٍ جادّةٍ، ولكن بحرصٍ على صون بساطتها:

– «**لا تخشي عليّ، فملائكتي يسندونني، وأَنا لست ثقيلةً كالأجساد الأَرضيّة**».

بهذه البساطة والعفويّة، كانت «بينوات» تتعامل، أيضًا، مع ملاكها. فذات يومٍ، جاء حجرتها، وهي في ثياب النوم، فانتفضت حياءً، وقالت له:

– «أَيّها الملاك الطيّب، أَرجوك أَن تنتظرني خارجًا، ريثما أَرتدي ثيابي».

وإِذ كان الملاك، ذات يومٍ، ينصحها بالصبر، ردّت قائلةً:

– «لو كان لك جسدٌ شبيهٌ بجسدنا، لرأَينا كيف كنت تتصرّف!».

وكانت تلتهب، دائمًا، رغبةً في خلاص النفوس. وقد دفعها ذلك، عام ١٦٧٤، إلى إِنهاض الأَب «پيتيو» من فراش المرض، كي يمضي ويسمع اعتراف محتضرٍ في قريةٍ

أُخرى، كانت تنفرد بمعرفة دنوّ أَجله، والخطر الروحيّ المحيق به.

في سبيل خلاص النفوس، كانت ترحّب بكلّ أَلمٍ يجعلها شبيهةً بالفادي. وقد تراءت لها العذراء في **١٦٧٨/١٢/٣**، برفقة قدّيستين، هما الشهيدة بربارة، التي كانت تعتمر تاج الشهادة المتألّق، والقدّيسة كاترين السييّناويّة التي يحيق بهامتها إِكليل شوكٍ. وقالت لها الأُمّ السماويّة:

– «**يا ابنتي، إِن شئت إِكليلاً في السماء، فعليك أَن تلبسي إِكليل شوكٍ على الأَرض**».

ولذلك كانت تعدّ معاناة آلام صلب يسوع الأسبوعيّة، امتيازًا ساميًا، ونعمةً ثمينةً.

عام ١٦٧٨ زار المطران «جينليس» «لوس» مجدّدًا، حاملاً كلّ افتراءات كهنته المناوئين للظاهرة، وحرص على مشاهدة آلام صلبها. جاء يوم خميس، وشهد بدء تلك الآلام، برفقة طبيبٍ فسّر تلك الآلام بكونها علّةً عصبيةً. فأمرها الأُسقف بتناول أَدويةٍ تنقذها من هذه العلّة، وفقًا لنصيحة الطبيب.

ولكنّ «بينوات» رفضت تناول أَيّ دواءٍ، ليقينها بأنّ نعم اللّه وكراماته لا تزول بعقاقير بشريّةٍ. وتفاديًا لتأزيم العلاقات بينها وبين الأسقف، قالت لها العذراء، عند انتهاء آلام صلبها في ذلك الأُسبوع:

– «لن تنتابك، بعد الآن، آلام الصلب كلّ يوم جمعةٍ. ولكنّك ستعانين آلامًا أُخرى».

روائع اللّه في بينوات

اختارها اللّه فقيرةً، مالاً، وجمالاً، وذكاءً. ولكنّه، في هذا الإِناء الهشّ أَفاض روائعه. ولا ريب أَنّ ما حظيت به تلك الراعية من كراماتٍ وامتيازاتٍ، وما بلغته من شأنٍ في سموّ الكمال، يُظهر عظمة روائع اللّه والعذراء فيها.

الرائعة الأُولى هي دأب الأمّ السماويّة على صقل تلك الراعية التي كانت كثيرة العيوب، خشنة الطباع، عنيفة ردود الفعل، وعلى تقويم عيوبها، كي تجعل منها نموذجًا لكلّ مسيحيٍّ راغبٍ في الترقّي على معارج الكمال، فيتّخذ من أُمّ الكنيسة، مرشدةً ومعلّمةً، وسندًا.

وتمثّلت الرائعة الثانية في تحويل تلك الفتاة الجاهلة الخجول، إلى رسولةٍ باسلةٍ لا تخشى مواجهة أَصحاب السلطة والعلم، الذين لم يستطيعوا، لا بتشكيكهم، ولا

بسخريّتهم، ولا بتهجّماتهم الشرسة، زعزعة ثقتها بنفسها، وبربّها، وبالعذراء.

أمّا الرائعة الثالثة فهي موهبة قراءة كمائن ضمائر الآخرين. ولهذه الموهبة مصدران: إِيحاءات العذراء أَو الملائكة الذين كانوا يكلّفونها بتبليغ أَشخاصٍ أُمورًا لا يعلمها سواهم. فعلى سبيل المثال، بتاريخ ١٥/١١/١٦٦٦، كلّفت السيّدة العذراء «بينوات»، بتوجيه رسالةٍ إلى كاهنٍ كان قد زار «لوس» في شهر أَيلول من تلك السنة، تدعوه إلى «التخلّي عن نشدان حجر الفلاسفة، من أجل النهوض بواجبه الكهنوتيّ، لئلاّ يتعرّض للدينونة».

والمصدر الثاني هو حدْسٌ فوريٌّ يمكّنها من رؤية دخائل الآخرين. وما هذا الحدْس سوى نورٍ إِلهيٍّ يسبغه العليّ على بعض مختاريه.

ففي عام ١٦٦٥، دنت «بينوات» من حاجٍّ كان قد انتظم في طابور المتناولين، وانتحت به جانبًا، كي تذكّره بخطايا عليه الاعتراف بها قبل الاقتراب من مائدة الربّ. وفي عام

١٦٦٩ نبَّهت نسوةً عديداتٍ إلى خطايا اقترفنَها، وأَخفينَها عن معرّفهنّ: إحداهنّ كانت قد سمّمت زوجها، وأُخرى قتلت أَخاها، وكثيراتٌ ارتكبن خطايا زنًى، أَو قتلنَ أَطفالهنّ، ومنهنّ فتياتٌ داعراتٌ.

وكانت «بينوات» تفسّر موهبتها هذه بقولها: «بمجرّد مشاهدتي بعض الأَشخاص، يريني اللّه خفايا سرائرهم»، معترفةً أَن لا يدَ لها في هذه القدرة، فهي هبةٌ من اللّه.

وأُعطيت «بينوات»، أيضًا، استشعار المستقبل. ففي عام ١٦٧٢ شكا لها أَحد سكّان «لوس» خشيته من الدينونة، بسبب ماضيه المخزي، فدعته إلى اعترافٍ عامٍّ، ولكنّه، مع ذلك، لم تزايله خشية الدينونة، والتمس من «بينوات» أَن تنبئه بظروف موته، فأنبأته أَنّه سيموت بعد ثمانية أَيّامٍ، يحيط به ثلاثة كهنةٍ، وستكون، هي أَيضًا، واقفةً عند فراش موته. وقد تمّ كلّ شيء طبقًا لتنبّؤاتها. وتحقّقت أُمورٌ عديدةٌ أُخرى، وفقًا لنبوءاتها.

وقد كتب الأَب «پيتيو» عن «بينوات»: «كانت لها العذراء

معلّمةً تثقّفها، ومرشدةً تقودها، وأُمًّا تصلحها». وكانت، هي، خاضعةً لها، فنمت فيها الفضائل التالية:

- **المحبّة** التي تدفعها إلى التصدّق بما تُعطاه، وما هي في حاجةٍ ماسّةٍ إليه من أَجل عيشها. وكانت تتميّز بمهارةٍ نادرةٍ في إِخفاء صدقاتها.

وقد ازدهرت لديها هذه الخصلة بعد أَن أَكّدت لها المعلّمة السماويّة أنّ الإحسان إلى الفقير يصيب إِبليس بالقنوط، على أن يتمّ بكتمانٍ.

- **التواضع** الذي جعلها تحجم عن لمس يد العذراء التي امتدّت لها، قائلةً إِنّه لا يسوغ ليد كلبةٍ أَن تلمس يدين بجمال يدي العذراء.

كانت تستفظع كلّ ما ترتكبه من هفواتٍ، فتهرع باستمرارٍ إلى كرسيّ الاعتراف، ولا تجسر على التقدّم من مائدة الإفخارستيّا، بلا اعترافٍ، لا بدافع الوسواس، بل حرصًا على نقاء النفس، والتجدّد الروحيّ المستمرّ.

وكانت تعزو كلّ ما حظيت به من كراماتٍ إلى مجد اللّه.

وكلّما حاول مسؤولون كنسيّون إخافتها، أَو زرع الشكّ في نفسها بشأن الظهورات، كانت تجيب: «إنّ أُمّنا الحنون لا تنحدر من أَجلي، فأَنا خاطئةٌ كبيرةٌ، بل من أَجل مجد ابنها».

– **عفّتها** النادرة المثال، بحيث لم تداعب، قطّ، فكرةً عكرةً.

– **بساطتها** التي تسبغ طلاوةً على كلّ ما تفعل وتقول.

وإلى ذلك احتفظت **بواقعيّةٍ**، ساعدتها على الخدمة. وقد رغب الأَبوان «پيتيو» و«هيرميت»، الإمعان في التكفير والتوبة، وعزما على النوم فوق حجارةٍ. ولكنّ «بينوات» ردعتهما، من قِبَل العذراء، ودعتهما إلى الرقاد في أَسرّتهما، وإِصابة راحةٍ كافيةٍ، كي يظلاّ يقظَيْن لسماع الاعترافات، ولا يأخذهما وَسَنٌ ونعاسٌ.

وقد دعت أُمّ الله «بينوات» إلى المشاركة في التكفير عن خطايا العالم، مؤكّدةً أَنّ كلّ التضحيات ثمينةٌ حتّى أَشدّها صغرًا. وارتضت «بينوات» أَن تكون **ضحيّة تكفيرٍ**، واندفعت، بلا حدودٍ، في هذا المضمار.

ومع ذلك دعتها العذراء إلى الاحتفاظ **بسكون النفس والفرح**، محذّرةً من أَنّ الصلاة التي تُتلى بحزنٍ تفقد الكثير من زخمها وجدواها. ولطالما حضّتها المعلّمة السماويّة على الاعتصام بالصبر والثقة، كي تنال رضى اللّه، ولا تغيظه بهواجسها. ونصحتها أَلاّ تغفل، لحظةً، حضور اللّه، لأَنّ من يواكبه الشعور بهذا الحضور، لا يهين اللّه.

وكانت «بينوات» مثابرة على **عبادة الإفخارستيّا**، وتكريم سرّها، فكوفئت برؤية يسوع في القربان مرَّاتٍ عديدةً.

كانت «بينوات» تلميذة العذراء والملائكة، وقد تميّزت سيرتها برؤية الربّ وأمّه، والملائكة والقدّيسين. وأُعطيت امتياز قراءة سرائر الناس.

ومنذ بلوغها سنّ الرشد، انتمت إلى «الرهبانيّة الدومنيكيّة الثالثة»، وغدا ملاكها ومعارفها يدعونها «الأُخت بينوات». وأَمست تأتي، كلّ يومٍ، من قريتها إلى «لوس»، كي تعنى بشؤون المزار، وبالحجّاج.

وبالإِجمال دهش مؤرّخو سيرتها لما طرأ عليها من تطوّراتٍ

مذهلةٍ. فبعد أَن كانت، في مطلع حياتها، تتّصف بالسذاجة، والحدّة، والفظاظة، والفضول، والثرثرة، وروح الضغينة، تغلّبت على هذه العيوب، وأَصبحت موضع إِعجابٍ، بما انتهت إليه من صبرٍ، وسيطرةٍ على الذات، وبذلٍ، وتضحيةٍ، وسداد حكمٍ، ومحبّةٍ، بفضل عكوف الأمّ السماويّة على تثقيفها، وقيادتها، ونصحها. ولقد تجلّت فيها، على أَروع وجهٍ، أُمومة العذراء الروحيّة، ونجاعتها في صقل تلك القرويّة التي كانت تعاني فقرًا مادّيًّا، وروحيًّا مدقعًا.

روائع اللّه في مزار «لوس»

هذا المكان الذي اختارته العذراء لأَسبابٍ لا ندركها، يُخفي، تحت مظهرٍ لا أَلق فيه، روائع يتعذّر سبر سرّها.

شاءته أُمّ اللّه من أَجل مجد ابنها ومجدها. ومع أَنّه لاقى من أَصحاب المال لامبالاةً وريبًا، فقد تمّ بناؤه بتضحيات الفقراء، وتقادمهم، وجهودهم.

وقد التفّ الفقراء والمرضى والخطأة حول الراعية الأُمّيّة «بينوات»، المستبحرة في بساطتها، والغنيَّة بكراماتٍ استثنائيّةٍ، ففاضت على تلك الجموع المتواضعة، والغارقة في البؤس الروحيّ، نِعمٌ أَضرمت جذوة الإِيمان، وحوّلت القلوب.

مزار «لوس» يرحّب بكلّ الحجّاج، ولكنّ الهدف الأَساسيّ

من وجوده هو توفير أَسباب التوبة للخطأة. وقد قُيِّض لذلك المزار كاهنان قدّيسان، وهبا ذاتهما ووقتهما كلّه لكرسيّ الاعتراف، حيث كانا يسعدان بالجلوس نهارًا وليلاً، ويسعدان أَكثر بما يشهدان من توبةٍ وارتداداتٍ. وفيما كان الخطأة يعترفون، كانت «بينوات» تصلّي لهم، بكلّ حرارة قلبها.

منذ عام ١٦٦٥، ما انفكّت تؤمّه مواكب المرضى والمبتلَين بمختلف العلل والإِعاقات. ولكم جاءه من يحدوهم إِيمانٌ مضطرمٌ، حفاةً، متلهّفين، وعادوا، وقد امتلأت قلوبهم مقتًا للخطيئة! وقد أَحصى الأب «پيتيو» (Peytieu) ثلاثةً وثلاثين تطوافًا، يوم عيد مولد العذراء، وقدّر عدد الحجّاج في ذلك اليوم بين خمسة آلافٍ، وستّة آلاف حاجٍّ. ووصف تطواف فتياتٍ توّجنَ رؤوسهنّ بأَكاليل شوكٍ، وقد غرست بعضهنّ الشوك عميقًا، بحيث بلّلت الدماء شعورهنّ، وخطرنَ وهنّ يرتّلنَ أَناشيد العذراء، مستدرّاتٍ دموع الحاضرين...

وبالمقابل كافأ الله كثيرين ممّن اقتادهم الإِيمان إلى ذلك المكان. وعندما وافى الأَب «غايّار» إلى «لوس» عام ١٦٦٥،

كان القاضي «غريمو» قد دوّن ثبتًا بواحدٍ وستّين شفاءً عجيبًا. وكان دور «بينوات» ينحصر في الصلاة من أَجل تحقيق طلبات الحجّاج، وفي احتمال التضحيات لهذه الغاية.

يوم عيد رقاد العذراء، الواقع في ١٥ آب من عام ١٦٦٥، سُجّلت ستّة أَشفيةٍ، منها شفاء أَعمى استعاد الرؤية، يدعى «أندريه أَلّيمان» (André ALLEMAND)، ومشلولٍ حُمِل إلى المصلّى حملاً، وغادره سائرًا على قدميه، وشفاء «پيير دي كازيناڤ» (Pierre de CAZENAVE)، وهو ابن جرّاحٍ في مدينة «غاپ» (Gap)، اندملت قروح فخذيه، وفتحت عيناه، بعد أَن أَعلن الأطبّاء عجزهم عن مساعدته.

والأب «غايّار» نفسه نال شفاء قريبٍ له، كان مقعدًا يسكن في «غرينوبل»، ولم يتمكّن حتّى من المجيء إلى «لوس»، لأَنّ قرحًا في أَعلى فخذه كان ينزّ قيحًا، وطُلِب منه أَن يبقيه مكشوفًا.

شفاءٌ آخر عن بعدٍ، حدث لرئيس دير رهبانٍ، كانت ساقاه مشلولتين، والتمس من الربّ، ومن سيّدة «لوس» نعمة

الشفاء. ونذر إقامة قدّاسٍ في «لوس»، حالما يستطيع الانتصاب على قدميه. وفي تلك الليلة، رأى العذراء، في الحلم، تدعوه إلى النهوض، فهبّ واقفًا، وجمع رهبانه كي يقدّموا معه للربّ آيات الشكر، وبلا تلكّؤٍ، قصد مزار «لوس».

وفي تلك السنة عينها شُفي الطفل «جاك ماندارو» (Jacques MANDARAUX) من صممه، وشفي «لوران سوريل» (Laurent SAUREL) من إِصابةٍ في قرنيّة عينه. وامتدّت لائحة الأَشفية من شتّى العلل والأَمراض، فالعميان يبصرون، والصمّ يسمعون، والمقعدون يسيرون على أَقدامهم، والقروح تندمل، والأمراض العصبيّة تزول، وينعم المرضى بالشفاء.

وقد سُجّل بين العامين ١٦٦٥ و١٦٦٩، أَكثر من سبعين شفاءً عجيبًا، والأَشفية التي لم تُسجَّل تربو كثيرًا عن هذا العدد.

لقد سُرّت العذراء بما شهدته من إِيمانٍ، فجدّدت ما كان

يحدث أَيّام يسوع والرسل الأوّلين، واستجاب الله لتوبة الخطأة، ولشفاعة مريم.

وكانت العذراء قد نصحت بالاستعانة بزيت مصباح المصلّى، دعمًا للإيمان، والتماسًا لوساطتها. وقد جرت، فعلاً، أَشفيةٌ عديدةٌ بفضل استعمال هذا الزيت مقرونًا بالإيمان.

وكانت الأَشفية الروحيّة هي الأوفر عددًا، والأَبهى روعةً. وقد أَعلن الكاهنان «بيتيو» و«هيرميت» رفضهما مقايضة كرسيّ اعتراف مزار «لوس»، بأَسمى المراتب الكنسيّة، بسبب ما كانا يلقيان فيه من فرحٍ وعزاءٍ، ولا سيّما عندما يتحقّق تحوّلٌ جوهريٌ لدى من يأتون «لوس» بفكرٍ مناوئٍ، وقلبٍ موصدٍ، فينقلبون فكرًا وقلبًا، انقلابًا جذريًّا.

توبة الخطأة هي الهدف الأوّل الذي توخّته العذراء من مزار «لوس»، أَمّا الأَشفية الجسديّة، فكانت إِضافةً أو مكافأةً.

ومن النعم الفريدة التي نعمت بها «لوس»، الروائح العطرة، التي كانت تفوح من المصلّى، والتي تنشّقتها

«بينوات» أَوّلاً، ثمّ تمتّع بعرفها كثيرون. وغالبًا ما أَشارت تلك الرائحة العطرة إلى وجودٍ سماويٍّ. وقد اتّفق أَن تنسّمت «بينوات» تلك الرائحة، ولم تشاهد مصدرها. ولطالما كان لذلك العطر تأثيرٌ بالغٌ على نفوس خطأةٍ، وفجّر لديهم استعدادات التوبة، واستدرّ دموع الندم، وعمّق شعور البؤس الناجم عن الخطيئة، ودفع إلى الاتّضاع!

وبالمقابل كانت روائح كريهةٌ تفضح الأرواح الشرّيرة.

واتّضحت، أيضًا، بجلاءٍ، غاية ظهورات «لوس» التربويّة، التي لم تكن موجّهةً إلى مدّعي العلم، فهم لن يتعلّموا منها شيئًا. غير أَنّ البسطاء سيفسحون للأمّ السماويّة فرصة تثقيفهم، مثلما ثقّفت الراعية «بينوات»، وستُظهر لهم أمومتها في خدمة الروح القدس، المعلّم، والمعزّي، والمقدِّس؛ وسيتبيّنون، مثلما تبيّنت «بينوات»، أَنّ العذراء ملكةٌ تقتاد البشر إلى «الملك السماويّ» وإلى يسوع الملك.

وقد أَكّدت العذراء، منذ اللحظة الأُولى، توخّيها اقتياد الجميع إلى يسوع المصلوب والقائم من الموت، وأَنّ دورها

لديه هو دور شفاعةٍ، خاصّةً من أَجل الخطأة. وقد استفسرت «بينوات» يومًا، عن سبب وجود أَربعة ملائكةٍ يحيقون بالعذراء، في أَحد الظهورات، فأجابت: «**هذا لكي أُريكِ قدرة ابني**». وفي رؤيا أُخرى قالت: «**إِنّ ابني الحبيب يبتغي خلاص البشر أَجمعين، ولكن ليس جميع البشر راغبين في الخلاص**».

ولذلك حرصت العذراء على أَن يكون مزار «لوس» موئلاً للتوبة والارتداد إلى اللّه. وكلّفت «بينوات» بحضّ المؤمنين على التجدّد الروحيّ، بالإقبال على مائدة الإِفخارستيّا، بنقاء قلبٍ يوفّره اعترافٌ كاملٌ، وتوبةٌ صادقةٌ، ونيّةٌ حازمةٌ وثابتةٌ على تجنّب الخطيئة. وكثيرًا ما طلبت لفت نظر الفاسقين إلى أَنّ نعمة اللّه ستحلّ عليهم بمجرّد تحويل الحبّ البشريّ إلى حبٍّ مقدّسٍ.

وما برح مزار «لوس»، اليوم، مرفأ سلامٍ، ونورًا للمرتابين، ومرجعًا لناشدي الحقيقة، وملجأً للخطأة. وبعد ثلاثة قرونٍ، ما انفكّ الحجّاج يتقاطرون إليه من كلّ صوبٍ. وعلى

السجلاّت الموضوعة لاستخدامهم يُدوّنون صلواتهم، وتمنيّاتهم، وصرخات أَفئدتهم، وهواجسهم، نصوصًا نابضةً بالإِيمان والأَلم، بالسلام والفرح والرجاء، مقدّمين كلّ هذه المشاعر لمن هي ملاذ كلّ الاحتياجات وكلّ الهموم، التي يودعونها بين يدي أُمّ كلّ معونةٍ، وأمّ المعونة الدائمة.

أَعداء «لوس»

عام ١٦٦٩، توفّي النائب الأُسقفيّ العامّ، وفقدت ظاهرة «لوس»، بهذه الوفاة، مدافعًا منيعًا؛ فانتهز كهنةٌ ذوو ميولٍ «جنسينيّة» (Jansénistes)، مشبعون بالأفكار البروتستانتيّة، هذه الفرصة، كي يوغروا صدر خَلَفه عداءً على الظاهرة، وأَفلحوا في حمله على توقيع أَمرٍ بإغلاق المزار، وحظر إِقامة أَيّة صلاةٍ فيه، تحت طائلة الحرم الكنسيّ. وأُلصق هذا الأَمر على باب المزار. فاضطرّ كهنة «لوس» إلى إِقامة صلواتهم في القرى المجاورة. وخاب رجاء الحجّاج القادمين، وفُجعت «بينوات» التي أَمعنت في الصلاة والتضحيات، من أَجل تغيير ذلك الوضع. وسارعت العذراء إلى الغوث. وقالت لبينوات: «**يا ابنتي، انزعي هذه الورقة التي أُلصقت على باب الكنيسة، ولتُقَم فيها الصلوات، كالسابق**».

وامتثلت «بينوات» في الحال، واستأنف الكهنة الصلوات في المزار، وعاد الحجّاج يتدفّقون، بلا خوفٍ، موقنين بأنّ «بينوات» تتكلّم بلسان العذراء، وتتصرّف بموجب إرشاداتها.

واعتصم النائب الأُسقفيّ الجديد بالحذر، متحاشيًا عن المواجهة، ومؤثرًا تعرّف «بينوات» عن كثب، فاستضافها في مقرّه، حيث مضت برفقة أُمّها. وتوخّيًا لمراقبتها بدقّةٍ، كلّف خادمته بخدمتها وخدمة أُمّها، بحيث لا تفوته أَيّة حركةٍ من حركاتهما.

كانت «بينوات» شبه سجينةٍ لديه، لا يُسمح لها بالخروج، تأكل على مائدته، وترقد خادمته في الحجرة التي ترقد الفتاة فيها. وتمّ استجوابها، بحضوره، استجوابًا مفرطًا في الدقّة، مليئًا بالفخاخ. غير أَنّ المحقّقين عجزوا عن إِيقاعها في شباكهم، أَو الظفر بأَيّة هفوةٍ تبرّر إِدانتها.

وكانت التدابير المتّخذة تقتضي أَن تتناول «بينوات» طعامها أَمام عيني النائب الأُسقفيّ، فيستطيع مراقبتها والتحدّث إليها. ولكنّها، طيلة إِقامتها في مقرّه، أَحجمت عن تناول

أَيّ طعامٍ، بحجّة أَنّها في غير حاجةٍ إليه. وإذا أُكرهت على ارتشاف جرعة ماءٍ، كان يشحب لونها في الحال، وينتابها الضيق. ومضى أُسبوعٌ على هذا المنوال، وتأكّد للنائب الأُسقفيّ، ولمراقبيه، أَنّ «بينوات» لا تتناول أَيّ طعامٍ، لا علنًا ولا سرًّا، فعزف على دعوتها إلى مائدته.

وكرّت الأيّام، و«بينوات» مقيمةٌ على صيامها، ولكنّها لا تفقد ذرّةً من صحّتها وهمّتها. وبغتةً راحت تنبعث منها الروائح الذكيّة التي كانت تنبعث من مزار «لوس». وضجّت الفتاة رغبةً في العودة إلى ذلك المزار. ولكنّ النائب الأُسقفيّ آثر استبقاءها بضعة أيّامٍ أُخرى، فدعاها إلى المشاركة باحتفالات عيد الجسد في الكاتدرائيّة، التي كانت تتميّز بالكثير من الفخامة. وحينئذٍ اعتراها انخطافٌ، وظهرت لها العذراء، مترائيةً، للمرّة الأُولى، في مظهرٍ ملكيٍّ، متوّجةً، ممجّدةً، ملكةً في مقامٍ بناه ملكٌ، وألِف ارتياده ملوكٌ. ولكنّها تحدّثت عن قرية الأكواخ، قائلةً:

– «التمستُ «لوس» من ابني، من أَجل ارتداد الخطأة.

وقد منحني إِيّاه... سيكون لمزار «لوس» أَعداءٌ كُثُرٌ، ولكنّهم سيُخزَون. وأَنت نفسك ستواجهين مقاومةً».

وظهر لها، أيضًا، يسوع، في وضاعة الطفولة، طفلاً يروح ويجيء على الهيكل.

عقب القدّاس، روت للنائب الأُسقفيّ رؤياها، نزولاً عند رغبته، وكان محيّاها ما زال متألّقًا بأنوار الظهور، وبلّغته كلّ أَقوال العذراء. وحينئذٍ التمست العودة إلى قريتها، فاستُجيب ملتمسها، وعادت، سيرًا على الأَقدام. وبعد يومين، تناولت قطعة حلوى، عقب صيامٍ دام أيّامًا.

لقد أَثبتت مراقبة النائب الأُسقفيّ الدقيقة، صدق «بينوات»، ورفعة الكرامات التي حظيت بها. فردّ على معاونين كانوا يشكون من أنّ تحوُّل الحجّ إلى «لوس» يُفقد كنيسة «أمبران» مكانتها، وجاذبها، وجزءًا هامًّا من مواردها، بقوله: «أَيّها السادة، ليست «بينوات» هي التي تُفقد كنيستنا مكانتها، بل خطايانا هي السبب. فتضاؤل غيرتنا واهتمامِنا بجاذبها التقويّ، هو الذي أَدّى إلى انتقال هذا الجاذب إلى

أَطراف الأَبرشيّة. وبالتالي، فعوضًا عن إبعاد هذه الفتاة، التي أَمسيتُ أعرف فضيلتها، عن المزار، أو الإساءة إليها، بأيّ شكلٍ، علينا السهر لكي لا تهجر التقوى هذه الأبرشيّة، والمساهمة مع «بينوات» على حفظها، لئلاّ نفقدها فقدانًا نهائيًّا».

فور وصول «بينوات» إلى «لوس»، هرعت إلى المزار كي تقدّم آيات الشكر. وكانت العذراء تنتظرها، كي تكافئها عمّا عانت في دار الأسقفيّة. وقد انتابها انخطافٌ من العمق، بحيث خُيّل لمشاهديها أنّها ماتت.

عام ١٦٧٠، تواترت ظهورات العذراء لبينوات، التي كانت تجهد في سبيل الاستسلام التامّ للمشيئة الإلهيّة. ولكن كان عليها مواجهة أَلوانٍ عديدةٍ من المقاومة. وكان متوقّعًا أَن ينشط إِبليس في مقاومة مزارٍ توفّر فيه العذراء للخطأة فرصة التوبة. والغرابة هو أَنّ الشرّير كان ينتقي حلفاءه بين أَبناء اللّٰه. فتعمَّد مسؤولون كنسيّون تشويه سمعة «بينوات»، وإِظهارها بمظهر الساحرة، والإِيهام بأنّ عملها هو شيطانيٌّ.

وقد هاجمها إِبليس، في شهر نيسان ١٦٧٠، أمام باب الكنيسة، وروّعها قائلاً: «أُريد إهلاكك، والقضاء على حياتك. وسأثير من حولك من الإشاعات ما يميتك حزنًا!».
لا ريب أَنّ الفتاة كانت محصّنةً ضدّ هذه التهديدات، غير أنّها لم تكن في منجاةٍ من مشاعر رعبٍ وقلقٍ إِزاءها، فكان ملاكها يسارع إلى تشديد عزيمتها، مردّدًا:

– «لا تخافي، يا أختاه، فليس بوسع الشرّير أَن يفعل سوى ما يسمح له به الله. فواصلي أَنتِ عملك من أَجل خلاص النفوس».

عشيّة عيد ميلاد عام ١٦٧٠، كانت «بينوات» عاكفةً، مع أَترابها، على تنظيف الكنيسة، حاملةً في مئزرها شمعداناتٍ: وبغتةً، رأت العذراء فوق الهيكل. فارتمت راكعةً. وطلبت منها الأمّ السماويّة وضع الشمعدانات على الهيكل. ولكن «بينوات» لم تجسر على الاقتراب، وكان لا بدّ من أَن تبتعد العذراء عن الهيكل كي تدنو منه «بينوات». وحينئذٍ، انتابها انخطافٌ عميقٌ على مرأى جميع الحاضرين.

عام ١٦٧١، هجرت «بينوات» قريتها كي تقيم، نهائيًّا، في «لوس». وما زالت الغرفة التي سكنت فيها، طيلة سبعةٍ وأَربعين عامًا، مقصد الحجّاج. كانت تنفق نهارها في مساعدة عمّال البناء، والكهنة، والحجّاج، وتقحم العذراء وملاكها الحارس، في تفاصيل حياتها، مستعينةً بهما على تخطّي العقبات والمصاعب.

وفي تلك السنة تكثّف الحجّ إلى «لوس»، وتواترت، أيضًا، ظهورات العذراء. وذاعت الشائعات المشيرة إلى مخطّطاتٍ ترمي إلى اختطاف «بينوات»، أو حبسها في ديرٍ.

عام ١٦٧٢، عُيّن أُسقفٌ جديدٌ، هو «شارل برولار دي جينليس» (Mgr. Charles Brulard de GENLIS). وقد خصّ «لوس» بإِحدى أُولى زياراته الرعويّة، إِذ تنامت إليه أَنباءٌ متضاربةٌ عن ذلك المزار. قدم إلى «لوس» مرتابًا، ومنذ وصوله، صلّى طويلاً في المزار، وتأثّر بجوّ الخشوع السائد فيه. ثمّ استحضر «بينوات» التي ركعت أَمامه، وخضعت لاستجوابٍ دام ثلاث ساعاتٍ ونصف الساعة. وقد دوّن

الأسقف، بيده، كلّ فحواه. وكانت العذراء قد أَعدّت «بينوات» لهذا الاستجواب، وأَكّدت لها أَنّ الروح القدس سيتكلّم بلسانها، فاتّسمت أَجوبتها بالسكون، والدّقة، والإقناع. وعندما فشل الأُسقف في الإِيقاع بها، خطرت له حيلةٌ سخيفةٌ، فقال لها:

– «إِنّي أَبتغي تزويجك، وأَنا سأتولّى بائنتك (الدوطة)».

عرضُ الأُسقف هذا كان بمثابة صفعةٍ لتلك التي كرّست ذاتها للربّ ولأمّه العذراء، فأُغمي عليها. وسارع الأُسقف إلى الاعتذار، مؤكّدًا حرصه على بقاء «بينوات» عذراء مكرّسةً. ولدى مغادرتها، صرّح لكهنة رعيّته تقديره لسموّ نفس تلك الفتاة الاستثنائيّة، مؤكّدًا أَنّه لم يرَ، في حياته، مثل نقائها.

واستأنفت «بينوات» مسيرتها حيث امتزجت الآلام والشدائد بالأَفراح. فقد كانت أَمراضها متلاحقةً، وآلام الصلب التي تنتابها كلّ يوم جمعةٍ تضنيها. والأُمّ السماويّة تكافئ بطولتها بمبادراتٍ رائعةٍ. فقد ظهرت لها، في نهاية

عام ١٦٧٣، بصحبة ملاكٍ صغيرٍ، ودعتها إلى حمله، فأخذته بين ذراعيها، وكأنّها تحمل طفلاً، فأشاع ذلك، في نفسها، فرحًا يتعذّر وصفه، وتمنّت لو تستمرّ هذه الحال. ولكن، عندما توارت العذراء، قال لها الملاك، إنّه راغبٌ في اللحاق بها.

وعقب تأكُّد الأُسقف «جينليس» من صحّة ظاهرة «لوس»، ومن فضيلة «بينوات»، عزمت راهباتٌ تأمّليّاتٌ، من منطقة «ساڤوا»، الاستقرار في «لوس»، آملاتٍ انضواء «الأُخت بينوات» إلى جمعيتهنّ. ولكنّ العذراء رأت غير ذلك، لأنّها أرادتها رسولةً علمانيّةً، كي تبقى محرّكًا رئيسًا للحجّ، تنعم بحرّيّة الحركة، وتبلّغ الحجّاج الإرشادات التي يلهمها الربّ والسيّدة العذراء. وهذا ما لا تقوى عليه، إن هي كانت حبيسة دير. أَرادها الله خميرةً في العجينة البشريّة، وهي مهمّةٌ دقيقةٌ تستلزم حرّيّة التحرّك، وصلاةً مستمرّةً، تساندها، وتشجّعها رؤى العذراء.

في مدرسة مريم

مذ وعت «بينوات» رسالتها، نهجت درب الكمال الذي دفعتها إليه السيّدة العذراء، وغدت تعاني وقر وهنها وعجزها دون بلوغ هذا الهدف الشاقّ. كانت تحبّ الحجّاج، ولكن لم يكن، دائمًا، من اليسير عليها احتمال فضول بعضهم، وإِعجاب آخرين، وخطايا بعضهم المتجلّية. وكان عليها مواجهة الكهنة، أَحيانًا، بحزمٍ. كانت تروز البوْن بين وفائها للرسالة التي انتُدبت لها، وما وُهبت من نِعَمٍ. ولكنّ العذراء حذّرتها، المرَّة تلو الأُخرى، من أَنّ الصلوات الحزينة، في ساعات الانحطاط، لا تروق للربّ، لأنّ الأسى يفقدها زخمها. لذلك كانت تحثّها على الصمود حيال ما تشاهد وتسمع، وحيال وهنها الشخصيّ، وحيال ما لا ترضى عنه، ولا تملك وسيلةً لتغييره أو درئه.

في أَثناء مسيرتها، كانت تتعثّر، أحيانًا، فتثور إِذا سُرق منها شيءٌ. وقد تتّهم، اعتباطًا وعلنًا، أَشخاصًا بالسرقة، فتؤنّبها المعلّمة السماويّة. وكانت تدعوها إلى عدم الاحتفاظ إلاّ بما تحتاج إليه حاجةً أَساسيّةً، وعلى وهب كلّ ما لا حاجة لها به لمحتاجين، غير خاشيةٍ الافتقار إلى أَيّ شيءٍ حيويٍّ، حاصرةً اهتمامها في خدمة يسوع وأُمّه العذراء، والسعي إلى خلاص الغير.

ولطالما حرَّضتها العذراء على التمرّس بالصبر، حتّى في التماس الكمال، وإلى عدم الإِسراف في نشدان التعزيات الروحيّة السامية. وغالبًا ما حذّرها الملاك، أيضًا، من نفاد الصبر، في انتظار رؤية العذراء، وبذلك تتسنّى لها رؤيتها حين لا تتوقّع. وحتّى أَيّامها الأَخيرة، ما انفكّ ملاكها يحذّرها من نفاد صبرها، كلّما حال مرضها دون مقابلة الحجّاج، أو دون التضحيات التي كانت تفرضها على نفسها. وقد ذكّرها، عام ١٧٠٢ بأَنّ اللّه يريد أَن نظفر بالفردوس، بفضل الصبر. فالصبر تعبيرٌ عن الاستسلام للمشيئة الإِلهيّة، واللّه يكافئه بإِحلال السلام الداخليّ. وقد بذلت «بينوات»

جهودًا مضنيةً كي تُدخل إلى حياتها اليوميّة شيئًا من العذوبة والسجوّ، اللّذين كانت تنعم بهما كلّما رأت العذراء، ولكن لم يكن من اليسير عليها استنباط عصارة الرقّة والحكمة من الواقع اليوميّ القاسي، بل اقتضى منها بلوغ هذا الهدف جهودًا جمّةً، ومثابرةً شاقّةً.

ومثل كثيرين كانت «بينوات» كلفةً بالنتائج الفوريّة، راغبةً في بلوغ الهدف في الحال، متخطّيةً سأم الانتظار، ومتمنّيةً بلوغ الضفّة المرجوّة، متفاديةً مياه الزمن. وقد اقتضى منها التمرّس بالصبر سيطرةً بطوليّةً على ذاتها.

والصبر يستلزم، أيضًا، إِخضاع الإرادة الخاصّة لإِرادة اللّٰه. وقد قطعت «بينوات» في هذا المضمار، شأوًا واسعًا. ولطالما اضطرّت، بدافع الطاعة، إلى تحذير أَشخاصٍ كانت تكنّ لهم معزّةً واحترامًا. فهي، على سبيل المثال، حذّرت كهنة «لوس» من عزم العذراء نقل مزارها إلى مكانٍ آخر، إِن لم يغيّروا سلوكهم إلى الأَفضل. ولكم شقّ عليها تبليغ هذا التحذير كهنةً كانوا لها بمثابة الأَهل والسند!

وفي عام ١٦٧٨، كُلِّفت بتبليغ الأُسقف، شخصيًّا، تحذيرًا حاسمًا، يدعوه إلى إِيلاء المزار المقدّس مزيدًا من العناية، تفاديًا للندم والدينونة. ولا ريب أَنّ «بينوات» كانت تعي ما قد تكلّفها هذه المهمّات من عداء ذوي الشأن، فضلاً عن نفورها الفطريّ من التدخُّل في شؤون الغير. هذا النفور كان يحول، أَحيانًا، دون لجمها أَشخاصًا، كانت تعرف أَنّهم مقدمون على ارتكاب خطايا جسيمةٍ، فتضطّر العذراء لدفعها دفعًا إلى عمل ما تراه واجبًا، أو تكلّف الملاك بمهمّة دفعها إلى ذلك.

أَمّا بشأن هموم الغير، هموم منطقتها ووطنها، وهموم الناس الذين تعرفهم، فكانت العذراء تدعوها إلى الصلاة، وعمل كلّ ما تستطيع إليه سبيلاً، على أَن تدع الباقي للّه، بلا قلقٍ. وكثيرًا ما دعتها العذراء إلى انتباذ الضغينة، وإلى عدم الاضطراب بسبب المحن الزمنيّة. ودعتها عام ١٦٧٧ إلى تكثيف الصلاة من أَجل تقصير أَمد مكوث النفوس في المطهر.

وهكذا بفضل قيادة العذراء، وبفضل إِيغال «بينوات» في الحبّ والتجرّد، بلغت قمّةً سامقةً في ميدان الصبر، والطاعة، والاستسلام للمشيئة الإِلهيّة، والقداسة.

ولا ريب أَنّ ما كان يزيد مسيرتها على دروب الكمال مشقّةً، أَنّها لم تكن تعيش في ديرٍ، بمنأًى عن تأثير العالم، تحميها نذورٌ صريحةٌ ونظامٌ صارمٌ؛ بل كانت منغمسةً في مستنقع العالم، حيث يتمرّغ الخطأة، ويغمرها سيل الحجّاج بأَقذر ما في العالم من ثمالةٍ وحثالةٍ. ولذلك نصحها الملاك، وهي في الحادية والستّين من عمرها، بالتزام الحيطة والخلوة، قائلاً: «اجهدي في أَلاّ تنأي عن حضور الله، فمن تلازمه فكرة حضوره، لا يجرؤ على إِهانته».

وفي عام ١٧٠٥، أَوصاها الملاك، ثانيةً، ألاّ تعير العالم سمعًا، إِرضاءً لله، وأَن تحسن عمل ما تؤمر به. وباستجابتها لهذه الإِرشادات، كانت «بينوات»، كلّما تقدّمت سنًّا، تكتسب مزيدًا من التسليم للمشيئة الإِلهيّة، ومن الصبر، والطاعة، والخشوع، والخلوة، مزيّنةً سلوكها بما أوصتها به

المعلّمة السماويّة: الإحسان المكتوم الذي يغيظ الشرّير، والتضحيات، فهي سواءٌ صغرت أَو عظمت، ثمينةٌ لدى الله. وقد واصلت «بينوات» مسيرة الزهد والتضحية حتّى بلغت الحادية والسبعين. كانت، حينئذٍ، قد نضجت، وبلغت، في مراقي الكمال، أقصى ما استطاعت إليه سبيلاً، فاستدعاها الله إلى جواره.

«بينوات» أداة ارتداد الخطأة

لقد مرَّ بمزار «لوس» خطأةٌ من كلّ لونٍ. ووضع اللّه في طريقهم تلك الفتاة التي سكنها حبّ المسيح والعذراء والقريب، الفتاة الطاهرة والمتألّمة التي تقودها العذراء، ويؤازرها ملاكها، والتي أُعطيت استجلاء خفايا النفوس، من خطايا وشرورٍ وعللٍ، والتي ينيرها الروح إلى ما يتعيّن عليها قوله وفعله. وتتلقّى، أحيانًا، من العذراء أو الملاك، أمرًا بتحذير خاطئٍ معيّنٍ من مغبّة خطاياه. لقد زرعها اللّه في «لوس»، وكرّسها لخدمة العذراء، لكي يمنّ على الخطأة بنِعَم الارتداد، وحباها موهبة مسّ القلوب، وحملها على التوبة، ودفعها إلى كرسيّ الاعتراف.

كتب الأَب «غايّار» بهذا الشأن: «عندما ترى »بينوات« خطأةً، تعرف كلّ ما له بخطاياهم صلةٌ: زمانها، ومكانها،

ونوعها، وعدد مرّات ارتكابها». وغالبًا ما تواكب هذه المعرفة الذهنيّة دلائل حسّيةٌ: علاماتٌ على الجبين، وألوانٌ، وروائحُ. فالسواد، مثلاً، يشير إلى الخطيئة، والتألّق إلى النعمة الإلهيّة والطهر.

ومن أَبرز الخطايا التي كانت تستشفّها خطايا الفسق، بكلّ أنواعها وفئاتها، وبما ينتج عنها، مثل قتل الأَجنّة. بشاعة هذه الخطايا كانت توجعها، ولاسيّما عندما تشهدها لدى كهنةٍ تقتضي منهم رسالتهم تطهير النفوس من خطاياهم.

رؤيتها للخطايا كانت تفرض عليها تحذير الخطأة، ودفعهم إلى التوبة، بوسائل المحبّة والإقناع. كانت تحاصر نفس الخاطئ، وتحمله على رؤية حاله، في كلّ بشاعتها، وتحرّك قلبه، وتُسيل فيه الندم، إلى أَن تسكنه النعمة. تنصح، وتؤنّب، وتُنذر، وتُقنع، في آنٍ واحدٍ، ويدعمها، في كلّ ما تقوم به، الروح القدس، بواسطة العذراء، موزّعة جميع النعم. لا تدّعي تعليم الأَخلاق، محتفظةً بتواضع مخلوقةٍ هشّةٍ، وتعلن أَنّها لا تقول إلاّ ما تلقّنته من العذراء والملاك.

كانت تستخدم، لكلّ خاطئٍ، الأسلوب الذي يلائمه، فتعزّي الحزانى، وتشدّ أَزر القانطين، وتُنذر المقيمين في عنادهم، ولكنّها لا تسترسل في محاولتها إِصلاح من يعلنون تمرّدهم على الله، بعد استنفادها كلّ كنوز حبّها، وإِيمانها، ومحبّتها. ولكنّها، في معظم الأَحيان، تبلّغ الخطأة نصائح العذراء، داعيةً إِيّاهم إلى استبدال حبّهم للخطيئة بحبّ الله، فيخلصون. وكانت تنصح كلّ إِنسانٍ وفقًا لما يقتضيه وضعه.

وكانت ردود فعل نصائحها على قدرٍ كبيرٍ من التباين. ففئةٌ كبرى من الحجّاج كانوا يصغون إليها بفرحٍ، ويعملون بتوجيهاتها. ولكنّ آخرين كُثُرًا، حتّى من الكهنة، كانوا يقابلونها بالتشكيك، والسخريّة، ويجهدون في إِخزائها، ويطرحون أَسئلةً ماكرةً، ويتمادى بعضهم حتّى شتمها. فكانت تبذل جهودًا شاقّةً كي تبتلع تلك الشتائم.

واتّسمت أَقوالها وتصرّفاتها ببساطة فطرتها الريفيّة، وصراحتها الفجّة. وقد أَلِفت الصلاة، بحرارةٍ، من أَجل من

ترشدهم، وإِيكال تطهير نفوسهم إلى عناية اللّه والعذراء. وحتّى بعد أَن تتحقّق توبتهم، تواصل الصلاة لكي يمضوا قُدُمًا في حبّ اللّه، وعيش الإِنجيل.

وقد حرصت على تبديد الجهل الذي يتعمّده بعض الخطأة، في ما يخصّ أُمور نفوسهم، كيلا يضطرّوا إلى مقاومة ميولهم الوبيلة.

وكانت تؤثر بحدبها وعنايتها الحزانى والمفجوعين، وتجهد في أَن تسرّب إلى نفوسهم مثل العزاء الذي تسرّبه السماء إلى نفسها. وكان المتعبون الذين بهظت الهواجس والعيوب كواهلهم، يلتفّون من حولها؛ وهي، بمعونة العذراء وملاكها، لا تني تنير النفوس، محذّرةً من عواقب تجاهل مخاطر الخطيئة والنأي عن اللّه. ولكنّها ترفض التحدّث إلى من تعرف رفضهم المسبّق للّه، الذين لا يرومون، من مجيئهم إلى «لوس»، سوى التهكّم بها، وبروائع اللّه والعذراء.

كانت عونًا ثمينًا للكهنة. ويسوغ التساؤل من أَين أَتتها المعرفة والحكمة، مع أَنّها لم تختلف إلى مدرسةٍ، ولم تنفق،

في المطالعة، وقتًا طويلاً. ولا ريب أَنّها، فضلاً عن بساطتها، وصدقها، وغيرتها الرسوليّة، كانت تنعم بمواهب سماويّةٍ تؤازرها على أَداء رسالتها. وقد تجلّت هذه المواهب من خلال عدد الذين نالوا، في «لوس»، نعمة التوبة. وقد دوّن الأَب «غايّار»، عام **١٦٩٣**، هذه الملاحظة: «خلال هذه السنة، أَنذرت «بينوات» **٣٨٢** خاطئًا، وقد ارتدّ نصفهم إلى اللّه».

جلجلة «بينوات»

مع اقتراب صوم عام ١٦٨٦، اعتلّت «بينوات»، ولزمت الفراش. وحينئذٍ سمعت العذراء تقول لها: «**تشجّعي، يا ابنتي، وامضي قُدُمًا على دروب الفضيلة. يجب أَن تظهري في الكنيسة، يوم** «**أربعاء الرماد**».» وقد أثارت رائحة العذراء العذبة مشاعر الفتاة، فبكت مدرارًا، وعكفت على الصلاة.

وقد شهد ربيع تلك السنة فيضًا من الأَشفية العجيبة. وأَحصى الأَب «پيتيو» ستّين تطوافًا في غضون شهرين. ومن الأَشفية التي سُجّلت، ما حدث لفتاةٍ، كانت تشكو، منذ مولدها، قصرًا بنحو ثلاث أَصابع، في إِحدى ساقيها، عن الساق الأُخرى، فنُذرت لسيّدة «لوس»، وفي أثناء الصلاة

عن نيّتها، في المزار، امتدّت ساقها القصيرة، وتساوت طولاً مع ساقها الأُخرى.

أَمّا «كاترين مارتيل» التي فقدت بصرها، نتيجة التهابٍ حادٍّ، وذابت عيناها فلم يعُد يُرى لها أَثرٌ في محجريها، فقد استعادت بصرها، في أَعقاب تساعيّة صلواتٍ لسيّدة «لوس» في ١٦٨٦/٨/١٩.

وامتدّت لائحة الأَشفية العجيبة، مع أَنّ الكهنة لم يدوّنوا، منها، سوى واحدٍ من عشرة آلافٍ. وتجلّت، أيضًا، كرامات «بينوات». فقد حاولت فتاتان قدمتا من مدينة ليون، امتحان قدراتها التنبّؤيّة، ولكنّ «بينوات» تملّصت، مرَّتين، من محاولاتهما. ولكن، عندما تبيّنت أَن تملّصها كفيلٌ بزعزعة إِيمانهما، تكلّمت، فامتدحت إِحداهما، وكشفت للأُخرى أَخطاء فسقها.

ولا عجب إِن تضافر الشرّير مع ثلّةٍ من الخطأة وأَعداء الظاهرة، على مقاومتها بكلّ وسائل الخبث المتوفّرة. وكانت العذراء قد أَنذرتها بأنّ صلبانها تقترب، فعليها الاعتصام بالصبر. وانهالت عليها الصلبان من كلّ صوبٍ، ونشط الشرّير

في حملته الشرسة عليها. وكان الملاك قد أَنذرها بأنّ إِبليس سيقوم بكلّ ما يستطيع لتدمير ظاهرة «لوس».

عام ١٦٨٨، فقدت «بينوات» أُمّها، وأَخبرها ملاكها أَنّها ستمكث أَربعة أشهرٍ في المطهر.

وأَخذت السحب تحوم فوق «لوس»، ونشط الأَشرار لسحق «بينوات» بمكائدهم، إلى جانب الصلبان التي كان الشرّير يُعدّها لها. واشتدّت حملات التشكيك بمصداقيّتها، من قبل ذوي العلم والنفوذ، وحاول أَساقفةٌ إِشاعة الريبة حول ما ادّعته من ظهوراتٍ، متذرّعين بحججٍ لاهوتيّةٍ باطلةٍ، لم يعسر على «بينوات» دحضها، بفضل بساطتها، وصراحتها، وتواضعها، والأَنوار التي أَسبغتها عليها السماء.

وعلى ادّعاء أَنّ الظاهرة عملٌ شيطانيٌّ قالت: «لا قدرة للشيطان على الشفاء، بل النعمة هي التي تشفي. والشيطان عاجزٌ عن تحقيق أَدنى عملٍ صالحٍ من الأَعمال التي كانت تحدث في «لوس»». وأَيضًا: «لم تقل لي العذراء، يومًا، سوى حقائق كفيلةٍ بخلاص النفوس. أَمّا إِبليس، فلا قدرة له إلاّ على الكذب».

ومن الصلبان التي حلّت عليها، في تلك السنة، وفاة معرّفها، الأب «پيتيو» الذي كان قد أكبّ، بكلّ سداد نظرته، على سرّ «بينوات»، وسرّ «ظاهرة لوس»، فاستوعبهما، وقدّرهما حقّ قدرهما، وانبرى للدفاع عنهما، بكلّ ما أُوتي من إيمانٍ، وطاقاتٍ. وقد انطفأ بهدوءٍ في ١٦٨٩/٣/١٩، بعد أن تلا المسبحة الورديّة، وتعظيمة العذراء، ولفظ نفسه الأخير، مع آخر مقطع من التعظيمة.

وإلى جانب ذلك كانت مدافع الحرب تدوّي على حدود فرنسا، وقد أنذر الملاك بأنّ أمرها سيطول.

غير أنّ شهر أيّار **١٦٩٢** قد جاءها بعزاءٍ جمٍّ، إذ تواترت زيارات العذراء لها. وفي الخامس والعشرين من ذلك الشهر، عند الساعة السادسة مساءً، إذ كانت «بينوات» عاكفةً على ترتيب أمتعة المصلّى، شدّها شذا العذراء العذب، فالتفتت، وإذ بأمّ الله على الهيكل، يحيط بها ملاكٌ من كلّ جانبٍ، وقالت لها:

– «تشجّعي، يا ابنتي، لقد تُقتِ إلى رؤيتي، وأنا ابتغيت سبر ثقتك ورجائك في ابني الحبيب، وفيّ».

في هـذه الأثـنـاء، كـانت الـعـذراء تـواصـل إِصـلاحـهـا، فتحذّرها من الاهتمامات المفرطة، وتدعوها إلى سجوّ الروح والقلب. وكانت أَقوال العذراء تُسيل، في نفسها، مزيدًا من الغيرة الرسوليّة، وتشدّ أزرها، وتسكّن روعها.

وهي كانت في حاجةٍ إلى تشجيعٍ، إِذ كان يقضّ مضجعها، منذ أَشهرٍ، همّ سفرٍ محفوفٍ بالمخاطر، حان وقته في مطلع شهر تمّوز، فرارًا من الحرب. وأَنذرها ملاكها بواجب المضيّ مع الكهنة، واصطحاب كلّ متاع المصلّى الثمين. ولكم شقَّ على «بينوات» النأي عن مصلاّها العزيز! ولكنّ العذراء لم تنأَ عنها. ففي الثاني من شهر آب، وكان الفارّون قد لجأوا إلى بيتٍ في قريةٍ، وصعدت «بينوات» إلى أهراء البيت، كي تصلّي بهدوءٍ، ففاجأها شذا العذراء العذب، المنبئ بحضورها. وما انفكّت الأُمّ السماويّة تحذّرها من المخاطر المحدقة بها وبأصحابها الفارّين، كي يحتاطوا، ويتّخذوا تدابير النجاة. ولهذه الغاية أَوصتهم باللجوء إلى مرسيليا.

وفي مرسيليا، التقت «بينوات» النائب الأُسقفيّ الذي كان

ينظر إلى ظاهرة «لوس» بكثيرٍ من التحفّظ. ولكنّها انتحت به جانبًا، ونصحته، من قِبَلِ السيّدة العذراء، بشأن أَمرٍ كان يشغله، ولم يبُحْ به لأَيّ إِنسانٍ. وحينئذٍ انقلب موقفه من «لوس» ومن «بينوات» التي سمح لها بزيارة أَديرة الراهبات اللواتي أَسدت لهنّ خدماتٍ روحيّةً جليلةً، إِذ كشفت لبعضهنّ عيوبًا كنّ يجهدنَ في إِخفائها، وخطايا أَحجمنَ عن الاعتراف بها. ونصحت باستبعاد بعض المعرّفين. وقد غاظها، في أَحد الأَديرة، أَن انتزعت منها راهباتٌ قصاصاتٍ من ثيابها، بمثابة ذخائر.

وذات يومٍ، أَنبأها الملاك أَنَّ سكن كهنة «لوس» قد أُحرق، فعزمت، هي والكهنة الفارّون المرافقون لها، على العودة. وكانت «بينوات» تتعمّد التخفّي، تفاديًا لاحتشاد الجماهير. ولمّا تنامى إليها أَنّ أَهالي «إِيكس» (Aix) ينوون احتجازها، لاذت بالفرار، عبر الحقول والبراري.

واتّفق أَنّ كاهنًا أَمعن في إِهانتها وشتمها، فأماطت له اللثام عمّا كان يثقل ضميره من ذنوبٍ، فتاب وغيّر سيرته.

وبالإجمال، كان عبورها بمرسيليا زاخرًا بالثمار، بفضل

النصائح التي أَسدتها لكثيرين من كهنةٍ، وراهباتٍ وعلمانيّين. وبفضل صلاتها شفي طفلٌ، بناءً على توسّلات أُمّه المفجوعة.

سعدت «بينوات» بالعودة إلى «لوس»، حيث عكفت، مع رفاقها وأَصدقائها، على تنظيف المصلّى من كلّ ما لحق به، وكان الله قد أَنقذه من الحريق بأمطارٍ غزيرةٍ هطلت فأطفأت اللهيب، فور نشوبه.

ولكن لم تنتهِ، بذلك، جلجلة «بينوات». فقد جدّد كهنة الأَبرشيّة، «جنسينيّو» (Jansénistes) النزعة، الحملةَ على ظاهرة «لوس»، بمزيدٍ من الضراوة، ونصحها ملاكها بتفادي الخروج، ليلاً، بمفردها، حؤولاً دون اختطافها.

ومن الشدائد التي أَلّمت بها، في تلك السنة، رحيل مدافعٍ آخر عنها وعن الظاهرة، هو الأَب «هيرميت». وكان الأُسقف الذي مال إلى تصديق «بينوات» يقضي معظم وقته في باريس، متيحًا لنائبه ولمستشاره حرّيّة التصرّف على هواهما. وكانا، كلاهما، مدفوعين بنزعةٍ جنسينيّةٍ متشدّدةٍ، ويضمران للظاهرة حقدًا وعداءً عنيفين. وعندما كان الأَبوان «پيتيو»

و«هيرميت» يدافعان عن تلك الظاهرة، كانا ينعتانهما بالواهمَيْن الأحمقَيْن، لأنّهما «صدّقا، بخفّةٍ، فتاةً بسيطةً، دابّةً حمقاء، عديمة الإدراك».

وبوفاة ذيْنك الكاهنين الوفيّين للظاهرة، خُيّل لأَعدائها خلوّ الساحة لهم، فطالبوا بإِقصاء الأَب «غايّار» الذي، مع بلوغه الثمانين من العمر. كان ما زال شديد المراس، وقد أَعلن عزمه على الدفاع عن ظاهرة «لوس»، وعن «بينوات» حتّى الرمق الأخير، ولدى المحاكم المدنيّة، إِن اقتضى الأَمر.

وعُيّن، عوضًا عن الكاهنَين الراحليْن، آخران مناوئانِ للظاهرة، ولا عجب إن ابتأست «بينوات»، في هذا الجوّ المشحون بالعداء والريبة. وزاد من كربها أَنّ العذراء لم تزرها، خلال عام ١٦٩٦، سوى مرَّةٍ واحدةٍ، في ٢٧ شباط... وفي العام ١٦٩٧ أُوحي إليها أَنّ، ثمّة، من يبتغون انتزاعها من «لوس»، فلتُكثر من الصلاة. وقد التمست، في صلاتها، من روح الأَب «هيرمت» الراحل، أَن يأخذها معه إلى حيث لا عداء، ولا سلطة لإِبليس. ولكنّها أُفهمت أَنّ ساعة رحيلها لم تحن بعدُ، لأَنّ جلجلتها لم تبلغ نهايتها، وأَنّ اضطراباتٍ

ستستمرّ في «لوس» إلى أَن يأتي رهبانٌ يتولّون العناية بالمزار. وكان لا بدّ من انتظارٍ دام ثلاث عشرة سنةً.

وأَفصحت العذراء، أَيضًا، عن رؤيتها لمستقبل «لوس» بقولها: «**سيوجد، دائمًا، كهنةٌ في «لوس» بعضهم مريعون، وبعضهم مسيحيّون جيّدون**».

وأَشرف القرن السابع عشر على نهايته، وسط البؤس والحروب. وفي هذه الأَثناء، ظلّت «بينوات» تحيا في جوٍّ فائق الطبيعة، مقاوِمةً لإِبليس، ولأعوانه الذين كان يجنّدهم لمحاربتها.

مسيرة «بينوات» الصوفيَّة

منذ عام ١٦٧٣، كانت «بينوات» قد عقدت اتّحادًا صوفيًّا بيسوع، غير أنّه ظلّ عليها مقاومة نقائصها، والتغلّب اليوميّ على ضعفها البشريّ، والنهوض من كبواتها المتكرّرة، مدفوعةً برغبات الحبّ الإلهيّ، مصغيةً إلى إلهامات السماء، دائبةً على ترويض نفسها بالإماتات الصارمة، قارنةً حياة التأمّل والصلاة، بحياة العمل المتواصل من أجل خلاص الخطأة الذين كانت تزوّدهم بكنوز الرحمة الإلهيّة التي أُودعت في نفسها.

واجب القرن الدائم بين تقويم أخطائها وميولها الفطريّة من جهةٍ، والعمل الرسوليّ من جهةٍ أُخرى، كان لها مبعث ضيقٍ، ولذلك دأبت المعلّمة السماويّة على دعوتها إلى الصبر والاحتمال الهادئ.

لا ريب أنّ حياة التأمّل تغذّي الحياة العمليّة بالطاقة، وفي الآن عينه، تزوّد النفس بالسكون. ولا مراءَ أنّ الجمع بين التأمّل والعمل هو درب الكمال، وهو ما دُعيت إليه «بينوات»، وما سعت إليه.

إنّ روح الصلاة والتكفير عن الخطايا الذي برز لديها منذ طفولتها، كان دليلاً على مواهبها الصوفيّة الباكرة. العذراء هي التي بادرت بالظهور لها، ولكن أليست رغبة قلبها الساذج هي التي أمالت العذراء نحوها؟ وأليست نظرتها إلى الصليب المفعمة حبًّا وتعاطفًا، هي التي جعلت صورة المصلوب تتحرّك، حيّةً، في اتّجاهها؟ أَوَلَم ينصحها الملاك، تفاديًا لغرقها في لجّة العالم وهمومه ومشاغله، بقوله «اجهدي في المكوث دائمًا في حضور الله»؟

كبار الصوفيّين المسيحيّين ركّزوا تأمّلهم في يسوع. ولكنّ محبّة «بينوات» هفت، تلقائيًّا، نحو العذراء، مع احتفاظها بكلّ المكان اللائق بيسوع في قلبها. فتلك الفتاة قد ظلّت طفلةً تحتاج، كي تحيا، إلى أمّها السماويّة. وقد زاد من حميميّة

علاقتها بمريم ما كانت تؤتيها ظهوراتها لها من عذوبةٍ وحظوةٍ. ولكنّ تلك الحميميّة لم تصرفها عن الربّ، فليس من شأن مريم أن تصرف أحدًا عن ابنها. في الظهورات الأولى، كان يسوع طفلاً يرافق أمّه، ويفتن قلب «بينوات» بعذوبته، ولكنّه كبر في قلبها، وأصبح المصلوب الذي أشركها في آلامه. ومع ذلك، نبّهتها العذراء، عام ١٦٩٥، إلى واجب لجوئها، في صلواتها، إلى يسوع، في المقام الأوّل، قائلةً:

– «**يجب أن تلتمسي منّي الصلاة إلى يسوع من أجلكم، وأن أكون محاميتكم لديه، وأُمّكم الحنون...**».

ومن ثمّ يمكن القول إنّ «بينوات» كانت تُختطَف، في مريم، نحو يسوع، وكانت ترى يسوع من خلال مريم، وفي هيئة مريم.

وكانت «بينوات» تفسّر الرؤى والانطباعات الفائقة التي تحظى بها، بصورٍ وعباراتٍ تتلاءم مع مفاهيمها وقدراتها الذهنيّة. بمثل هذه الصور والعبارات، وصفت زيارتها إلى الفردوس، التي استصحبتها فيها السيّدة العذراء، ليلة ١٥

آب ١٦٩٨، وحيث تصرّفت تصرّف قرويّةٍ، وأظهرت ميلاً إلى تطبيع فائق الطبيعة أكثر من ميلها إلى السموّ بالطبيعيّ.

ومن المعروف أنّ اللّه يمتحن الصوفيّين بمحنٍ أقسى من تلك التي تحلّ بسواهم. ومن أشدّ هذه المِحَن قسوةً ما يُدعى «ليل الروح»، إذ تتألّم النفس بشعور تخلّي اللّه عنها، وتعاني جفافًا وقفرًا نفسيّين، تزيدهما إيجاعًا ذكرى الأفراح والأنوار التي نعمت بها سابقًا. ولا ريب أنّ «بينوات» كانت تعاني، أحيانًا، طول غياب العذراء عنها، وتعاني، أيضًا، العودة إلى تفاهة الأرض، بعد روعة الرؤى السماويّة. ولكن من المحقّق أنّ كلّ ظهورٍ للعذراء كان يزوّدها بزادٍ من النور والقوّة.

وبالمقابل، كانت، كلّما ضاقت بالمصاعب ذرعًا، تُسيل الأمّ السماويّة، في نفسها، السكون، بكلمةٍ. فمن شأن الكلمة السماويّة، إشاعة السكينة، وطرد الهواجس، وتبديد الهموم، وهذا ما كانت «بينوات» تدعوه «عزاء».

لقد توغّلت «بينوات» في الحياة التأمّلية، لأنّ الحبّ هو غاية التأمّل، وهي قد أمعنت في الحبّ. ولا ريب أنّ حياتها

الصوفيّة تفسّر سيرتها وكيانها، كما يفسّر ظهور الربّ لشاول، عند أبواب دمشق، شخصيّة بولس.

فالظهورات واستجابة «بينوات» لها، هي التي كوّنت شخصيّتها.

ومن المؤكّد أنّ العالم لا يرحّب بالصوفيّين. فالصوفيّ، في نظره، متميّزٌ عن السواد الأعظم، والنور المشعّ منه يضايق الظلمات المحيقة. وقد كانت «بينوات» موضع ريبةٍ طيلة حياتها، حتّى من قِبَل الكنيسة التي كانت لها ابنةً بارّةً. وهي لم تبالِ بالريبة التي طالتها شخصيًّا، ولا بما أُلصق بها من نميمةٍ، وأراجيف، غير أنّ التشكيك بالظهورات كان يؤلمها، لأنّها كانت ترى فيه تشكيكًا بالعذراء نفسها.

لقد كانت «بينوات» رسولة مريم، التي، بدورها، تبلّغ رسائل الروح القدس، منعش الكنيسة. وقد بلّغت «بينوات»، بأمانةٍ، رسائل فائقة الطبيعة، ولكن، وفق ثقافتها الدينيّة والبشريّة، أي وفق التفكير واللغة الرائجين لدى معظم مسيحيّي القرن السابع عشر.

خطفٌ شيطانيٌّ

الأحداث الشيطانيّة الخارقة تحتلّ حيّزًا رحبًا من حياة «بينوات». بيد أنّ نعَمًا فائقةً قد وقتْها من الوقوع ضحيّة خبثها، ومن الموت بفعل شراستها.

هذه الهجمات كانت الوجه الآخر للكرامات الفريدة التي حظيت بها. ففي حين يزوّد الربّ النفوس التي يدعوها، بوسائل فائقةٍ من أجل تطهيرها، وتحريرها من ثقلها، وتسهيل تصعيدها إلى الآب، يمعن الشرّير في إِرهاقها، واجتذابها إلى الهاوية.

ولم تكن الهجمات الشرّيرة التي تعرّضت لها «بينوات»، تخيّلاً، بل كانت ترى وتسمع الكائن الفاسد فترتعد، وتستعين بإشارة الصليب، أو بالماء المقدّس، وخاصّةً بالصلاة، لدرء عنف سطوته.

وقد فسّر لها ملاكها سبب هذه المِحَن بأنّ الآلام الناجمة عنها تسهم في تطهيرها، وفي إصلاح نفاد صبرها، الذي يمثّل عيبها الرئيس، مبيّنًا أنّ الثقة باللّه تتقوّى بغلبتها على تجارب القنوط، لأنّ اللّه يبتغي لخدمته، نفوسًا صلبةً، مسقيّةً كالفولاذ.

كانت «بينوات» تنفق نهارها في خدمة الحجّاج، وتواجه، ليلاً، ملك الظلمات، مواجهةً رهيبةً، تكسبها صلابةً واستحقاقًا.

وقد تركّزت تجارب الشرّير على النيل من طهارة «بينوات»، وعلى دفعها إلى القنوط. وجديرٌ بالتنويه أنّ إبليس لم يلمس، قطّ، جسدها، بل كان يكتفي بضربها، وبقرصها فوق ثيابها. وإن لمسها لمسًا عابرًا، كان يصيح: «إنّك تحرقينني، أيّتها الخبيثة». فطهرها كان نارًا تلدعه.

وسرعان ما أدرك الشرّير أنّ محاولاته النيل من طهرها لن تجديه نفعًا. فالسيّدة الكبيرة، كما كان يسمّي العذراء، تحميها. ولذلك وجّه جهوده إلى زرع اليأس في نفسها. وكان

من الطبيعيّ أن تخشى الفتاة ذاك الذي كان كلّ ذكائه موجّهًا نحو الإيذاء الأقصى. وهو، بغية التأثير عليها، كان يريها رهطًا من أشخاصٍ تعرفهم وتقدّرهم، ويؤكّد لها تعاطيهم أعمالاً تنافي الطهارة، وأنّهم لن يتوبوا، بل هم صائرون إلى هلاكٍ حتميٍّ، محدّدًا تواريخ وفاتهم. وكان ذلك يفعم الفتاة قلقًا واضطرابًا.

هذه الهجمات الليليّة المليئة بالرؤى والإيحاءات الحاقدة المروّعة، وبالأذى الجسديّ، لم تستطع النيل من رجاء «بينوات» الراسخ في الله. فأمّها السماويّة الحنون، وملاكها الطيّب كانا يفتحان قلبها وذهنها، ويغدقان عليها الطمأنينة والرجاء، فلا يقوى الشرّير على النيل منها.

ولم يهمل الشرّير وسيلةً كفيلةً بإفساد خشوعها وصلاتها: من ضجيجٍ مدوٍّ، ورؤًى بشعةٍ ومخيفةٍ لبشرٍ وحيواناتٍ، وأحاديث ماجنةٍ، ودعوةٍ إلى التمرّد على الله.

أمّا الهجمات الأعنف قسوةً فتمثّلت في اختطافها الذي تكرّر مئات المرّات. هذا الاختطاف كان يحدث، عندما

تستسلم «بينوات» للنوم، مرهقةً تعبًا، فيهجم عليها شيطانٌ أو شيطانان. يحملانها ويطيران بها في الجوّ، بسرعةٍ تسبّب لها وجعًا في رأسها، واحمرارًا في عينيها. وقد اتّفق أن مرّا بها، وهي على هذه الحال، فوق سكن الكهنة الذين سمعوا صيحات استغاثتها. ثمّ كانا يلقيان بها على صخرةٍ في قمّة جبلٍ، أو في أسفل الجبل. سقوطها على الصخر كان، غالبًا، يؤدّي إلى جرحها، فتعود مثخنةً بالجراح، عاجزةً عن الكلام والحركة. عمليّات الخطف هذه كانت تحدث في كلّ الفصول، ولكنّها تكتسي حدّةً في الشتاء، إذ كانت تسجّى فوق الثلج، يمزّقها البرد.

ولم يكن الشرّير يقتصر على تركها، هكذا، وحيدةً، في أمكنةٍ مقفرةٍ مظلمةٍ، بل إنّه، في محاولة زرع اليأس في نفسها، كان يخاطبها خطاباتٍ مقذعةً، ويسرد لها الخطايا المقزّزة التي يدفع كهنةً إلى ارتكابها.

وكان الملائكة يهرعون لنجدتها، فيواسونها، ويضيئون ليلها، ويساعدونها على الانحدار من الصخرة، وعلى عبور

الساقية، عبورًا عجيبًا، عندما تكون مياهها مرتفعةً، ويرشدونها إلى الطريق. وقد يمدّونها بشيءٍ من قدراتهم الفائقة، بحيث تخترق الجدران، والأبواب الموصدة، وتنتقل انتقال البرق من مكانٍ إلى آخر، وعندما تعود إلى حجرتها، تستعيد كلّ وهنها الجسديّ.

حوادث الخطف الشيطانيّ هذه تكاثرت منذ عام ١٦٨٤، بعد أنّ أُعفيت «بينوات» من آلام الصلب الأسبوعيّة. وكانت تتمّ بوتيرة مرّتين أو ثلاث مرّاتٍ كلّ أسبوعٍ. وأُحصيت خمسٌ وعشرون عمليّة خطفٍ بين ١٦٨٩/١/١ و١٦٨٩/٣/١٩. واشتدّت تلك الحملات شراسةً عام ١٦٩٠.

وقد اقتادها الأبالسة، يومًا، إلى الجحيم، حيث شاهدت مدانين غارقين في بحر نارٍ، لا يبرز منهم سوى جذعهم، ومنهم عديدون كانت تعرفهم. هذا المشهد استدرّ من مآقيها سيلاً من الدموع الحارقة، إلى أن أنقذها ملاكان من ذلك المكان.

مرحلة كسوفٍ

عام **١٦٩٢** عيّن رئيس أساقفة «أمبران» نائبًا أُسقفيًّا كان يضمر عداءً لدودًا لحركة الحجّ إلى «لوس». وهذا، بدوره، كلّف برعاية مزار «لوس» كاهنين كانا يجهران بميولهما «الجنسينيّة». ومعروفٌ أنّ «الجنسينيّين» كانوا يرون في الإقبال الجماهيريّ على كراسي الاعتراف، وفي التكريم المندفع لأمّ الله التي تعطف على جميع الخطأة، وتسعى إلى مصالحتهم مع ابنها، شططًا يتعارض مع إيمانهم بأنّ النعمة حكرٌ على فئةٍ ضئيلةٍ من النخبة، وأنّ المظاهر التقويّة الشعبيّة هي تشويهٌ للدين.

وبالإجمال كان الضيق يساور المسؤولين الكنسيّين، في أبرشيّة «أمبران»، من جرّاء تدفّق التبرّعات على مزار «لوس»، ولكأنّ هذه التبرّعات كانت تُسلَب منهم. فاتّهموا

كهنة «لوس» و«بينوات» باختلاسها. وأشاعوا طائفةً من التخرُّصات المماثلة. وقد نعتوا انخطافات «بينوات» بعوارض صرعٍ. وأقصوا الأخ «أوبان»، بسبب ما كان يؤدّيه من خدماتٍ، وما يبديه من غيرةٍ حيال ظاهرة «لوس».

ومنذ عام ١٧٠٠ اشتدّت المؤامرة على حياة «بينوات» وعلى سمعتها، ولذلك نصحتها العذراء بالتحاشي عن الخروج ليلاً، لكيلا تفسح للنميمة مجالاً، وللغدر فرصةً.

ونجح الكهنة المناوئون للظاهرة في قلب موقف الأسقف الذي كان مؤيّدًا، فعزم على إيداع «بينوات» في دير راهباتٍ. ولكنّ الملاك طمأن «بينوات» بأنّ الأمور لن تلبث أن تتغيّر، وبأنّ الكهنة المناوئين سيُكلَّفون برعاية مراكز أُخرى بعيدةٍ.

واتّضح للأب «غايّار» أنّ الكهنة المكلّفين، حديثًا، برعاية مزار «لوس»، أهملوا كراسي الاعتراف. فبات ينصح الحجّاج بالاعتراف في أبرشيّاتهم. وفضلاً عن ذلك، كان أولئك الكهنة يروّجون أنّ أساقفة «غرينوبل» و«غاپ» لا يؤمنون

بظاهرة «لوس»، وكانوا يوعزون إلى المؤمنين بالاستعاضة عن تسمية العذراء «أمّ اللّه»، بتسميتها «أُختًا»، فحسب.

وفضلاً عن حربهم الشعواء على المقام المريميّ، شنّ الكهنة «الجنسينيّون» حملةً ماكرةً على «بينوات» التي نعتوها بالجنون. وبلغ بهم الحقد أَن حظروا عليها التحدّث إلى الكهنة، والعناية بالمصلّى، الذي لم يَعد يُسمح لها بارتياده إلاّ يوم الأَحد لحضور القدّاس. وحجبوا عنها، وعن أَصدقائها ومؤيّديها، سرّ الاعتراف، فلم تعُدْ تجسر على التقدّم من مائدة المناولة. وكان رؤساء أُولئك الكهنة يصانعونهم، ويمسكهم الجبن عن الشهادة للحقيقة.

وبما أَنّ مرشد «بينوات» الروحيّ كان يضطرّ إلى المكوث طويلاً في مركز الأَبرشيّة، بمدينة «غاپ»، فقد أَمست تعاني عزلةً مخيفةً. ولكنّها لم تُحرم عزاء السماء. ففي عيد العذراء سيّدة الملائكة، ظهر لها ملاكان فوق هيكل المصلّى. وقال لها أَحدهما:

– «اليوم هو يوم عيدٍ عظيمٍ، فهل ترغبين في المناولة؟

– واأسفاه! كيف لي أَن أَتناول، وليس، ثمّة، من يسمع اعترافي؟

– لا بأس، سأعطيك المناولة... بما أَنّك لم تقترفي خطايا تحول دون المناولة...».

وبإيعازٍ من الملاك أَشعلت «بينوات» الشموع، ومدّت أَغطية الهيكل، وركعت، وصلّت، وركع أَحد الملاكين بجانبها، منحنيًا، مكتوف اليدين، وأَعطاها الملاك الآخر القربانة المقدّسة، قائلاً:

– «امضي الآن إلى حجرتك، واتلي صلاة الشكر.

– أيّها الملاك، لقد ظفرتُ، الآن، بما كان يلزمني».

بفضل هذه الإِنعامات، غدت «بينوات» تقوى على مواجهة الاضطهادات. وتكرّرت ظهورات الملاك ونصائحه، وتشجيعه.

ولحقت المضايقات، أيضًا، بالأَخ «أوبان» المتفاني في خدمة ظاهرة «لوس»، فمُنع من مغادرة منسكه، إِلاّ لحضور

قدّاس الأَحد. ولكن بما أَنّ هذا المنع صدر عن إِكليروس أَبرشيّة «أَمبران»، فقد أَوعز الملاك لبينوات تبليغه أَنّ بوسعه استئناف خدمة المزار كلّما شاء، فهو خاضعٌ لسلطة أَبرشيّة «غاپ».

عام ١٧٠٧، عُيّن أُسقف جديدٌ على أَبرشيّة «غاپ»، فاتّهم، علنًا، كهنة «لوس» المعيّنين حديثًا، بميولٍ «جنسينيّة» وبيلةٍ، ونشب بينه وبين أُسقف «أَمبران» خلافٌ أَفضى إلى إِبعاد أَحد كاهنيْ «لوس» المناوئين للظاهرة. بيد أَن إِكليروس «أَمبران» لم يكن مرتاحًا لإِعلان أسقف أَبرشيّةٍ مجاورةٍ، اعترافه بظاهرة «لوس». وظلّت «بينوات» ضحيّة اضطهادٍ عنيفٍ. غير أَنّها مضت قُدُمًا، وببسالةٍ، في استقبال الحجّاج الذين تضاءل عددهم، وفي مساعدتهم على الرجوع إلى الله، وفي تبليغهم تحذيرات العذراء، التي استمرَّت في الظهور لها بين فينةٍ وأُخرى.

وكانت العذراء قد قالت لها، عام ١٧٠٢: «**لك صديقٌ مخلصٌ في «غاپ»، هو السيّد «جوڤينيس»** (Juvenis)،

فاطلبي منه أَن يكتب للأسقف الذي يكنّ له تقديرًا كبيرًا». وبالفعل، تدخّل السيّد «جوڤينيس» لدى الأسقف، فتراخى الضغط العدائيّ على «لوس» بعض الشيء. وبفضل تحذير العذراء، نجت «بينوات» من الخطف والسجن، وقد أكّدت لها العذراء:

– «**لو تمكّن الأسقف من سجنك، لقضيت نحبكِ في السجن حزنًا**».

واستمرّت جلجلة «بينوات»، إذ لم يكن من همٍّ للكهنة إلاّ مضايقتها، وتدمير الظاهرة.

وإلى جانب كلّ ذلك، كانت «بينوات» تحمل همّ وطنها فرنسا، الغارق في الحرب، والذي ما انفكّت تنهال عليه الهزائم والرزايا.

همٌّ آخر كان يحاصرها، هو همّ تدوين تاريخ «لوس»، الذي كان مرشدها الأَب «غايّار» قد شرع يحقّقه عام ١٦٩٧، وهو في السادسة والسبعين، ولكنّ تقدّمه كان بطيئًا. فطلبت العذراء عام ١٧٠٧ تسريعه، والفراغ منه في أَقرب مهلةٍ. وقد

أَخطر الملاك «بينوات»، عام ١٧٠٨، أَنّ «الأبالسة سيبذلون كلّ وسعهم لكيلا يُدوّن تاريخ لوس». وهي، من جانبها، جهدت في توفير كلّ ما تملك من معلوماتٍ لتسريع هذه المهمّة.

وكان الملاك قد طمأنها: «إِنّ «لوس» عمل الله. فما من بشرٍ، وما من شيطانٍ يقوى على تدميره. وسيبقى حتّى نهاية العالم». وأَمسى حلمها تزيين ذلك المزار بأَجمل أَثاثٍ، جاهدةً، رغم عبء السنين، في سبيل تحقيق هذا الحلم.

تجدّد

طال انتظار ظاهرة «لوس» لعمّالها الحقيقيّين: كهنةٍ يقومون مقام الأَبوين «پيتيو» و«هيرميت»، مندفعين إلى استقبال الحجّاج، وإلى تعليم العقيدة المسيحيّة السليمة، ودائبين على كراسي الاعتراف.

عام ١٧١١، عقد الأُسقف اتّفاقًا مع جمعيّةٍ جديدةٍ من الرهبان المرسلين، وأوكل إلى ثلاثةٍ منهم رعاية مزار «لوس». فأمسى الحجّ، بدءًا من عام ١٧١٢، بين أَيدي فريقٍ متديّنٍ بعمقٍ، سليمِ العقيدة، تحدوه رغبةٌ رسوليّةٌ مضطرمةٌ، ويقوده رئيسٌ نشيطٌ هو الأب «بيرتيه» (Berthet).

بيد أَنّ صفحاتٍ مجيدةً شرعت تُطوى: فالشهود الأوّلون يرحلون، الواحد تلو الآخر: القاضي «غريمو» الذي سجّل تاريخ الظهورات الأُولى، والعديد من الأَشفية العجيبة، توفّي

عام ١٧٠٣. وتبعه، بعد عامين، إلى الآخرة، السيّد «ريمون جوڤينيس»، الذي دوّن كتابًا تاريخيًّا عن أَحداث «لوس» بين ١٦٦٤ و١٦٨٠؛ وكان داعمًا منيعًا لبينوات لدى أُسقف «أمبران». أَمّا الأَب «غايّار»، الذي تولّى إِرشاد «بينوات» الروحيّ، وتأريخ ظاهرة «لوس»، فقد استقرّ في «لوس»، نهائيًّا عام ١٧٠٧، وهو في السادسة والثمانين، لكي ينهي «تاريخ لوس الكبير»، الذي فرغ منه عام ١٧١١، وتوفّي عام ١٧١٤.

وبعد ثلاثة أَشهر، توفّي الأسقف «جينليس». وكان قد أَعلن، قُبَيْل وفاته، ندمه على دعمه للكهنة «الجنسينيّين»، خلافًا لأوامر الحبر الأَعظم، ولقرارات مجلس كنائس فرنسا.

وأَثبت المرسلون الجُدد، المكلّفون برعاية مزار «لوس» أَنّهم أَهل صلاةٍ. وأَعلن رئيسهم «العذراء ملجأ الخطأة»، كما هي أَظهرت ذاتها لبينوات.

ولم تعد «الأُخت بينوات» راعية أَغنامٍ وماعزٍ، بل راعية حجّاج «لوس».

أَيّام «الأخت بينوات» الأَخيرة

بعد أَن اطمأنّت «الأخت بينوات» إلى تولّي رهبانٍ العناية بالمزار، قُيِّض لها أَن تنفق السنوات الستّ الأَخيرة من عمرها في خدمة الحجّاج، بحرّيّةٍ وغيرةٍ.

وكان الحجّ قد استعاد نشاطه، فأُرهقت الأخت بالعمل، متذوّقةً أَفراح الرسالة الأَخيرة.

ومع تقدّمها سنًّا، وتردّيها وهنًا، اضطُرّت الأُخت إلى الحدّ من تعاطيها مع الحجّاج، ومن ممارسة الإِماتات الجسديّة، وأَمست تستعين باثنتين من بنات أُختيها، كانتا تحيطانها برعايةٍ رقيقةٍ، وتساعدانها على الترحيب بالحجّاج. ووقف إلى جانبها، أَيضًا، شيخان جليلان هما الأَب «غايّار»، حتّى وفاته، والأَخ الوفيّ «أوبان».

عام ١٧١٨، عام حياتها الأَرضيّة الأَخير، قضته عليلةً، متألّمةً، منهكةً، ولكن في الحبّ والتكفير. وقد احتفظت عيناها اللّتان ذرّفتا سيولاً من الدموع، بصفائهما، كما احتفظ ذهنها، وذاكرتها، وإِرادتها، بقدراتها وتوقّدها.

بيد أَنّ الشرّير ما انفكّ يشنّ عليها حملاتٍ ابتغاها حازمةً. ولكنّها هزمته، إذ كانت قد بلغت قمّة الكمال الذي دُعيت إليه، وتسنّمت، بما اكتسبته من فضائل، ذروة البطولة التي تصنع القدّيسين. وكانت آخر هجماته الملحوظة، يوم عيد العنصرة، إِذ أوسعها ضربًا وجرًّا، مدى أَربع ساعاتٍ، في كلّ زوايا غرفتها. وعندما زارها الكهنة، في اليوم التالي، وجدوا ذراعها مسودَّةً؛ ومنذئذٍ، أَخذ جسمها ينتفخ، شيئًا فشيئًا، وبدت لها الأسابيع سنواتٍ، حسب قولها.

يوم عيد الميلاد جيء لها بالقربان المقدّس، فتناولت، ولكنّها أَلحّت في طلب مسحة الموتى... وكانت تصلّي بحرارةٍ، مقبّلةً، باستمرار، أَقدام الصليب.

يوم الأَربعاء، ١٧١٨/١٢/٢٨، أَعلنت أَنّ موتها بات

وشيكًا، وطلبت إِقامة قدّاس عن نيّتها. وبعد ظهر ذلك اليوم، تلت مسبحة الموتى، وتجلّى عليها العزاء والراحة. وعند الساعة الثامنة مساءً، ودّعت الكهنة والمعاونين، وطلبت إِشعال شمعةٍ، واستمعت إلى طلباتٍ ليسوع رتّلتها بنات شقيقتيها، وأَسلمت روحها لخالقها، بفرحٍ، فيما كان الثلج يلقي على الطبيعة معطفًا ناصعًا. وكانت قد نعمت بظهورات العذراء، مدى أَربعٍ وخمسين سنةً.

لدى إِلباسها ثياب الموت، وُجد جسمها مُثخنًا بجراح إِبليس، الذي فقد، منذئذٍ، كلّ سطوةٍ عليها، وغدت ترى يسوع ممجّدًا، والعذراء والملائكة بكلّ بهائهم.

وقد بعث الأَب «روايّير» (Royère) إلى السيّد «مالاڤال» (Malaval)، وهو صوفيٌّ أَعمى في مدينة مرسيليا، رسالةً قيّم فيها فضائل الأُخت المتوفّاة، وظروف وفاتها. وجاء في رسالته:

«خلال السنوات الخمس التي تشرّفتُ، فيها، بالعمل هنا، لم أَجد، لدى «بينوات» ما لم يكن مدعاة إِعجابٍ. فما من

مظهر غضبٍ عنيفٍ، بل رقّةٌ ملائكيّةٌ، وغيرةٌ مضطرمةٌ مكتومةٌ، لارتداد الخطأة، ومحبّةٌ بلا حدودٍ. فهي تعطي كلّ ما تملك للتخفيف عن الفقراء، ولا تشكو أَبدًا من إِزعاجهم. تتحمّل فظاظتهم، غير مظهرةٍ أَيّ ضيقٍ، تجعل ذاتها كلاً للكلّ، فتفتقر، غالبًا، إلى وقتٍ لتناول طعامها. تواضعها السحيق يجعلها تصرّح بأَنّها خاطئةٌ كبيرةٌ، وأنّها لن تخلص إلاّ إِذا خلص الجميع.

«كانت ما زالت محافظةً على طفولتها، وعلى النعمة التي نالتها بالعماد. أَيّة إماتاتٍ لم تمارس، وكم من وسائل التكفير وُجدت عندها! وأنتم تعرفون مدى شظف عيشها، ولكأنّها كانت تعيش بخبز الملائكة. فما كانت تتناوله من طعامٍ لم يكن كافيًا لإبقائها على قيد الحياة. على غرار يوحنّا المعمدان، كانت تقرن الإِيمان الأَنصع بالتوبة الأَشدّ قسوةً.

«ولن أُحدّثك عن التجرّد الذي مارسته حيال ذويها، الذين كان بوسعها إِغناؤهم. ولطالما سمعتها تقول: «إِنّي أوثر أَن يكونوا فقراء، ويخلصوا، على أَن يكونوا أَغنياء ويُدانوا».

«ولن أُحدّثك عن حنكتها في معالجة الأُمور الشائكة، وعن روح النبوّة الذي واكبها منذ طفولتها، والذي نملك دلائل جليّةً عليه...

«الصبر رافقها حتّى موتها. فقد شاهدنا ساعديْها محطّمتيْن، وكتفيْها مكسورتيْن، وساقيها مهشّمتيْن، وغالبًا ما ألفيناها مثخنةً ضربًا، ولكأنّ الجحيم كلّها قد انقضّت عليها.

«لقد التزمت الفراش الذي ماتت عليه، منذ يوم عيد القدّيس أَندراوس (٣٠ تشرين الثاني). وقد جئناها بالزاد الأَخير، يوم عيد الميلاد، فتقبّلته بورعٍ جمٍّ، بعد أَن استغفرت الجميع مرَّتين. وفي اليوم التالي كثّفنا صلواتنا، إِذ لاحظنا تفاقم وضعها سوءًا. وكانت، بين حينٍ وآخر، تقبّل قدمي المصلوب، بحنانٍ جمٍّ.

«يوم الثلاثاء، ١٢/٢٧، ردّدت الصلوات التي كنّا نتلوها في غرفتها...

«يوم الأَربعاء، ١٢/٢٨، طلبت أَن يقام قدّاسٌ عن نيّتها. وعلى إثره، زرناها، فأعلنت لنا أَنّها أَشفت على الرحيل.

وبعد الظهر، منحناها مسحة الموتى التي ما انفكّت تطالب بها، منذ عدّة أيّامٍ.

«واعترفت، وطلبت غسل يديها ورجليها. وعندما حان وقت مسح أُذنيها، قال لها الأَب الرئيس: «أَيّتها الأُخت بينوات، اخلعي حجابك، كي نمسح أُذنيك»، فأجابت: «لكم سمعت هاتان الأُذنان!». وبعد نيلها هذا السرّ، بدت وكأنّها ظفرت بتعزيةٍ كبرى. ولم تعد تنتظر سوى اللحظة السعيدة التي ستنفصل فيها نفسها عن جسدها.

«دنوت، حينئذٍ، منها، وجعلتها تلفظ، عدّة مرَّاتٍ، اسم يسوع ومريم. وأعرتها الصليب، فأمسكت به بين يديها، وأَلصقت فمها بقدمي عريسها السماويّ. وقلت لها: «أُختي الطيّبة، نحن أَبناؤك، ألا تمنحينا بركتك؟» فأجابت، في الحال: «على الأُمّ الحنون أن تباركنا»، وأخرجت يدها من سريرها وقالت: «أباركَكم بطيبة خاطرٍ، يا أبنائي الطيّبين». اعتذرتْ احترامًا، ولكنّها لم تشأ حرماننا هذا العزاء».

«واجتمعنا لتلاوة صلوات فرضنا، على أمل العودة

لمواكبتها، الليل كلّه. ولكن الله قرّر غير ذلك. فعند الساعة الثامنة، ودّعت الأختُ بنات شقيقتيها، والأب الرئيس، وطلبت إشعال شمعة... ورجت الأب الرئيس أن يوكل نفسها إلى الله. وأوعزت إلى الفتيات تلاوة طلبات الطفل يسوع.

«وفي الحال، رفعت عينيها صوب السماء، وبين يدي بنات شقيقتيها، وأجواق الملائكة الذين تجلّى حضورهم على محيّاها المشرق، رقدت بفرحٍ...».

«ولدى إلباسها ثياب الموت وُجد جسمها مثخنًا بالجراح. أهي جراحٌ أحدثتها الهجمات الشيطانيّة، أم جراحٌ نجمت عن أدوات التكفير التي كانت تستخدمها باطّرادٍ، أم هي نتجت عن هذه كلّها مجتمعةً؟!

«وفي اليوم التالي، عندما حاولوا إلباسها ثوب رهبانيّة القدّيس دومينيك، تبيّنوا أنّ جسمها ما برح ليّنًا، طريًّا، كما كان ساعة موتها. وبارك جميع الحاضرين مسابحهم، بجعلها تلمس يديها».

وقد ختم ذلك الكاهن عينه رسالةً أُخرى بقوله إنّ تلك

الراعية كانت «صغيرةً في نظر العالم، وكبيرةً في نظر اللّه».

ولخّص راهبان بينيدكتيّان مسيرة «بينوات» بكلمتين: «بساطةٌ كبرى، واستقامةٌ قصوى».

وسرعان ما ذاع نبأ وفاة رسولة «لوس»، فتقاطر القوم من كلّ أنحاء الجبل المجاور لوداعها. وسهر سكّان «لوس» بعنايةٍ على جثمانها، بعد أن أشيعت رغبة سكّان مسقط رأسها «سانت إِيتيين»، في اختطافه.

ودُفنت «الأخت بينوات» في حفرةٍ داخل كنيسة «لوس». وخُتم مدفنها بشاهدةٍ من رخام أحمر، دوّنت عليه عبارة: «مدفن الأُخت بينوات، المتوفّاة في رائحة القداسة، عام ١٧١٨».

ولا ريب أنّ «لوس» بدا للكهنة وللمؤمنين والحجّاج، فارغًا، بعد رحيل رسولته.

ولكنّ إشعاع مزار «لوس» ظلّ متألّقًا حتّى الثورة، تحقيقًا لنبوءة العذراء: «سيكون الحجّ أكثر ازدهارًا، بعد موتك، ممّا كان في أثناء حياتك. وستُحدث عظامك عجائب».

«لوس» بعد «بينوات»

في حين تراجعت حركات الحجّ عمومًا، في القرن الثامن عشر، استطاع المرسلون الذين تولّوا العناية بمزار «لوس»، الحفاظ على حركة حجٍّ طبيعيّة إليه.

في شهر تشرين الأوّل من عام ١٧٩١ هاجمت المزار عصابةٌ من الثوّار، فطردوا المرسلين الستّة المشرفين عليه، وأعملوا في المزار تدميرًا ونهبًا. وتكاتف قرويّو «لوس» في سبيل الدفاع عن جرسٍ صغيرٍ سمّي جرس الأخت «بينوات».

وأصدرت السلطات المدنيّة أمرًا بإغلاق المزار. ولكنّ المرسلين عادوا، خفيةً، من أجل إقامة الصلوات للحجّاج الذين ما انفكّوا يتدفّقون عليه. وكان سكّان الجوار، كلّما ألّت بهم محنةٌ، يهرعون إلى المزار، ملتمسين العون، وغالبًا ما كان ملتمسهم يُستجاب.

ثمّ بيعت الكنيسة وملحقاتها، بأسعارٍ بخسةٍ، بعد أن أُلغيت أبرشيّتا «أمبران» و«غاپ». وفي العام ١٨١٠ أُعيد شراء الكنيسة وملحقاتها بالسعر الذي بيعت، وعاد كهنةٌ للعناية بالمزار، وتجدّد تدفّق الحجّاج.

عام ١٨١٩ كُلّف رهبانٌ مدعوّون «مكرّسو مريم المنزّهة من الدنس» برعاية المزار الذي عهد تجدّدًا حقيقيًّا.

عام ١٨٢٦، أُقيم في المكان الذي ظهرت فيه العذراء، وأوعزت إلى «بينوات» بالتوجّه إلى «لوس»، ما سمّي «صرح پاندرو» (Pindreau)، حيث نُصبت ثلاثة تماثيل، تمثّل، على التوالي: السيّدة العذراء تشير إلى جهة «لوس»؛ و«بينوات» راكعةً تتأمّل العذراء، وعنزة «بينوات» المفضّلة.

وعلى قمّة جبلٍ شماليّ «لوس»، وعلى علوّ ألفٍ ومئة مترٍ، شُيِّد «مصلّى الملاك»، حيث ظهر ملاكٌ حاملاً مشعلاً أضاء كلّ الجبل، الذي كان الأبالسة قد ألقوا «بينوات» على إحدى صخوره. وفوق تلّةٍ مشرفةٍ على قرية «سانت إيتيين»، أُقيم مصلًّى صغيرٌ، مذكّرًا بظهور العذراء الأوّل، في «وادي الأفران».

عام ١٨٤٤، عُيِّن أُسقف جديدٌ، هو «جان إيريني ديپيري» (Jean-Irénée DEPERY)، الذي أولى مزار «لوس» اهتمامًا كبيرًا، فأمر ببناء مأوًى للحجّاج، وبتجديد المنزل الذي وُلدت فيه «الأخت بينوات»، والذي كان قد دمّره حريقٌ عام ١٨٥٠. وفي أثناء زيارته التقليديّة للكرسيّ الرسوليّ، حصل على موافقة البابا بيّوس التاسع بتتويج تمثال «سيّدة لوس». وقد تمّ ذلك في ١٨٥٥/٥/٢٣، في احتفالٍ كبيرٍ، شارك فيه العديد من الأساقفة الفرنسيّين والإيطاليّين. وفي عام ١٨٦١، دُفن ذلك الأسقف، بناءً على طلبه، في كنيسة «لوس».

وقد أضحى ذلك المزار محجًّا لطائفةٍ من الكتّاب المشهورين، منهم موريس باريس، وجورج غويّو، وهنري غيّون، وجاك ماريتان، وپول كلوديل، وإيمّانويل مونييه، وجان غيتّون... والعديد من الأساتذة الجامعيّين. وقد أَلِفت معلّمات مدارس رسميّةٍ عقد اجتماعاتهنّ، ورياضاتهنّ الروحيّة فيه.

عام ١٨٦٠ أقام أخوان عالمان، في مكان صليب «أڤانسون»، مصلًّى ثمانيّ الشكل، أُطلق عليه اسم «مصلّى الدم الثمين»، وأودع في وسطه وعاءٌ من الكريستال والبرونز، يحتوي جزءًا من الصليب الذي رأت عليه «بينوات» يسوع مصلوبًا وملطّخًا بالدماء. وخارج المصلّى مُثّلت مراحل درب الصليب الأربع عشرة، كي يتأمّل الزائرون أمامها، صيفًا.

في ١٨٩٤/٣/١٨، أُطلق على كنيسة «لوس» لقب كاتدرائيّة صغرى.

وشهدت نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، حركة حجٍّ كثيفةً، وأُشيد بناءٌ لإيواء المتأهّلين للكهنوت قبل انضوائهم إلى الإكليريكيّة. وقد أمسى هذا المكان، الآن، جزءًا من مجمّعٍ فندقيٍّ يتّسع لأربع مئة ضيفٍ، ويستقبل من يرغبون في إقامةٍ طويلةٍ، للنقاهة، أو للرياضات الروحيّة.

وبالإجمال أصبح مزار «لوس» قلب المنطقة، ومركزًا روحيًّا فرنسيًّا هامًّا، حيث من شأن سيرة «الأخت بينوات» البطوليّة، أن تلهم العديد من الباحثين عن اللّٰه.

وفي يوم الأحد ٤ أيّار ٢٠٠٨، أُقيم في ذلك المزار احتفالٌ إفخارستيٌّ، شارك به الأساقفة الفرنسيّون، وجمهورٌ غفيرٌ من المؤمنين. وفي أثنائه أكّد أُسقف «غاپ»، المطران «دي فلكو»، صحّة ظهورات سيّدة «لوس». وكان قداسة البابا بيوس التاسع قد أعلن «بينوات» مكرّمةً في أيلول ١٨٧١. ولكنّ دعوى تطويبها ما زالت تسير ببطءٍ، بسبب نقصٍ في الوثائق، التي أُتلف الكثير منها أثناء الثورات.

والحجّ إلى «لوس» مستمرٌّ، اليوم. الحجّاج يتوافدون من كلّ أنحاء فرنسا، وأيضًا من إيطاليا وسويسرا وألمانيا. وقليلون يأتون من إنكلترا، وكندا وأفريقيا. أمّا أدعيتهم فتتناول:

– شؤونًا عائليّةً – الشكر عن نعمٍ متلقّاةٍ أو مطلوبةٍ – همومًا صحّيّةً – الارتداد إلى الله – نعمة الإيمان – محبّة الله – خلاص نفوس الأموات – التماس عمل – النجاح في الدروس – تكريس الذات والأحبّاء ليسوع ومريم – الكهنة والكنيسة عمومًا – التماس أنوار الروح القدس

والفضائل الإنجيليّة: المحبّة، والتواضع، والطاعة، والتجرّد، حمل الصليب والقداسة.

وكثيرون لا مطالب محدّدةً لهم، لثقتهم بأنّ العذراء تعرف احتياجاتهم.

وأحيانًا تُطلب شفاعة «الأخت بينوات»، وكثيرون من الحجّاج يتمنّون تطويبها.

«لوس» مدرسة توبةٍ

لم تُكلَّف «بينوات» بتبليغ أيّة رسالةٍ محدّدةٍ، كما يحدث في معظم ظهورات العذراء الأُخرى. ولكنّها، من مجمل الحدث تلقّت تعليمًا خاصًّا بها يرشدها إلى مراقي الكمال، وتعليمًا لعامّة المسيحيّين، وإلى الكهنة، يتعلّق، على وجهٍ خاصٍّ، بالتوبة وغفران الخطايا.

منذ البدء، أوضحت العذراء أنّها ابتغت مزارًا يوفّر للعديد من الخاطئين والخاطئات، أسباب التوبة، والارتداد إلى الله. وقد قُيِّض لذلك المزار، منذ الوهلة الأولى، كهنةٌ آمنوا بالظاهرة وبرسالتها، واندفعوا لتحقيق رغبة العذراء، ووقفوا كهنوتهم على خدمة التوبة والتائبين.

وقد وُهبت «بينوات» نعمًا خاصّةً استثنائيّةً، تمكّنها من استجلاء خفايا النفوس، واكتشاف مكامن الخطيئة فيها، أو

مواطن الخداع في كراسي الاعتراف، تساعدها على الحؤول دون ارتكاب تدنيسٍ لدى من يقدمون على المناولة بنفوسٍ ملطّخةٍ. ومذ هي كانت في الثامنة عشرة من عمرها، كُلّفت بإرشاد كهنةٍ مثقّفين، خبيرين، وأغنياء بنعمة الكهنوت، إلى الطريقة المثلى في التعامل مع الخطأة.

لقد توخّت العذراء أن يكون الاعتراف في «لوس» نموذجيًّا، وأن ينطوي فعل مصالحة الخاطئ مع اللّٰه على ملء معناه، وملء قيمته، وملء مفاعيله.

وقد عبّرت العذراء عن رغبتها هذه، في حين كانت النزعة «الجنسينيّة» (Janséniste) رائجةً بين طائفةٍ من كهنة فرنسا ومسيحيّيها. ومعلومٌ أنّ هذه النزعة تتجاهل حبّ اللّٰه ورحمته، وتشدّد على عدله الصارم المرعب، زارعةً، في نفوس الخطأة، القنوط من الخلاص، والشكّ في استئهال النعمة، رغم أصدق توبةٍ. فكان لا بدّ من تدخّل أمّ الرحمة لإصلاح هذا الخلل. وكانت خُطوتها الأولى دعوة الكهنة إلى الترحيب بالخطأة القادمين، واستقبالهم «بغيرةٍ حارّةٍ، وبمحبّةٍ

قلبيّةٍ صادقةٍ»، باسم العذراء، وخطوتها التالية دعوة الكهنة إلى «الرقّة والصبر» حيال ضيوفٍ يختلفون بعقليّاتهم، وعاداتهم، يتعيّن تفهّم مقتضياتهم، واحتمال إزعاجاتهم، بحيث يحاط الخاطئ، ذلك المريض الخطير، بأجمل عنايةٍ، بُغيةَ جذبه إلى التوبة.

إنّ الربّ يُعنى بكلّ خاطئٍ، كما لو كان وحيدًا في العالم، وعلى الكاهن ألاّ يخضع، إزاء الخاطئ، لنفاد الصبر، ولضغوط الوقت والتعب، فيشوّه صورة اللّه هذه.

وبما أنّ كثيرين من الخطأة لا يعرفون تحديد خطاياهم، أو يتردّدون في الإقرار بها، فالعذراء تنصح الكهنة بتصحيح جهل الخاطئ، أو لامبالاته، أو سوء إرادته، بحرصهم على طرح كلّ ما يستطيعون من أسئلةٍ كفيلةٍ بإنارته، وتشجيعه، وطرد خوفه أو تردّده. وكانت «بينوات» تساعد خطأةً على استذكار خطايا منسيّةٍ، لكي ينعموا باعتراف كاملٍ، وبمناولةٍ لا تدنيس فيها.

وبحدْسها الثاقب، ومواهب التمييز التي حظيت بها،

كانت «بينوات» توجّه كلّ تائبٍ إلى المعرّف الأوفر قدرةً على فهمه وتوجيهه.

وكثيرًا ما كانت تحرّض على اعترافٍ عامٍّ، يشمل خطايا حياةٍ بكاملها، يُستعدّ له برياضةٍ روحيّةٍ طويلةٍ تدوم عشرة أيّامٍ، وتضمن نظافةً كاملةً من كلّ ذنبٍ.

ولطالما شدّدت على جوهر التوبة، أي الندامة، التي لا تعني، فقط، بغضًا عاطفيًّا للخطيئة، بل تصميمًا صادقًا على الانفصال عنها، وتجنّب الوقوع فيها، ثانيةً.

كانت السماء تعلّمها هذه الحقائق أحيانًا بصُورٍ ورموزٍ. ففي عام ١٦٧٢، شهدت رجلاً عاد من الاعتراف والمناولة، وقد اصطبغ بسوادٍ قاتمٍ. وفسّرت لها العذراء: «هذا الرجل قد اعترف بكلّ خطاياه، ولم يُخفِ واحدةً منها، ولكنّه كان يفتقر إلى الندامة. وهذا هو سبب قتامه».

وقد دُعيت، مرارًا، إلى نصح الكهنة بالإحجام عن منح الغفران والبركة لخطأةٍ لا نيّة صادقةً لديهم، بتجنّب كلّ أسباب الخطيئة ودوافعها.

ومن الواضح أنّ تشدّد «بينوات» في اقتضاء توبةٍ صادقةٍ، مكتملة الشروط، يتباين تباينًا جوهريًّا عن النزعة «الجنسينيّة». فملاحظاتها خاليةٌ من التهديد والتخويف، لا تشيع اليأس والاضطراب، بل هي تضيء جوّ النفس المكفهرّة، وتخفّف أعباء الخاطئ. وما هي، في الواقع، إلاّ تذكيرٌ بإرشادات العذراء، التي كانت، دائمًا، مليئةً عطفًا عليها وعلى الخطأة، وفي الآن عينه، حازمةً، لا تهادن، ولا تصانع مع الخطيئة.

وقد ثبّتتها في موقفها هذا رؤيتها، ذات يومٍ، لشيطانٍ عند باب كلّ كرسيّ اعترافٍ، يخبط الأرض بقدميه، ويقضم أصابعه، غيظًا، أو يقهقه بهجةً، ويرقص نشوةً، وفقًا لطبيعة الاعتراف الذي يؤدّيه كلّ خاطئٍ.

وفي عام ١٦٨٩، شاهدت «بينوات» وجه امرأةٍ مريضةٍ، عقب اعترافٍ صادقٍ، وقد أشرق كالشمس.

وكانت تتبيّن نصاعة النفوس، خاصّةً، لدى تقدّمها من المناولة. ولكم أبعدت خطأةً عن مائدة الربّ، وذكّرتهم بخطايا أغفلوا الاعتراف بها!

وقد أكّد لها الربّ مقته لتدنيس من يتناول، وهو مصمّمٌ على ارتكاب الخطيئة، أكثر من مقته للخطيئة ذاتها، مشبّهًا هذه المناولة بسكب دم المخلّص على جثّةٍ متفسّخةٍ. وفي الواقع كانت «بينوات» تشتمّ رائحة تعفّنٍ وتفسّخٍ من نفوسٍ تدنّس الأسرار.

لقد خصّت أمّ الله «لوس»، من خلال «بينوات»، بدروسٍ في التوبة، تصلح لكلّ زمانٍ ومكانٍ.

«لوس» مدرسة خلاصٍ

لقد حرصت أمّ الله، في «لوس» على التذكير بتعاليم ابنها الخلاصيّة، من خلال إيضاحاتٍ، ونصائح، وإنذاراتٍ، بلّغتها بواسطة «بينوات».

لم تُدلِ بتعليمٍ منهجيٍّ، بل كانت تعلّم وفق ما تقتضيه الظروف الراهنة، وهي، في كلّ أقوالها، لم تكن سوى صدًى لتعليم ابنها الذي لا يلتزم بأيّة فلسفةٍ أو نظامٍ فكريٍّ، ويتّسم بالبساطة والوضوح، كما هي الحقيقة. وكان تعليمها بمتناول بشرٍ بسطاء، وبمتناول الراعية التي بلّغته.

يقول القدّيس اللاهوتيّ توما الأكويني، في هذا السياق، إنّ الإلهامات الشخصيّة، المتميّزة عن الإلهامات الرسميّة التي ينطوي عليها الكتاب المقدّس بعهديه، تهدف إلى توجيه

النشاط البشريّ، وتساعد على التوبة، وعلى عيش الإنجيل عيشًا أفضل.

السيّدة العذراء هي أمّ الكنيسة، وأمّ المسيحيّين، والأمّ تُعنى بتطلّعات أبنائها. والعذراء تتكلّم بلغة الزمان والمكان الذي تظهر فيه، بواسطة «تراجمة» تختارهم. وتبلّغ رسائل تتلاءم مع الوضع الراهن في الكنيسة، وفي العالم. وهي على درايةٍ باحتياجاتهما الملحّة، بصفتها رسولة الروح القدس، الذي هو روح الكنيسة، ومحرّك رجاء العالم. إنّها تذكّر بأنّ العلاج هو إنجيل ابنها، فتدعم تعليم الكنيسة.

غالبًا ما تكون مهمّة الوسيط المختار محدودةً في الزمن. أمّا «بينوات»، فقد كانت رسولة العذراء لدى الخطأة مدى خمسين سنةً، ومن خلال النصائح والإرشادات التي أسدتها لها، توجّهت إلى كلٍّ منّا.

ومن المحقّق أنّ من يدّعون أنفسهم عالمين ملمّين بكلّ شيءٍ، لن يستفيدوا من تعاليم العذراء شيئًا. أمّا البسطاء فيدَعونها تثقّفهم وتصقلهم مثلما ثقّفت وصقلت «بينوات».

ولا ريب أنّ تعليم الخلاص هو تعليم حبٍّ، حتّى إن بدا حازمًا. وإن هو أوحى للخطأة بعض خشيةٍ، إلاّ أنّه يُنعش لديهم الإيمان والرجاء والمحبّة، ومن خلاله تعكس العذراء شعاعًا من حكمة اللّه.

منذ عام ١٦٧١، كانت العذراء قد أدلت بملاحظةٍ طوتها على جوهر تعليمها: الشرّان الأكبران اللّذان يرتكبهما الخطأة هما الفسق، وسوء استخدام الأسرار المقدّسة.

وكان إقبال خطأة الفسق على «لوس» من الكثافة، بحيث بدا المزار وكأنّه وُجد من أجلهم، من أجل ارتدادهم وتوبتهم. وقد اختارت العذراء «بينوات» بسبب بساطتها وطهرها.

وقد اهتمّ تعليم العذراء، في المقام الأوّل، بطهر الروح وطهر الجسد. فالجسد خاضعٌ للروح، به تسمو النفس أو تتردّى إلى الهاوية، به تتطهّر أو تتّسخ بالأقذار.

طهر النفس هو المبدأ في مضمار الروح. إذا فُقِد يمكن استعادته بواسطة سرّ التوبة. وقد نعمت «بينوات» بطهر النفس والجسد، فكانت أداة العذراء لتحذير نفوسٍ عديدةٍ من خطايا

الفسق. وقد دلّ حرص العذراء، بهذا الشأن، على إرادتها الحازمة فضح هذه الرذيلة ومكافحتها. وما الوسيلة إلى الخلاص من هذه الآفة سوى ما أعلنه الربّ للقدّيسة كاترين السييّناويّة: «**أنا الطهر الأسمى الأبديّ. أنا النار التي تطهّر النفس. وبقدر ما تقترب النفس منّي، تكتسب طهرًا، وبقدر ما تنأى عنّي، تتّسخ**».

الأسرار تهب النعمة، أي حياةً فائقة الطبيعة، مشاركةً في حياة اللّه. والأسرار تقدّس. ولكي تكون النعمة فاعلةً، لا مفرّ من تقبّلها باستعدادٍ لائقٍ، ونيّةٍ طاهرةٍ. أمّا الاعتراف الخالي من الاستعداد القلبيّ اللائق، ومن التوبة الصادقة، ومن الحبّ، فهو ما دعته أُمّ اللّه سوء استخدام الأسرار المقدّسة.

وتذكّر العذراء بالإفخارستيّا، فتقول: «**نعمة الإفخارستيّا هي تأليهٌ، وتبنٍّ، واتّحادٌ بكلّ الثالوث. ولكنّ المسيحيّ الذي يدنّسها، فهو يأكل ويشرب دينونةً لنفسه**»، حسب قول الرسول بولس.

وإلى جانب طهر النفس والجسد، دعت العذراء إلى طهر

السلوك، بالسعي إلى الكمال. وقد أوعزت إلى «بينوات»، عام ١٦٩٠ «تنبيه عدّة أشخاص إلى السلوك الذي يتعيّن عليهم انتهاجه لكي يخلصوا... وإرشاد كلٍّ منهم إلى عيوبه، وخطاياه، وكلّ نقائصه... وواجب إصلاحها، إن هو ابتغى الخلاص».

المسيحيّ السطحيّ يتعايش مع نقائصه، متوهّمًا أنّها لا تهدّد خلاصه. ولكنّ العذراء تقتضي نشدان الكمال، والقسوة على الذات، من أجل اقتحام السماء، داعيةً إلى إصلاح العيوب، والتخلّي عن حبّ الذات، من أجل استحقاق الفردوس. وقد أتت على ذكر طائفةٍ من العيوب التي ينبغي مكافحتها: نفاد الصبر، والزهو بالذات، والكبرياء، والحقد، والبخل، واليأس، والحزن، والوقاحة، والطيش، والتراخي، والعصيان...

وغالبًا ما حذّرت المعلّمة السماويّة من «نفاد الصبر»، وتعني به رفض ما يرى الله، في حكمته الفائقة، امتحاننا به، والتململ منه. فهذا الموقف يعني تشبّث الإنسان بإرادته،

ومُتَعه الخاصّة، وإيثار الخليقة على الخالق، وتفضيل ذاته على الله، غير حافلٍ بمجد الله.

نفاد الصبر هو تعبيرٌ عن أنانيّةٍ، قد تبدأ بحدّة الكلام والحركة، وتتحوّل إلى غضبٍ ومرارةٍ وعصيانٍ. في حين أنّ الصبر الذي يروّض المشاعر، ويشيع التناغم بين نزعاتٍ متنابذةٍ، في داخل الإنسان، يغذّي التجرّد عن الذات الذي يُفرِغ الإنسان من ذاته، كي يُفيض فيه الله ملأَه.

ويرقى المرء إلى قمّة بطولة الصبر عندما يحتمل، طوعًا، إرهاق وقر صلبانه، وشتّى المحن، والأمراض، والإهانات، والمظالم. وقد أكّد الملاك لبينوات، عام ١٧٠٠: «إنّ الشدائد والصلبان هي درب السماء، إن تقبّلناها بحبٍّ وصبر».

وبالإجمال ذكّرت العذراء في «لوس» تعليم ابنها أنّ من يضحّي بنفسه يخلّصها.

وقد أكّدت العذراء لبينوات، عام ١٦٩٢: «**يبتغي ابني الحبيب خلاص البشر أجمعين، ولكن لا يبتغي كلُّ البشر**

الخلاصَ»، لأنّهم اختاروا حياة الأرض، وتنفيذ رغباتهم الخاصّة.

إنّ أبناء اللّه الحقيقيّين هم الذين يولون العناية الإلهيّة ثقةً لا تتزعزع، بمنأًى عن أيّة حساباتٍ أرضيّةٍ، وعن الخوف والندم. هم الذين يحقّقون خلاصهم حيث وضعهم اللّه، ويتقبّلون مشيئته، وإِن بدت، أحيانًا، شاقّة الاحتمال، غامضة القصد.

فجرٌ مريميٌّ جديدٌ في «لوس»

منذ مستهلّ الظاهرة، أعلنت العذراء: «**لقد التمست «لوس» من ابني، من أجل ارتداد الخطأة. وقد أعطانيه**».

ظاهرة «لوس»، إذن، هي مبادرةٌ من أمّ اللّه، رأفةً بالخطأة. فهي، بصفتها وسيطةً بين الأرض والسماء، وشريكةً في فداء البشر، اختارت ذلك المكان كي تقيم فيه مزارًا تتقاطر إليه النفوس العليلة، بغيةَ التجدّد، والانبعاث إلى حياةٍ قشيبةٍ معافاةٍ.

وكان القدّيس توما الأكوينيّ قد كتب أنّ العذراء تتيح للكنيسة فرصة الاستفادة من ملء النعمة الذي حظيت به، وأنّها تملك من وفرة النعمة ما يكفي لخلاص البشر أجمعين.

ولا ريب أنّ ظهورات العذراء هي إحدى وسائل وساطتها.

من خلالها، تُوزَّع الكنوز التي أحرزها لنا يسوع بموته وبدمه.

وقد تميّزت ظهورات «لوس» شكلاً ومعنًى، إذ أبرزت إرادة اللّه وضع العذراء مريم في واجهة العالم. واللّه أعطاها «لوس» تلبيةً لطلبها، ليكون منطقة نفوذها، تفعل فيه ما يروق لها.

وتميّزت تلك الظهورات، أيضًا، باستمرارها الطويل الأمد، بحيث ملأت وجودًا إنسانيًّا كاملاً، لا فتراتٍ محدّدةً منه، وكان عمل العذراء، خلاله، مباشرًا، كثيفًا، متواصلاً.

كان عملاً مريميًّا فريدًا، توخّت العذراء، من خلاله، سكب نِعَم التوبة، وتقديم تعليمٍ إنجيليٍّ أصيلٍ. وقد جاء في عهد مفترقٍ تاريخيٍّ لفرنسا، وللعالم أجمع.

ففرنسا كانت قد شرعت تنسى تكريس الملك لويس الثالث عشر وطنه للسيّدة العذراء، ولم يستطع بذخ الملك لويس الرابع عشر، ولا رهافة فنونه، تمويهَ الفقر الروحيّ الذي تردّت إليه البلاد. فكبرياء الملك الشمس، وسلوكه المنحلّ، وروح المتعة الذي أشاعه حتّى في المدن والقرى القصيّة؛

مكان الظهور الأوّل للعذراء

لوحة تمثّل ظهور العذراء لبينوات في «پاندرو»
وترشدها إلى «لوس»

الحجر التذكاريّ الذي يشير إلى هذا الظهور

منظر عامّ لمزار لوس حاليًّا

هيكل المصلّى العطِر
الذي ظهرت عليه العذراء في «لوس»
والذي ضُمّ إلى كنيسة المزار

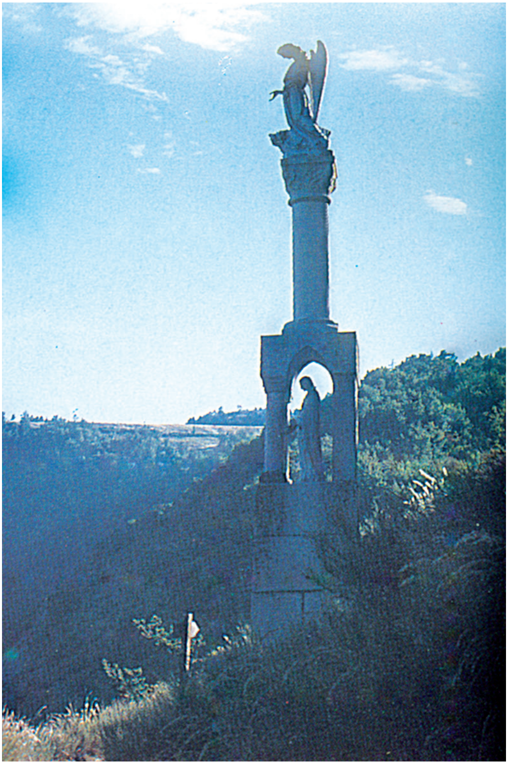

نصبٌ تكريميٌّ للملاك
الذي كان يرشد «بينوات» ويحميها

لوحة تمثّل «الأُخت بينوات»
في زيّ الرهبانيّة الدومينيكيّة الثالثة

مدفن «الأُخت بينوات» في مزار «لوس»

وانحطاط الإكليروس الذي بات كَلِفًا بشؤون العالم، أكثر من كلفه بملكوت الله، واستسلم لمغريات المتعة، والمصلحة المادّيّة، والجشع، جارًّا الشعب المسيحيّ في تيّاره. كلّ هذه الظواهر كانت دليلاً على فساد الروح المسيحيّ في فرنسا.

وإلى ذلك، شاع في ذلك القرن، عبر العالم، الروح العلمانيّ، وتبوّأ العلم مكان الإيمان، مدّعيًا التفرّد بحلّ كلّ معضلةٍ، وتفسير كلّ سرٍّ، ومنصّبًا المادّيّة وثنًا جديدًا، ممجّدًا خرافة التقدّم، وموديًا بالعالم إلى الانحطاط، جودةً، وعظمةً، وسلوكًا.

وتكاثرت النُذر في وجه الإنسان عامّةً، والكنيسة خاصّةً.

في ذلك المناخ المكفهرّ، جاءت العذراء إلى «لوس»، مستهلّةً عهد رحمةٍ. وقد اختارت راعيةً أمّيّةً، أداةً، وضحيّة تكفيرٍ.

في «لوس» تعلّم المسيحيّون الإنجيل من جديدٍ، مع أنّ «بينوات» لم تُدلِ إلاّ بقسطٍ ضئيلٍ من تعاليم العذراء.

ونحن، مع الأب «غايّار» نأسف لإقلالها، وإلاّ لكانت أغنتنا بكنوزٍ فائقة الثمن، من تعاليم أُمّ اللّه.

لقد كانت ظاهرة «لوس» فجرًا أضاء إشراقُه ليلاً دامسًا. وسيظلّ يُضيء أجيالاً وقرونًا. إذ كيف لأمّ اللّه أن تغيب عن حيث تتكثّف الظلمات، وحيث تفتقر النفوس إلى عونٍ أقوى من قدرات الأرض؟

الفهرس

ظهورات «لوس» (LAUS)	٥
طفولةٌ محفوفةٌ بالمخاطر، يغمرها حضور اللّٰه	٧
لقـاءٌ وبشارةٌ	١٧
ظهور العذراء الأوّل	٢٢
امتحان الصمت	٢٥
تحوّل «بينوات»	٢٩
«أَنا مريم»	٣٧
العذراء تنبئ ببناء مزار «لوس»	٤٥

«صلّي دائمًا من أجل الخطأة» ٤٩
أُعجوبةٌ قضت على مقاومة الإكليروس ٥٥
مشروع المزار يتحقّق ٦٦
تصعيد «بينوات» الروحيّ ٧٠
إِبليس يصارِع «بينوات» ٧٥
إبليس يشنّ هجماته على «لوس» ٨٢
اتّحادٌ صوفيٌّ بالصليب ٨٥
مسيرة «بينوات» بين عام ١٦٧٤ وعام ١٦٨٥ ٩٠
روائع اللّٰه في بينوات ١٠١
روائع اللّٰه في مزار «لوس» ١٠٨
أَعداء «لوس» ١١٦
في مدرسة مريم ١٢٥

«بينوات» أَداة ارتداد الخطأة	١٣١
جلجلة «بينوات»	١٣٦
مسيرة «بينوات» الصوفيَّة	١٤٥
خطفٌ شيطانيٌّ	١٥٠
مرحلة كسوفٍ	١٥٥
تجدّد	١٦٢
أَيّام «الأخت بينوات» الأَخيرة	١٦٤
«لوس» بعد «بينوات»	١٧٢
«لوس» مدرسة توبةٍ	١٧٨
«لوس» مدرسة خلاصٍ	١٨٤
فجرٌ مريميٌّ جديدٌ في «لوس»	١٩١
الفهرس	١٩٥

ظهر في هذه السلسلة للأستاذ الأديب أديب مصلح

١ – ظهورات لورد، ٢٠١١.

٢ – ظهورات فاطمة، ٢٠١١.

٣ – ظهورات الصوفانيّة، ٢٠١١.

٤ – ظهورات مديغوريه، ٢٠١١.

٥ – ظهورات سيّدة لاساليت، وظهورات الإسكوريال، ٢٠١٢.

٦ – ظهورات كيبيهو، وظهورات غوادالوپي، ٢٠١٢.

٧ – ظهورات السيّدة العذراء لكاترين لابوريه، ولألفونس راتسبون، ٢٠١٢.

ظهورات «غيتشڤاود»

(پولونيا ١٨٧٧)

ظهورات «غيتشڤاود»

هذه الظهورات ما برحت شبه مجهولةٍ، مع أنّها تُعدّ بمثابة «لورد» ثانيةٍ في أوروبّا، ويرى البعض أنّها مهّدت لظهورات فاطمة في البرتغال، وتجمعها بظهورات «پونمان» قواسم مشتركةٌ عديدةٌ.

«**غيتشڤاود**» (Gietrzwald) قريةٌ پولونيّةٌ، في منطقة «فارميا»، تقع جنوبيّ بروسيّا الشرقيّة التي احتلّتها منذ عام ١٧٧٢. وقد جهدت الحكومات البروسيّة المتتالية، منذ بسمارك حتّى هتلر، في تجريدها من هويّتها الوطنيّة، ومن انتمائها الكاثوليكيّ، مستخدمةً أعتى وسائل الاضطهاد.

في هذا الجوّ المكفهرّ، ابتسمت العذراء للپولونيّين المقهورين، فتحدّثت إليهم بلغتهم الپولونيّة، مؤكّدةً، لأبنائها المخلصين، حضورها إلى جانبهم، بظهورها لفتاتين من فتياتهم

هما «يوستينا شافرنيسكي» (Justina SZAFRYNSKI)، ١٣ سنةً، و«باربارا سامولوڤسكي» (Barbara SAMULOWSKI) ١٢ سنة.

«يوستينا»

وُلدت «يوستينا» في قرية «غيتشـڤاود» بتاريخ ٣١ آذار ١٨٦٤، من والدين كانا قد رُزقا خمسة أولادٍ، لم يعشْ منهم سوى ثلاثةٍ، وكانت «يوستينا» كبراهم. والدها كان عاملاً في مطحنةٍ، وينال من الأجر بقدر ما يعمل. وبما أنّ عمل المطحنة كان ضئيلاً، فقد كانت الأُسرة ضحيّة العَوَز والحرمان. وقد ضاعف من قسوة عَوَزها غَرَقُ الوالد، وهو في ميعة شبابه، ولمّا تتخطَّ «يوستينا»، حينذاك، الثالثة. ولمّا بلغت الثامنة، استُخدِمت حارسة سرب بطٍّ، في مزرعة أحد سكّان القرية. ثمّ تزوّجت والدتُها، ثانيةً، من عاملٍ في مطحنةٍ، بقرية «نوڤـي موين» (Novy Mlyn) المجاورة، وانتقلت الأُسرة للعيش هناك.

صادفت «يوستينا» مشقّةً في الدراسة، إذ لم تكنْ ذاكرتها تسعفها لحفظ ما تتعلّم، ومن ثَمَّ تأخّر احتفالها بمناولتها الأُولى حتّى عام ١٨٧٧.

وقد وصفها أحد معاصريها بما يلي:

«قامتها قصيرةٌ، قياسًا إلى سنّها. هزيلةُ المظهر، متواضعةُ الهندام، وحركاتُها تبدو منتظمةً. بالإيجاز هي فتاةٌ عاقلةٌ وبسيطةٌ. وجهُها البيضاويّ الشكل، شاحبٌ، ضاربٌ إلى السُّمرة. قَسَماتُها منتظمةٌ، ولكنّها خاليةٌ من أيّة ميزةٍ تستلفت الأنظار. عيناها الزرقاوان باهتتان، لا تستدعيان أيّ اهتمامٍ، هادئتان، بلا وهجٍ، منكفئتان إلى الداخل، عازفتان عن العالم الخارجيّ. شديدةُ الخجل، تحاذي الناس، وكأنّها لا تراهم... ولإكمال الصورة أذكر أنّ ثوبها وضيعٌ، لونه أصفر باهتٌ، لا شيء فيها يؤكّد شخصيّتها. وهي تتلفّع بخمارٍ أحمر داكنٍ، مربوطٍ عند ذقنها، ويغطّي رأسها، شأنها شأن سائر الفتيات الفقيرات».

وقد شهدت والدتها أمام لجنة التحقيق الكنسيّة:

«لا شيء يميّزها عن أترابها. إنّها تُعاقَب، كلّما خالفت الأوامر. تختلف، طوعًا، إلى الكنيسة، وتحرص على حضور احتفالات الشهر المريميّ... وقد تستعيض عن الشخوص إلى كنيسة الرعيّة بالصلاة أمام تمثال العذراء المنصوب في القرية. طاقاتها الذهنيّة عاديّةٌ. وفي السنة الأخيرة عبّر معلّمها عن رضاه عمّا أحرزته من تقدّمٍ».

وشهد مستخدِمها الذي عملت لديه سنتين في رعاية سرب البطّ، أنّه لم يسجّل عليها أيّ مأخذٍ، قطّ، فهي صريحةٌ، منزّهةٌ من كلّ كذبٍ، وخداعٍ، وتصنّعٍ، دائبةٌ على الخدمة. ولم تتخلَّ عن بساطتها، في أعقاب ظهور العذراء لها. وقد حرصت دائمًا على رفض أيّة هديّةٍ تُقدَّم لها. واستخلص مستخدمها أنّ كلّ ذلك يدعم مصداقيّة ظهور العذراء لها.

وقد نوّهت رئيسة راهبات المحبّة التي تولّت تثقيفها، أنّها كانت ممعنةً في تكريم السيّدة العذراء، وفي تمجيدها، وفي تحمّل التضحيات إكرامًا لها.

«باربارا سامولوڤسكي»
(Barbara SAMULOWSKI)

وُلدت بتاريخ ١٨٦٥/١/٢١، في قرية «ڤوريتي» (Woryty)، من والدين فقيرين. والدها عاملٌ زراعيٌّ، ووالدتها تقوم، أحيانًا، بمثل هذا العمل، لرفد دخل الأُسرة الهزيل. لها أخوان أكبر منها، وكانا، وقت ظهور العذراء لها، مجنّدين. كانت تتمتّع بذكاءٍ حادٍّ، وقد أثبتت تفوّقها في الدراسة. ولطالما ساعدت رفيقتها وقريبتها «يوستينا» التي كانت أكبر منها سنًّا، في استيعاب الدروس. أُسرتها، مع فقرها، تميّزت بالاستقامة، والوطنيّة اليولونيّة.

وقد قال عنها الشاهد المعاصر المُغْفل الذي أوردنا وصفَه ليوستينا:

«إن كانت يوستينا صورةً للفتاة المحافظة البطيئة الحركة، فإنّ «باربارا»، على نقيضها، كانت غزالةً نشيطةً... قَسَماتُها غير منتظمة، فأنفها طويلٌ، وفمها واسعٌ تبرز منه قواطع متأهّبةٌ لقضم الحياة بكلّ طاقاتها. يتعذّر إيقافها. فهي لا تكاد تراك وتسمعك حتّى تتملّص وتهجم إلى مكانٍ آخر. لا تسير سيرًا، بل تتوثّب باستمرارٍ. إنّها تجسيدٌ للحرّيّة والبساطة، والتلقائيّة».

وقد شهد وجيه القرية الذي أوكلت إليه اللجنة الكنسيّة استضافتها، بأنّها «طفوليّة السلوك». وقال: «لم ألحظ لديها أيّ خداعٍ. يسعني وصفها بالتلقائيّة والسذاجة. جوهرها الطفوليّ يتجلّى في عبثها مع أترابها. معلّمها في المدرسة يشيد بسخائها. ذووها مشهودٌ لهم بالاستقامة، وأمّها، على نحوٍ خاصٍّ، تتميّز بالتواضع والتقوى».

الفتاتان، وإن اختلفت طباعهما، لا تتميّزان عن أترابهما، وتتمتّعان بسلامة الجسم والعقل، رغم نحول ««يوستينا»»، بسبب فقر ذويها المدقع.

ظهورات العذراء

«يوستينا» كانت الأولى التي نعمت برؤية العذراء، يوم الأربعاء، ٢٧ حزيران ١٨٧٧، عند الساعة التاسعة مساءً. أمّا «باربارا» فقد أُنعمَ عليها بهذه الكرامة، بعد ثلاثة أيّامٍ، يوم السبت ٣٠ حزيران. وقد زعمت نساءٌ أُخرياتٌ رؤية العذراء، غير أنّ اللجنة الكنسيّة اهتمّت بحالة اثنتين منهنّ. وقد تبيّن أنّهما حظيتا، بادئ الأمر، بظهورٍ حقيقيٍّ، ولكنّهما، بعدئذٍ، ادّعتا ظهوراتٍ ورسائل ومعجزاتٍ زائفةً. ولمّا افتُضح أمرُهما منعهما الأسقف من الحضور إلى مكان الظهورات، ومن التحدّث إلى الجماهير، لا بل إنّه حجب عنهما الأسرار.

وقد اندرجت الظهورات على الوجه التالي:

يوم الأربعاء، ٢٧ حزيران ١٨٧٧، ضجّت قرية

«غيتشفاود» بالأطفال الذين قدموا إليها كي يخضعوا لامتحانٍ في المبادئ المسيحيّة، يؤهّلهم للمناولة الأولى التي حُدِّد موعد الاحتفال بها في الأوّل من تمّوز.

بين المتقدّمات لهذا الامتحان كانت «يوستينا» التي، مع بلوغها الثالثة عشرة، لم يُتَح لها الاحتفال بمناولتها الأولى، من جرّاء عجزها عن حفظ ما كانت تُلقّن. فكان موعد مناولتها الأُولى يُرجأ من سنةٍ إلى أُخرى. يومها، انتظرت دور امتحانها، وهي ترتعد قلقًا وخشيةً من أن يُؤجّل احتفالها، مرّةً أُخرى. فتلبّثت حتّى فرغ جميع أترابها من الامتحان، متيقّظةً، مصغيةً باهتمامٍ إلى أجوبتهم، حتّى أتقنت حفظها، فتمكّنت من الإدلاء بإجاباتٍ، نالت عليها تقريظ كاهن الرعيّة. وهُرعت تبلّغ ذويها الخبر السارّ، قبل أن تعود، مع أُمّها، إلى قريتهما. وعند الساعة التاسعة مساءً قُرِع جرس التبشير، فتوقّفتا، والتفتتا جهةَ الكنيسة، وشرعتا بتلاوة الصلاة المريميّة. وما إن فرغتا منها، حتّى أوعزت إليها أُمّها بحثّ الخطى، إذ كان الجوّ ينذر بالمطر. وانطلقت الأُمّ،

ولكنّ «يوستينا» لم تتحرّك، بل تجمّدت في مكانها، وعيناها شاخصتان إلى نورٍ كان منبعثًا من شجرةٍ في المقبرة. وما لبثت الوالدة أن تبيّنت تخلّف ابنتها عن اللحاق بها، فألحّت في استدعائها. ولكنّ الفتاة أجابت: «تمهّلي قليلاً يا أمّاه، فهناك شيءٌ أبيض على الشجرة، قرب الكنيسة».

– «وما هو الأمر المثير للاهتمام الذي يستوقفك؟

– «إنّي أرى شيئًا واقفًا، ذا شكلٍ بشريٍّ. الشجرة تتألّق، وربّما نشبت بها نار».

وإثر لحظة تفكيرٍ، أجابت الأمّ، انطلاقًا من كون الظاهرة تحدث في المقبرة:

– «قد تكون نفسٌ متألّمةٌ في المطهر، تلتمس صلواتٍ».

وفي هذه الأثناء، مرّ بالمكان كاهن الرعيّة، فقال للفتاة «يوستينا»:

– «لا ريب أَنّك سعيدةٌ، لأنّك ستحصلين على مناولتك الأولى، يوم الأحد القادم».

اعتصمت «يوستينا» بالصمت، خَفَرًا وارتباكًا. ولكنّ والدتها أوضحت للكاهن:

– «إنّ «يوستينا» ثابتةٌ في مكانها، وتأبى مغادرته، محدّقةً إلى الشجرة المنتصبة قرب الكنيسة، مؤكّدةً رؤية طيفٍ بشريٍّ عليها!».

كانت الفتاة تقف على مسافة نحو ثلاث مئة مترٍ عن الشجرة المضيئة. فأوعز إليها الكاهن بالاقتراب منها، وامتثلت حتّى باتت في حديقة بيت الكاهن، وعلى مسافة خمسة أمتارٍ من الشجرة. ووصفت ما باتت تشهده:

– «على مقعدٍ ذهبيٍّ مرصّعٍ بجواهر نفيسةٍ، تجلس سيّدةٌ جميلةٌ، ذات شعرٍ برّاقٍ، ينسدل على ظهرها».

نصحها الكاهن بتلاوة السلام الملائكيّ، وبالعودة إلى البيت. ولكنّ الفتاة، ما إن انتهت من تلاوة الصلاة المطلوبة، حتّى هتفت:

– يا أبتِ، لقد أضحى النور الآن أشدّ سطوعًا. وها إنّ ملاكًا يهبط من السماء، مرتديًا جلبابًا متألّقًا، موشًّى بالذهب، وله أجنحةٌ مذهّبةٌ، ومكلّلٌ بالزهور. وها هو ينحني ويحيّي السيّدة. الآن، تنهض السيّدة، وتصعد إلى السماء، والملاك إلى يسارها. وفي الأعالي السماء صافيةٌ، خاليةٌ من أيّة غمامةٍ».

في أثناء قولها هذا، كان الجوّ المنظور مكفهرًّا مشحونًا بالغيوم. حدّقت «يوستينا»، لحظاتٍ، إلى السماء، جاحظة العينين، ثمّ أفادت:

– «الآن، انتهى كلّ شيءٍ! لم أَعُدْ أرى سوى غمامةٍ مضيئةٍ».

ثمّ، بعد هنيهةٍ، أضافت:

– «الآن، لا أرى شيئًا».

خلال تلك اللحظات، عاش الكاهن مباشرةً، انخطاف فتاةٍ

أُمّيّةٍ خجولٍ، انقلبت، بغتةً، متكلّمةً واضحةً. فذُهل، وخامرته خاطرة مشاهدة زيارةٍ سماويّةٍ، فتساءل: «لعلّها أُمّ الله!»، وأخذ به التأثّر كلّ مأخذٍ. ولكنّه جهد في كتمان ما كان يخالجه، وقال للفتاة: «لا تخافي، يا صغيرتي، وعودي إلى هنا، غدًا، في مثل هذا الموعد، واتلي المسبحة»، مضمرًا نيّة العودة، هو أيضًا، بعد أن يكون قد استدعى أنوار السماء.

وعندما لحقت «يوستينا» بوالدتها، أوضحت لها، جوابًا على استفساراتها:

– «لقد رأيت سيّدةً فائقة الجمال، تنبض حياةً. أجل، كانت ترمقني، وترمق الكاهن. كانت محاقةً بنورٍ ساطعٍ بهرني توهّجُه. ما خلاها لم تكن عيناي تريان سوى ظلامٍ دامسٍ، فانتابني الخوف. أردت أن أصرخ، ولكنّني لم أستطع، وأردت الفرار، ولكنّني لم أقوَ على أيّة حركةٍ، وخُيِّل إليّ أنّ زمن الدينونة الأخيرة قد أزف».

أدلت الفتاة بهذه الأقوال، وهي ما برحت شاحبةً،

محملقةً، متهدّجة الأنفاس، تحت سطوة الظاهرة الخارقة التي خبرتها. ولم تكن والدتها قد شهدتها، قطُّ، في مثل تلك الحال، ولا سمعت منها مثل هذه الأقوال. وكان الصدق يترقرق من كلّ كيانها، ولا يتيح للريبة أيّة فسحةٍ.

ظهورٌ ثانٍ: يوم الخميس ٢٨ حزيران

استجابةً لدعوة الكاهن، كانت «يوستينا»، عند الساعة التاسعة من مساء ذلك اليوم، راكعةً في المكان الذي رأت منه العذراء بالأمس، وأناملها تمرّ بانتظامٍ فوق حبّات مسبحتها، وقد أحاقت بها ثلّةٌ من أترابها اللواتي أُحطنَ علمًا بما جرى لها مساء الأمس، فحرصنَ على مواكبتها، وعملنَ بنصيحتها، فرحنَ يصلّين بكلّ قلوبهنّ، متمثّلاتٍ بها في كلّ شيءٍ. وكانت بينهنّ قريبتها «باربارا سامولوڤسكي».

لا ريب أنّ أمّ الله سعدت بمشاهدة تلك الجوقة من الفتيات اللائي كنّ يوجّهن لها السلام بحرارةٍ، متأمّلاتٍ في أسرار الورديّة، فكافأتهنّ بحضورها، وقد وصفت «يوستينا» هذا الظهور الثاني بقولها:

«استنارت الشجرة، في مثل بغتة البرق، بضوءٍ غريبٍ.

وفي المكان الذي وقفت فيه السيّدة بالأمس، ارتسم قوسٌ. وعند مباشرتنا البيت الثالث من المسبحة، ظهر مقعدٌ له متّكأٌ، ومسند ظهرٍ مرتفعٌ ومستديرٌ، (كانت تعني عرشًا، ولكنّها كانت تجهل هذه اللفظة) يتوهّج بالذهب، وتتلألأ فيه أحجارٌ كريمةٌ. وأخيرًا، وافت السيّدة الجميلة من السماء، بين ملاكين مرتديين ثيابًا بيضاء، متألّقي الأجنحة، وكأنّهما يساندانها. جلست على مقعدها، فانحنى الملاكان أمامها، ووقف كلٌّ منهما إلى أحد جانبيها. بعد برهة دهشةٍ، أَحسستُ أنّني أدنو منها، وأشاهدها عن كثبٍ. كانت ذات جمالٍ منقطع النظير، وكأنّها بين السادسة عشرة والثامنة عشرة من العمر. كانت تحيق بها هالة نورٍ متألّقٍ أشدّ نصاعةً من الثلج. وكان شعرٌ طويلٌ كثيفٌ يحاكي خمارًا ينسدل على كتفيها، ويتدلّى حتّى ركبتيها. عيناها الزرقاوان كانتا تبعثان عذوبةً جمّةً. خدّاها كانا يزدهيان بلونٍ زهريٍّ ذهبيٍّ. ثوبها الأبيض الفضفاض كان يتدلّى حتّى الأرض، ولا يسفر إلاّ عن طرف قدمها اليمنى... أكمامها كانت مشدودةً وطويلةً. وكانت يداها مستقرّتين بجلالٍ على ركبتيها، وأشعّة نورٍ تنبعث منها. كانت

حيّةً، حقًّا، ولا يميّزها عن سائر النساء سوى الجمال والنور. وقد استمرّ «ذلك»، على هذا النحو، بعض الوقت. ثمّ انحدر من السماء ملاكان بطفلٍ جميلٍ جدًّا، يرتدي ثوبًا أبيض موشًّى بالذهب، وضعاه بين ذراعي السيّدة، وأجلساه على ركبتها اليُسرى، وعادا إلى السماء. وكان الطفل يحمل في يده اليمنى كرةً نيّرةً يعلوها صليبٌ، فيما استقرّت يده الأخرى على ركبته اليمنى. وحضر ملاكان آخران حاملين في يديهما إكليلاً متألّقًا، مضفورًا بحلقاتٍ رائعةٍ، ويحملانه فوق السيّدة. وظهر ملاكٌ خامسٌ حاملاً شيئًا ينتهي بزهرةٍ ذهبيّةٍ، ووضعه فوق التاج. وفوق كلّ ذلك، برز، أُفقيًّا، صليبٌ لا مصلوب عليه، على خلفيّةٍ من غيومٍ متوهّجةٍ. بعدئذٍ، عاد كلّ شيءٍ إلى السماء...».

هذه الرؤيا دامت الوقت الذي استغرقته تلاوة الورديّة، أي نحو نصف ساعةٍ. حيال هذه الأوصاف، قد يُخيّل أنّها نتاج خيالٍ جامحٍ. ولكنّ تلك الفتاة الفقيرة لم تكن قد شاهدت، قطّ، شيئًا ممّا وصفته، ولا إيقوناتٍ قد توحي لها بتلك الأوصاف.

وسرعان ما ذاع نبأ تلك الظهورات، واستقبله أبناء الرعيّة بفرحٍ وورعٍ، متوسّمين فيه زيارة أمّ الله لرعيّتهم التي كانت تكرّم صورةً عجائبيّةً لها منذ القرن السادس عشر. غير أنّ فئةً منهم التزموا الحيطة والحذر، بل الشكّ، بانتظار قرار الكنيسة، فيما وقف آخرون موقف العداء الصريح الشرس. فالله يفسح للبشر حرّيّة القرار بشأن أعماله. بيد أنّ الفضول قد شمل الجميع، وتقاطر القوم، كُثُرًا، إلى مكان الظهور، يوم الجمعة، **٢٩** حزيران، الذي تحتفل فيه الرعيّة بعيد الرسولين بطرس وبولس.

الظهور الثالث: يوم الجمعة ٢٩ حزيران

منذ مطلع ذلك اليوم تدفّقت على القرية حشود الراغبين في مشاهدة مكان الظهور والرائية. وعند الساعة التاسعة مساءً، وافت «يوستينا»، تواكبها كوكبةٌ من أترابها، وتحلّقنَ حول الشجرة، وشرعنَ بتلاوة الورديّة. وظهرت السيّدة ليوستينا، على نحو ما ظهرت في الأيّام السابقة، ملكةً متوهّجةً، جالسةً على عرش مجدٍ، وسط ثلّةٍ من الملائكة، ويسوع على ركبتها اليُسرى. ودام الظهور، في ذلك اليوم، أيضًا، نحو نصف ساعةٍ.

هذه الظهورات الثلاثة لم ترافقها أيّة رسالةٍ، بل كانت بمثابة تمهيدٍ. وبما واكبها من مظاهر العظمة والأُبّهة، جاءت العذراء، ملكةً قديرةً، تخدمها أجواق الملائكة، وفي الآن عينه، أُمًّا عطوفًا تقدّم للعالم ابنها يسوع، مخلّص الورى.

الظهور الرابع : ٣٠ حزيران

استدعى كاهن الرعيّة «يوستينا»، عشيّة مناولتها الأولى، وكلّفها بسؤال السيّدة - إن هي ظهرت - عمّا تبتغيه. وحدث الظهور فعلاً. ولكن، في هذه النوبة، لم يرافق السيّدة لا ابنها ولا أجواق الملائكة، إنّما سبقتها وأحاقت بها هالة نورٍ ساطعٍ. وما إن استفاقت «يوستينا» من وقع الذهول، حتّى بادرت إلى طرح السؤال الذي كان الكاهن قد لقّنها إيّاه:

- «أيّتها السيّدة الجميلة، ما هو سبب مجيئك، وماذا تبتغين؟».

وأجابتها السيّدة، ببساطةٍ ووضوحٍ، وباللغة البولونيّة:

- «أرغب في أن تتلوا الورديّة، كلّ يوم».

تكلّمت السيّدة بصوتٍ جهيرٍ وجليٍّ، بحيث قدّرت «يوستينا» أنّ جميع المحتشدين في المقبرة، وحتّى الواقفين بعيدًا، كان يسعهم سماعها، ولكأنّها حرصت على أن يسمع جميع الحاضرين، ومن خلالهم العالم كلّه، رسالتها، ولا سيّما أنّها قد اتّخذت من شجرةٍ باسقةٍ منبرًا لها. ومع أنّها، في ذلك اليوم، لم تفصح عن اسمها، إلاّ أنّ هويّتها باتت واضحةً.

وفي ذلك اليوم عينه، رأت الفتاة «باربارا» ما رأته قريبتها «يوستينا»، وسارعت إلى تبليغ تفاصيل رؤياها لكاهن الرعيّة الذي، إزاء تطابق روايتي الفتاتين، ظنّ أنّ بينهما توطؤًا، فوبّخ «باربارا» بقسوةٍ استدرّت دموعها، مع أنّه لم يتمّ بين الفتاتين أيّ تشاورٍ أو تبادل معلوماتٍ. ولكي يطمئنّ قلبه، طلب الكاهن من «يوستينا» أن تستوضح السيّدة عن اسمها، وعن إمكانيّة شفائها للمرضى الذين قد يأتون ويلتمسون شفاعتها. وقد تحقّق ذلك في الظهور الخامس.

الظهور الخامس: الأحد الأوّل من تمّوز، ليوستينا وحدها

في ذلك اليوم، حلّقت «يوستينا» إلى قمّة السعادة والتأثّر. ففي ذلك الصباح احتفلت بمناولتها الأولى، وفي المساء كان جمهور المتحلّقين حول الشجرة، لتلاوة صلاة الورديّة، كثيفًا. ولئن قدم بعضهم بدافع الفضول، إلاّ أنّ كثيرين جاؤوا تلبيةً لرغبة العذراء. ووفقًا للتقليد الذي شرع القوم يلتزمونه، ما إِن قُرِع جرس التبشير حتّى أخذ الحاضرون بتلاوة المسبحة الورديّة. وبغتةً، لحظوا تجمّد قسمات محيّا «يوستينا»، ولكأنّها تحجّرت، وجحظت عيناها، وتوقّفت حركة جفنيها، كما توقّف مرور أناملها على حبّات مسبحتها. وأدرك الجميع أنّ الظهور قد حدث. وبعد لحظات انخطافٍ، سارعت الفتاة إلى طرح السؤال الذي كان يحرق شفتيها، فاستفسرت:

– «سيّدتي، من أنت؟».

– «**أنا العذراء مريم، التي حُبل بها بلا دنسٍ**».

وفيما كانت «يوستينا» تتأهّب لطرح السؤال الآخر المتعلّق بشفاء المرضى، توارت العذراء بغتةً، مثلما كانت قد جاءت. فهرعت الفتاة إلى الكاهن كي تطلعه على ما جرى.

أمّا رفيقتها «باربارا»، فقد وصلت متأخّرةً إلى مكان الظهور، وحاولت، بحرارة صلاتها، أن تعوّض عمّا فاتها من أبيات المسبحة. ولكنّها لم ترَ سوى النور الذي كان يغلّف الشجرة، ولم تشاهد العذراء، ولم تسمعها. وسارعت فاعترفت بالأمر للكاهن الذي لمس، في اعترافها، دليلاً على صدقها، وعلى انتفاء أيّ تواطؤٍ بينها وبين قريبتها «يوستينا»، فندم على الشكّ الذي كان قد ساوره، بهذا الشأن. وعادت «باربارا» إلى البيت حزينةً، واستغرقت في الصلاة تكفيرًا عن تخلّفها عن موعد صلاة الورديّة الجماعيّة. وقد كوفئت وعُزّيت باقتصار الظهور السادس عليها وحدها.

ففي تلك الليلة، قبل استسلامها للكرى، تلت، بحرارةٍ

مضاعَفةٍ، ما كان قد فاتها من صلوات الورديّة الجماعيّة. ومع ذلك لم يتحرّر نومها من القلق والاضطراب، إلى أن فوجئت بحدَثٍ غمرها فرحًا، إذ شاهدت العذراء جالسةً على مقعدٍ قرب سريرها، حيّةً وجميلةً، كما كانت في ظهورها على الشجرة. وبقدرٍ جمٍّ من البساطة والأُلفة، طرحت الفتاة السؤال الذي كان الكاهن قد كلّفها بطرحه:

– أيّتها السيّدة، ما اسمك؟».

– «**أنا الحبل بلا دنسٍ!**».

وقبل أن تطرح عليها السؤال الآخر المتعلّق بشفاء المرضى، توارت السيّدة. ومنذ استيقاظها، روت «باربارا» لأُمّها كلّ ماحدث لها، وحينئذٍ، تذكّرت الوالدة أنّها، فيما كانت تنهي صلاة تساعيّةٍ، استعدادًا للنوم، سمعت عبارة «الحبل بلا دنسٍ»، ولكنّها لم تُعرْها، حينذاك، اهتمامًا.

وخرّت الأُمّ وابنتها راكعتَيْن، شاكرتَيْن للعذراء كرمها، ثمّ خفّت «باربارا» إلى الحقل، فاقتطفت باقة زهورٍ وضعتها أمام الإيقونة التي أَلِفت الأُسرة الصلاة أمامها، وابتاعت مصباحًا

أضاءته إلى جانب الباقة. ثمّ هرعت إلى كاهن الرعيّة، فسردت تفاصيل رؤياها الليليّة، وتعريف العذراء لنفسها. ومرَّةً ثانيةً أوحى هذا التوافق بين إفادتَي الفتاتين شكًّا، لدى الكاهن، بتأثير إحداهما على الأُخرى، فعزم على فصلهما.

الظهور السادس: الإثنين ٢ تمّوز

أفصحت العذراء عن هويّتها، وعن الغاية من ظهوراتها، ولكنّها ما زالت راغبةً في التشديد على الدعوة إلى تعميم صلاة الورديّة. ومع أنّ نساء القرية حرّضنَ بناتهنّ على حذو حذوَ الرائيتَين، وعلى مشاركتهنّ صلاة الورديّة، إلاّ أنّ أُمّ الله كانت راغبةً في إقبال البالغين، أيضًا، على هذه الممارسة، فظهرت، ثانيةً، في ٢ تمّوز.

كان القدّيس «دومينيك» ورفاقه قد أشاعوا ممارسة تلاوة الورديّة، في القرن الثالث عشر، وأعطاها البابا القدّيس بيّوس الخامس دفعًا، في القرن السادس عشر، وحدّد السابع من تشرين الأوّل، عيدًا للورديّة المقدّسة، معلنًا مريم العذراء «عونَ المسيحيّين».

وفي القرن التاسع عشر، إثر ظهورات «غيتشڤاود»، اختار

البابا لاون الثالث عشر شهر تشرين الأوّل شهرًا للمسبحة الورديّة المقدّسة، ودعا الكنيسة جمعاء إلى تلاوة المسبحة عن نيّة السلام بين الشعوب، وسيادة الحقيقة، والعدل الاجتماعيّ. ولكنّ العذراء اقتضت أكثر من ذلك، وطالبت بتلاوة الورديّة، يوميًّا. وكانت هذه الغاية هي سبب تمديد أمد ظهوراتها، وداعي ظهورها في **٢** تمّوز.

الظهور السابع: الثلاثاء ٣ تمّوز

كانت كوكبةٌ من الأولاد الذين استبدلوا العبث في الغابات والبراري بالتجمّع عند شجرة المقبرة لتلاوة المسبحة الورديّة بخشوعٍ، حول «يوستينا» و«باربارا» اللتين أبعدهما الكاهن إحداهما عن الأخرى. ولمّا شرع الجمهور بتلاوة البيت الثاني، طرأ تبدّلٌ مباغتٌ على قسمات الفتاتين، في الآن عينه، مع غياب أيّ اتّصالٍ بينهما، فصمتتا، وانتابهما انخطافٌ، وشوهدت شفاههما تتحرّك، ولكن لم تكن تُسمع أقوالهما. وكان الفضول المقترن بالثقة قد دفعهما إلى استفسار السيّدة عن مدّة استمرارها في الظهور، فأجابتهما أنّ ظهوراتها ستمتدّ شهرين. وعن الأسئلة التي سبق لهما طرحها، ولم تتلقّيا عليها إجابةً، أوضحت أنّ معجزةً ستحدث، وأنّ المرضى الذين سيوافون للصلاة سيظفرون بالشفاء.

الظهور الثامن: الأربعاء ٤ تمّوز

دأبت العذراء، المعلّمة الحكيمة، على تأكيد رغبتها في تعميم تلاوة الورديّة يوميًّا، بخطواتٍ تدريجيّةٍ. وإثر وعدها بشفاء القادمين مصلّين، سُئلت العذراء عمّا يتوجّب على المرضى، كي ينالوا الشفاء، فكان جوابها: «**عليهم ممارسة تلاوة المسبحة الورديّة**».

الظهور التاسع: الخميس ٥ تمّوز

مزيدٌ من الإيمان ومن الصلاة، وبالتحديد صلاة المسبحة الورديّة. هذا ما اقتضته العذراء وسيلةً لشفاء الأمراض.

ومنذ فجر الخامس من تمّوز، تدفّق نهرُ أوجاعٍ من كلّ أرجاء المنطقة، صوب «غيتشـڤاود»، وقرعت قبّةَ السماء هتافاتُ: «السلام عليك يا مريم»، يا «عافية المرضى»، وانبرى جيشٌ من المتطوّعين لدفع عربات أصحاب العلل، نحو شجرة الظهورات.

وفي سبيل حضّ القادمين على مواصلة الصلاة، عقب عودتهم إلى منازلهم، عمد كاهن الرعيّة إلى تعليق قطعة نسيجٍ على شجرة الظهورات، فكان الحجّاج، قبل إيابهم، يقتطعون منها نُتَفًا مباركةً تذكّرهم بواجب المواظبة على تلاوة الورديّة.

الظهور العاشر: الجمعة ٦ تمّوز

تبيّن كاهن الرعيّة أنّ السيّدة العذراء لا تفصح عن رغباتها إلاّ عندما تُستفسَر عنها، وكانت تتنازع نفسه تساؤلاتٌ عن رغباتٍ أُخرى للزائرة السماويّة، فكلّف الفتاتين باستيضاحها، فأعربت العذراء عن رغبتها في إقامة نصبٍ تذكاريٍّ للآلام، وتمثالٍ لسيّدة الحبل بلا دنسٍ.

هذه الإجابة سبّبت للكاهن مشاكل أكثر ممّا وفّرت حلولاً، إذ راح يتساءل ما المقصود بنصبٍ تذكاريٍّ للآلام: هل هو مجرّد صليبٍ، أم هو درب صليبٍ، أم مصلًّى يحاكي كنيسة الجلجلة؟ وكيف سيكون وضع سيّدة الحبل بلا دنسٍ، واقفةً أم جالسةً، مع يسوع، أم مع الملائكة.

هذه التساؤلات تضيء طبيعة الإيمان الذي كان سائدًا في تلك الحقبة، والذي كان يحاور الله وأمّه حوارًا بريئًا،

ويشركهما في الحياة اليوميّة، ولكأنّ كاهن الرعيّة، بتساؤلاته تلك، كان يجعل من العذراء عضوًا في لجنة رعيّته، ويشركها في قراراتها.

ثلاثة ظهوراتٍ: ٧ و٨ و٩ تمّوز

كُلّفت، إذن، الفتاتان، باستيضاح رغبة العذراء التي أكّدت أنّ ما تبتغيه هو نوايا القلوب، لا الأشكال والظواهر. فسواءٌ لها إن كان نصب الآلام التذكاريّ مجرّد صليبٍ، أو درب آلامٍ، أو مصلًّى. وكذلك بشأن تمثال سيّدة الحبل بلا دنسٍ، فسيّان لديها وضع الوقوف أم وضع الجلوس.

ومن ثمّ قُرِّر إنشاء مشكاةٍ تذكّر بالآلام يعلوها صليبٌ، وتكليف مثّالٍ بصنع تمثالٍ لسيّدة الحبل بلا دنسٍ، واقفةً.

وبعد أن حُلّت قضيّة التأويل، نشبت قضيّة التمويل. فحبّ المؤمنين لأُمّهم السماويّة، ورغبتهم في تكريمها، كانا يحملانهم على تمنّي إشادة صرحٍ بأفخر ما في الدنيا من مرمرٍ ونفائس، وتزيينه بأفخر الجواهر، فما من تكريمٍ يفيها حقّها. ولكنّ مواردهم الوضيعة أكرهتهم على الاكتفاء بما يتيسّر

لديهم. وحتّى توفير الموادّ الأساسيّة البسيطة كان يستلزم أموالاً لا بدّ من الجهد في جبايتها. فنُظّمت حملة تبرّعاتٍ تعرّضت للكثير من المقاومة الحكوميّة والمحاكمات، والغرامات. غير أنّ سخاء المتبرّعين وفّر المال اللازم لمواجهة الالتزامات.

استمرار الظهورات: بين ١٠ و١٨ تمّوز

ما انفكّ القوم يتقاطرون، ويشاركون في تلاوة المسبحة الورديّة، والانخطاف يعتري الفتاتين على مدى تلاوة عشرة أبياتٍ من المسبحة. وفي هذه المرحلة لم يُسجّل أيّ حدثٍ بارزٍ، سوى ظهورٍ خاطفٍ للافتةٍ دُوّنت عليها عبارة: «أنا الحبل بلا دنسٍ»، وكأنّها تعبيرٌ عن رغبة العذراء في إعلان هذه العقيدة على الملأ.

واتّضح، أيضًا، من ظهور العذراء اليوميّ لقومٍ يتلونَ الورديّة، أنّها راغبةٌ في ترسيخ ممارسة تلاوة أحد أجمل نصوص التقليد المسيحيّ المقترن بتأمّل أسرار الفادي، وأسرار خلاصنا، فضلاً عن رغبةٍ في جعل «غيتشڤاود» محجًّا مقصودًا، ومركزًا هامًّا للروحانيّة الورديّة على نطاقٍ كونيٍّ، مع حرصها على ألاّ تفسد مقاصدُ السياحة، وما يواكبها من

متعٍ دنيئةٍ، ومصالح مادّيّةٍ، الدوافعَ الروحيّة، المتمثّلة في روح الورع والصلاة، والتوبة، والإقبال على الأسرار. فقد كانت تخشى طغيان العالميّ على المقدّسات.

وقد أكّدت خشيتها هذه من خلال ظهوراتٍ لاحقةٍ.

الظهور الرابع والعشرون
حتّى الظهور السابع والعشرين:
١٦ حتّى ٢٢ تمّوز

طيلة شهر تمّوز ما انفكّ سيل الحجّاج يتضخّم، يومًا فيومًا. مواكب السائرين على ضوء النجوم كانت تتدفّق على السهل، وعلى الطرقات المرصوفة، والدروب الوعرة، وبين الأحراش، متحدّين التعب والعناء، وأنواء الطقس، وسخريّة الملحدين، وهجاء الصحف المناوئة، وملاحقات رجال الأمن، محتملين، بطيبة خاطرٍ، كلّ ذلك، في سبيل الارتماء عند أقدام الأمّ السماويّة، والتماس شفاعتها.

أفواج الفقراء القادمين من بعيدٍ كانت تملأ، حتّى الاكتظاظ، عربات الدرجتين الثالثة والرابعة من قطاراتٍ

بطيئةٍ تزحف زحفًا، ويضاعف بطؤُها عناءَ المسافرين. وقد يقضي بعضهم الليل كلّه وقوفًا، أو في زحمةٍ لزيزةٍ خانقةٍ. وأخيرًا يتوقّف بهم القطار على مسافة خمسة كيلومتراتٍ من «غيتشـڤاود»، فيكملون المشوار سيرًا على الأقدام، أيّةً كانت ظروف الطقس. حجّهم، بذاته، كان تضحيةً وكفّارةً.

عدد هؤلاء الحجّاج كان يناهز الألفين، يوميًّا، ويقفز هذا العدد إلى ضِعفَيْه أو ثلاثة أضعافه، أيّام الآحاد والأعياد، حتّى عجزت سكّة الحديد عن تلبية كلّ طلبات السفر، فاستخدمت عربات شحنٍ، وأحيانًا عربات نقل ماشيةٍ، ما وفّر للمستهزئين فرصةً فريدةً لصبّ جام حقدهم وكيدهم على المؤمنين بالظاهرة.

وكان من شأن هذا المشهد أن يُثلج قلب الأُمّ، فرحًا، غير أنّ انخطاف الفتاتين الرائيتَيْن، خلال هذه الأيّام الأربعة، لم يكن يدوم أكثر من ستّ دقائق، وكانت العذراء تبدو، في أثنائها حزينةً، لا بل إنّها، يوم الأحد، **٢١** تمّوز، بكت، فأحزنتهما. وفي الغداة استوضحتا هل سبب حزنها هو ما

يشوب صلاتهما من شرودٍ وفتورٍ، أو سوء سلوكهما، ولكنّها أكّدت أنّ السبب هو استهتار بعض الزائرين الوقحين، الذين يذرعون المكان، مُزرين بكلّ حُرمةٍ لحضورها، ولا يخطر لهم أن يركعوا، لحظةً، ويصلّوا، ولا يتورّعون عن تبادل الأحاديث النابية والماجنة، ويسخرون بالمصلّين... وقد أنذرت العذراء بالكفّ عن الظهور، إن استمرّ الوضع على هذه الحال.

لقد أحزن الأُمَّ السماويّة اندساسُ سائحين مستهترين، يحدوهم الفضول واللهو، أُصيبت أذهانهم بالسطحيّة، وأجدبت قلوبهم، فراحوا ينعتون المؤمنين والمصلّين بالسذاجة والحمق.

ظهور ٢٣ تمّوز

هذا الظهور كان قصيرًا، ولم يستغرق من الوقت سوى مدَّة تلاوة بيتٍ واحدٍ من المسبحة. وانتهزت الفتاتان هذه السانحة لاستيضاح السيّدة: «هل سيشهد الحبر الأعظم الحالي انتصار الكنيسة؟» وأجابت العذراء بالإيجاب. وكان البابا، آنذاك، هو بيّوس التاسع. وفي الواقع، خسرت البابويّة، في عهده، أراضيها وممتلكاتها، ولكنّها أحرزت مكاسب أدبيّةً، واعترف الجميع بالكنيسة «بطلة الحقّ والعدل».

وفي هذه الأثناء حرص كاهن الرعيّة على إِبعاد أسباب حزن الأُمّ السماويّة، من جرّاء وقاحة بعض الزائرين.

ظهورات ٢٤ تمّوز

كانت العطلة المدرسيّة قد بدأت، وراح الأولاد يلهون، على مقربةٍ من الكنيسة. فدعا كاهن الرعيّة كلاًّ من «يوستينا» و«باربارا» للشخوص إلى مكان الظهورات، وتلاوة الجزء الأوّل من الورديّة، والتأمّل في أسرار الفرح. وقد استهدف من ذلك إشغال الأولاد بما يفيد نفوسهم، وتبيُّنَ هل سترِدّ العذراء على هذه الصلاة المرتجلة بظهورها.

استجابت الرائيتان لرغبة الكاهن، يحدوهما الأَمل في رؤية السيّدة الجميلة التي لم تخيّب أملهما، فظهرت سعيدةً، ودعتهما إلى العودة، كلّ صباحٍ، بعد القدّاس، وبذلك أصابت ثلاثة أهدافٍ، دفعةً واحدةً: تحريض الأولاد على المشاركة في الذبيحة الإلهيّة، وتلاوة المسبحة التي تلي القدّاس عادةً، والاستماع إلى إرشاد الكاهن.

وسرعان ما ذاع نبأ هذا الظهور الصباحيّ، وعندما حلّ وقت الظهر، احتشد الحجّاج أمام شجرة الظهورات، وطالبوا بحضور الرائيتين، فاستجاب الكاهن، وحضرت الفتاتان، وأخذتا بتلاوة الجزء الثاني من الورديّة، والتأمّل في أسرار الآلام. وكافأت العذراء المصلّين بأسلوبٍ جديدٍ، إذ عبّرت عن حضورها، بنورٍ ساطعٍ غلّف الشجرة، قبل أن يغمر جموع الحاضرين، وكأنّه قبلة الأُمّ لجميع بنيها الذين وافوا لزيارتها.

حلّق الكاهن إلى ذروة الفرح، وتبيّن منافع تجزئة الورديّة إلى مراحل، بحيث يباشر المصلّون كلَّ جزءٍ بحرارةٍ متجدّدةٍ. وكان يتساءل هل ستتكرّم العذراء بظهورٍ ثالثٍ، في ذلك اليوم المبارك. وإذ كان يجيل هذا الأمر بباله، قُرِع ناقوس التبشير. وكانت الفتاتان وفيّتين لموعدهما مع الزائرة السماويّة، تضجّان رجاءً في رؤيةٍ أُخرى للسيّدة الجميلة. وكان القوم المحتشد، والذي فاق عدده كلّ حشود الأيّام السابقة، فرحًا بحصر كلّ تقواه، بتلاوة الجزء الثالث من الورديّة، والتأمّل في أسرار المجد، وأقبل، بحماسٍ، على الصلاة. وفي أثناء

تلاوة البيتين الثاني والثالث، حضرت العذراء، ترفل بهجةً.

وكان قد خطر للكاهن أن يضع، عند أقدام شجرة الظهورات، إناءً مملوءًا ماءً، تباركه العذراء بحضورها، فيمسي هذا الماء وسيلة شفاءٍ، مثلما كان النسيج المعلّق على الشجرة وسيلة مواظبةٍ على الصلاة. وقد أَوعز إلى الرائيَتَيْن طرح السؤالين التاليين:

– هل يستطيع المرضى استخدام الماء المبارك في «غيتشڤاود»، من أجل شفائهم؟

– ما السبيل إلى الحصول على الماء المبارك المساعد على الشفاء؟

وقد أجابت السيّدة على السؤال الأوّل، إِيجابًا. أمّا السؤال الثاني فقد أجابت عليه بقولها: «**الماء المحمول باليد، في أثناء تلاوة المسبحة، سيُبارَك**». فالسماء لا تهتمّ بالوسائل، شرط أن تكون النوايا سليمةً، والإيمان منيعًا، واليقين بأنّ يسوع هو ينبوع الماء الحيّ، وأنّ العذراء هي القناة التي تقود إليه.

وما إِن فرِغ المصلّون من تلاوة المسبحة، في ذلك اليوم، حتّى برزت، في السماء، نجمتان كبيرتان، كلٌّ منهما بحجم قمرٍ، وتصاعدتا ببطءٍ فوق الصليب الذي يعلو مشكاة تمثال العذراء المنزّهة من الدنس، وتابعتا صعودهما إلى السماء.

الظهور الواحد والثلاثون: ٢٥ تمّوز صباحًا

استيقظت الفتاتان وقد أفعمهما ظهور الأمس اندفاعًا، فسارعتا إلى تلبية رغبة العذراء، وهرعتا، باكرًا، إلى الكنيسة، للمشاركة في الذبيحة الإلهيّة، ثمّ شخصتا إلى ظلّ الشجرة، لتلاوة الجزء الأوّل من الورديّة. وكانت الجموع قد سبقتهما، وقد جاء كلّ قريبٍ لمريضٍ بإناء ماءٍ، ووضعه تحت الشجرة لينال البركة الشافية. وتساءل الكاهن عن سلامة هذا السلوك وكلّف الفتاتين باستيضاح السيّدة عنه، فذكّرت بقولها، بالأمس، أنّ الماء المحمول باليد، في أثناء تلاوة المسبحة، سيُبارك.

الظهور الثاني والثلاثون: ٢٥ تمّوز ظهرًا

عند ظهر ذلك اليوم، حدث الظهور الثاني والثلاثون.

وبما أنّ تقاطر الحجّاج الكثيف كان يُحدث الفوضى والازدحام، كان كاهن الرعيّة قد قرّر تنظيم التطواف، بفرز كلّ جماعةٍ إلى فئةٍ تميّزها رايةٌ خاصةٌ: ففي الوسط، حول صليب التطواف، يجتمع طلاّب المدارس والرائيتان اللتان عليهما قيادة الصلاة، فلا بدّ من مشاهدتهما وسماعهما. وإلى جانب هذه النواة تسير فئة الرجال حاملين رايةً زرقاء، ثمّ فئة النساء حاملاتٍ رايةً حمراء، فيما ترفع فئة الشبّان رايةً خضراء، وفئة الفتيات رايةً بيضاء.

واتّفق أنّ الرايات أُهملت، في ذلك اليوم، فعمّت الفوضى، واستاءت العذراء، وعزت الفتاتان استياءها إلى سببين مختلفيْن، ظاهريًّا. هذا التباين، مع كونه في الشكل

لا في المضمون، أوقع كاهن الرعيّة في حيرةٍ، قادته إلى الارتياب في صدق الرائيتين، فمنعهما من الظهور في جوار الكنيسة، وأعلن تعليق الحجّ، ريثما تتبدّد شكوكه.

في الواقع، لم يكن موقفه هذا ناجمًا عن مجرّد تباين روايتي الفتاتين، بل كان نتيجة تراكم حملاتٍ شعواء شنّتها الصحافة الحاقدة، واتّهاماتٍ من قِبَل مسيحيّين يدّعون الغيرة على الكنيسة، طالبوا الأُسقف بوضع حدٍّ لسذاجة ذلك الكاهن المفتقر إلى التمييز وسداد الحكم، والمسارع إلى تأييد تخرّصات فتياتٍ حمقاواتٍ. ولا ريب أنّ هذه الحملات والاتّهامات قد نالت من أعصابه وأوهتها. وربّما شاءت العناية الإلهيّة تطهير أفكاره وذهنه، لكي يكون حكمه في الظاهرة السماويّة جديرًا بالتصديق. وهو، مع إيقافه مواكب الحجّ، ومنعه الرائيتين من الشخوص إلى مواقع الظهورات، دعا السيّدة العذراء إلى الذود عن حياضها بنفسها، وإثبات حقيقة حضورها. وفي مساء ذلك اليوم عينه، جاءه من قرية «فوريتي» المجاورة، رجلٌ مشهودٌ له بالاستقامة وسداد الحكم، ووصف له حزن «باربارا» بسبب ارتيابه بصدقها، وأكّد

استعداده لاستضافتها في منزله، وإبعادها عن قريبتها ورفيقتها «يوستينا»، وتأهّبه، هو وزوجته، لمراقبة كلّ تصرّفاتها، عن كثبٍ، درءًا لأيّ خداعٍ أو التباسٍ. وكذلك فعل رجلٌ ثقةٌ آخر من «غيتشڤاود» تطوّع لاستضافة «يوستينا» ولمراقبتها. وراق العرض للكاهن، فعزم على الرجوع عن موقفه السلبيّ.

٢٥ تمّوز مساءً: الظهور الثالث والثلاثون، ليوستينا وحدها

في تلك الأثناء، قدمت من القرى المجاورة جموعٌ لم تكن قد اطّلعت على قرار الكاهن تعليق الحجّ. وبالطبع لم تَظهَر الرائيتان، خضوعًا لأمر الكاهن، فالتزمت «باربارا» المنزل. أمّا «يوستينا» فلم تتمالك ألاّ تشارك الصلاة الجماعيّة، ولو خلسةً، من بعيدٍ، فتوقّفت عند المقبرة. وهناك ظهرت لها العذراء، حزينةً، وقالت لها: «**الآن سيتضاءل الإيمان، وستُشنّ اضطهاداتٌ أعتى قسوةً، ولكنّها ستؤول إلى خيركم. على** «**باربارا**» **أن تلتزم بإفادتها، وألاّ تغيّر منها حرفًا**».

اضطرب الكاهن عندما اطّلع على ظهور العذراء ليوستينا، وعلى نتائج قراراته السلبيّة، وعلى تنديد العذراء بشكوكه.

وقد أثبت له استمرار العذراء في الظهور واجب السماح للقوم باستئناف الحجّ والصلاة.

أخفقت محاولة أمير الظلمات في إِشاعة الشكوك حول الظهورات. ولكنّه لم يستسلم للهزيمة طويلاً. وسيستأنف، لاحقًا، مناوراته اللئيمة. غير أنّ الحجّ والصلاة، استعادا مسيرتهما المألوفة.

ثلاثة ظهورات يوم الخميس ٢٦ تمّوز

وافت الفتاتان، تحت حراسةٍ يقظةٍ إلى دار الرعيّة، لكي تتلقّى كلٌّ منهما، على حدةٍ، تعليمات الكاهن، والأسئلة التي يتوجَّب على كلّ واحدةٍ طرحها على السيّدة العذراء. وعُيِّن لكلٍّ منهما مكانٌ خاصٌّ، بحيث ينتفي أيّ اتّصالٍ بينهما. وكان أُناسٌ ثقة يراقبونهما. كُلّفتا باستفسار العذراء عن موعد الاحتفال بذكرى الظهورات السنويّة. وجاءتا بإجابتين متباينتين. فيوستينا قالت: «يومين قبل عيد الرسولين بطرس وبولس، وطيلة مدّة الظهورات» في حين قالت «باربارا»: «يوم ذكرى زيارة مريم لإليصابات».

حيال هذا التباين احتكم الكاهن، بكلّ براءة إيمانه، إلى السيّدة العذراء، التي ظهرت ثانيةً ظُهرَ ذلك اليوم عينه، وأوضحت أنّ قول «يوستينا» صحيحٌ، أمّا «باربارا» فكانت

شاردة الذهن، وربّما كانت ما برحت تحت تأثير أحداث اليوم السابق.

ثلاثة ظهوراتٍ يوم الجمعة ٢٧ تمّوز

بما أنّ تلاوة الورديّة كانت قد جُزِّئت إلى ثلاث مراحل، فقد كانت العذراء تظهر بمناسبة كلّ جزءٍ منها، صباحًا وظهرًا ومساءً. وكان ناقوس التبشير يؤذن بكلّ تلاوةٍ للمسبحة، وبكلّ ظهورٍ.

في ظهورها الصباحيّ، ذلك اليوم، بدت العذراء حزينةً، ولكنّها كانت أقلّ حزنًا، ظهرًا ومساءً. وقد سُئلت عن استحسانها اعتناق شخصٍ معيّنٍ الحياة الرهبانيّة، فترك جوابها لصاحب الشأن كامل حرّيّة القرار، إذ أجابت: «**يُستحسَن أن يختار كثيرون الحياة الرهبانيّة، إن هم كانوا مؤهّلين لها، وقادرين عليها**».

يوم السبت ٢٨ تمّوز

حلّ الفرح محلّ المحنة. وبدت العذراء، في ذلك الصباح، ساجيةً، وكذلك كانت الفتاتان اللتان تحرّرتا من الشكوك التي تناولتهما، في الأيّام السابقة.

ظهرًا، حضرت «باربارا» وحدها، أمام شجرة الظهورات، واستوضحتها العذراء: «**أين الأخرى؟**». ولم يكن بوسع «باربارا» الإجابة، فمنذ **٢٥** تمّوز، انقطع كلّ اتّصالٍ بينها وبين «يوستينا».

في تلك الأثناء، كانت «يوستينا» في منزل نجّار القرية المطلّ على فناء الكنيسة، راكعةً، تشارك المصلّين المحتشدين في المقبرة صلاتهم. ومع تخلّفها عن الشخوص إلى موقع الظهورات، ظهرت لها العذراء، في نهاية الصلاة. وأنّبتها برقّةٍ، قائلةً: «**كان عليك أن تكوني هناك**». وربّما كان

تخلُّف «يوستينا» ناجمًا عن خجلها المفرط الذي حال دون تخلّيها عن موعدها مع ذوي نجّار القرية، من أجل التزام موعدها مع العذراء.

مساءً، كانت كلّ رائيةٍ قد كُلّفت بطرح السؤال التالي: «لماذا كثيرون، اليوم، لا يتحرّجون من القسَم الكاذب؟». غير أنّ «يوستينا»، بسبب ضعْف ذاكرتها، طرحت السؤال على نحوٍ مختلفٍ، فسألت: «ما رأيك في الذين يقسمون قسَمًا كاذبًا؟» فأجابتها العذراء: «**هؤلاء لا يستحقّون السماء، لأنّهم يتبعون إبليس الذي يدفعهم إلى الخطيئة**». أمّا «باربارا»، فقد طرحت السؤال بصيغته الصحيحة، وأجابت العذراء: «**قبل نهاية الأزمنة، يجوب إبليس العالم، مثل كلبٍ جائعٍ، لكي يهلك أكبر عددٍ من النفوس**». وقد أقرّ لاهوتيّو لجنة التحقيق، لاحقًا، أنّ عمق الجوابين يتخطّى مدارك الفتاتين.

ثلاثة ظهوراتٍ يوم الأحد ٢٩ تمّوز

كان حشد الحجّاج المتراصّين حول الكنيسة أكبر من المعهود، فاليوم كان يوم عطلةٍ، ورفعُ الحظر عن الحجّ كان يعني تأكيدًا لصحّة الظهورات. وكانت رعيّةٌ مجاورةٌ تحتفل، في ذلك اليوم، بعيد شفيعها، وقد جرت العادة أن توفد كلّ رعيّةٍ ممثّلين عنها للمشاركة والتهنئة، بأزيائهم الفولكلوريّة التقليديّة، وبموسيقاهم الخاصّة. وكان وفد «غيتشڤاود» قد تأهّب، منذ الصباح الباكر، لهذه المهمّة، وقبل انطلاقه التمس بركة كاهن الرعيّة الذي دعا إلى احتفالٍ يلتزم الطابع المسيحيّ، وسرَّي التوبة والإفخارستيّا.

وشاركت الأُمّ السماويّة القوم بهجتهم، وتجلّى عليها الفرح، في ظهوراتها الثلاثة. في ظهور الصباح، دعت الجميع إلى الإصغاء للكاهن، وكان قولها هذا إطراءً للراعي

الغيور، ودعوةً موجّهةً إلى كهنة الرعايا الأُخرى كي يتمثّلوا به.

وبمناسبة ظهور الظهر كلّف الكاهن الرائيتين استطلاع رأي العذراء حول أمرٍ كان يؤرّقه. فمن جرّاء العبء الباهظ الذي أنزله على كاهليه تضخّم حركة الحجّ المتصاعد باستمرارٍ، كان كهنة بعض الرعايا الأخرى يتطوّعون لمساعدته، مخالفين التعاليم الأمنيّة التي تحظر على الكهنة القيام بأيّة خدمةٍ روحيّةٍ خارج حدود رعيّتهم، وتجبر مَن يتلقّون منهم مساعداتٍ على الوشاية بهم، تحت طائلة العقوبة. وقد رحّبت العذراء بخدمات كهنة الرعايا الأُخرى في «غيتشقاود»، وتشجّعَ كاهن الرعيّة على المضيّ قُدُمًا في عزمه عدم الوشاية بالكهنة الغرباء الذين يؤازرونه في خدمة الحجّاج الروحيّة، آخذًا على عاتقه الغرامات النقديّة الباهظة المفروضة على مخالفته التعليمات الأمنيّة، ومحتملاً، من جرّاء ذلك، ضغوطًا نفسيّةً ممضّةً.

لم تُسجّل أيّة ملاحظاتٍ عن ظهورات يوم الثلاثاء ٣١ تمّوز.

ظهورات يوم الأربعاء الأوّل من آب

في ظهوراتها الثلاثة، ذلك اليوم، كانت العذراء باسمةً، باشّةَ الأسارير. وإذ كانت السلطات ناشطةً في اعتقال الأساقفة غير المتعاونين معها، وفي نفيهم، كُلّفت الفتاتان باستفسار العذراء عن المصير المتوقّع لأُسقف الرعيّة. ولكنّ الزائرة السماويّة لم تُحرْ جوابًا. وفي ظهور الظهر سُئلت هل ستستعيد الرعايا الكاثوليكيّة رعاتها الذين حُرمت منهم. واكتفت الأمّ السماويّة بالتحريض على الصلاة الحارّة الحافلة بالإيمان، إذ قالت: «**إذا صلّى المؤمنون بإلحاحٍ، لما تعرّضت الكنيسة لهذا القدر من الاضطهاد، ولاستعادت الرعايا المُيتّمة رعاتها سريعًا**».

وفي المساء ظهرت العذراء مسرورةً، باسمةً.

ظهورات يوم الخميس ٢ آب

وافق ذلك التاريخ الاحتفال بذكرى تأسيس أوّل مركزٍ فرنسيسكانيٍّ، المدعوّ «پورتسيونكولا». وظهرت العذراء متألّقة المجد.

يوم الجمعة ٣ آب

ما برحت العذراء تظهر فرحةً. وفي أحد ظهورات ذلك اليوم لم تلحظ الفتاتان مباركتها للحاضرين، فطالبتاها بها. وأجابت العذراء: «**الآن، أنا أبارككم دائمًا**».

يومي السبت ٤ آب والأحد ٥ آب

سُئلت العذراء عن مصير شابّين مفقودين. فلم تجب عن أحدهما، وطمأنت والدة الآخر بأنّ ابنها على قيد الحياة.

يوم الإثنين ٦ آب

استمرّ المؤمنون والكهنة في طرح أسئلةٍ تتّسم بالسذاجة، وحرصت الأُمّ السماويّة على ألاّ تردّ أيّ طلبٍ نابعٍ من القلب، ومتّسمٍ بالإيمان والبساطة. ولكنّها، في الآن عينه، أبت أن تتحوّل، «مكتب استعلامات»، مؤثرةً الدعوة إلى مزيدٍ من الصلاة، ومزيدٍ من الحرارة.

وفي مساء ذلك اليوم، تلقّى كاهن الرعيّة رسالة عتابٍ من أُسقفه الذي اطّلع، من الصحافة، على الظهورات، وكأنّه «آخر من يعلم». وكان عذر كاهن الرعيّة غياب الأُسقف عن مركزه طيلة تلك الفترة. ولذلك سارع إلى تزويده بيوميّاته التي فصّل فيها كلّ الأحداث منذ ٢٧ حزيران حتّى ذلك اليوم. وهكذا أمسى بين يدي الأسقف ما يستطيع به مواجهة الصحافة، وتكليف لجنةٍ كنسيّةٍ تتولّى دراسة الموضوع بدقّةٍ.

يوم الثلاثاء، ٧ آب

استغرقت الانخطافات وقتًا أطول من المعتاد.

وفي اليوم التالي، ٨ آب، لم تُجب العذراء على أسئلةٍ دافعُها الفضول المحض. أمّا الأسئلة التي تمثّل موضع خلافاتٍ لاهوتيّةٍ، فدعت إلى الاستعاضة عنها بالصلاة الحارّة.

ومن ثمّ، لم يعكّر أيّ سؤالٍ نافلٍ خشوع الصلاة، ورؤى الفتاتين، يوم الخميس، ٩ آب.

ولكنّ الوضع انقلب في اليومين اللاحقين، إذ نشطت قوى الجحيم، في سبيل تشويه الظاهرة، وإِشاعة الريبة بشأنها، وتموّه إِبليس بزيّ العذراء محاولاً إفساد الظاهرة.

إغواءٌ شيطانيٌّ يومي الجمعة ١٠ آب والسبت ١١ آب

فيوم الجمعة، عقب تلاوة مسبحة الظهيرة، قصدت «يوستينا» منزل خيّاطة القرية التي كانت تفصّل لها سترةً. ولكنّها، منذ عبورها عتبة البيت، انتابها تعبٌ مفاجئٌ، فنصحتها الخيّاطة وأُمّها بالاستلقاء على السرير. وفي الحال استحوذ عليها السبات. وفي نومها شعرت بشخصٍ يقبض على ذراعها، وفتحت عينيها، فرأت طيف العذراء محاطةً بستّة توابيت، وقال لها الطيف: «**تعالي إلى هنا، كلّ يومٍ، بعد مسبحة الظهيرة**».

هذا الحلم ألقى الاضطراب في نفس الفتاة، فلجأت إلى رفيقتها وقريبتها «باربارا»، وأنبأتها بما حدث، والتمست منها أن ترافقها، في اليوم التالي، إلى منزل الخيّاطة. وما إن

اجتازتا عتبة بيتها حتّى انتابهما غثيانٌ، ووهنت قواهما، فنصحتهما والدة الخيّاطة بالاستلقاء على السرير. وفي الحال هوت «باربارا» إلى سباتٍ عميقٍ، وما لبثت أن أُوقظت، ورأت وسط رهطٍ من الملائكة، طيفًا يحاكي طيف العذراء، يحوم فوقها. وحينئذٍ سمعت الفتاتان معًا: «**بعد الآن سأظهر لكما هنا. فتعاليا إلى هنا، كلّ يومٍ، حتّى إن حُظِر عليكما ذلك رسميًّا...**».

أفاقت الفتاتان من ذهولهما، وقد أخذ بهما الهلع والاضطراب كلّ مأخذٍ، فهرعتا إلى الكاهن، واعترفتا له بكلّ شيءٍ. فأنّبهما لإحجامهما عن العودة مباشرةً إلى البيت، بعد تلاوة المسبحة، كما أَلِفتا، ومنعهما، بحزمٍ، من العودة إلى منزل الخيّاطة، رغم تعليمات السيّدة المزعومة، ودعاهما إلى استيضاح العذراء، في أثناء ظهورها المسائيّ. وقد أكّدت لهما العذراء واجب إطاعة الكاهن. واستعادتا السلام المفقود.

وجديرٌ بالتنويه أنّ الظهور الشيطانيّ كان معتمًا ومريعًا، في

حين كان ظهور العذراء، ذلك المساء، محاقًا بنورٍ ساطعٍ، وبكلّ مظاهر المجد.

يوم الأحد ١٢ آب

كان كاهن الرعيّة قد ضاق ذرعًا بانتشار السّكر في رعيّته، حيث يتوهّم الفقراء إِغراق فقرهم في خَبَل الكحول. فالتمس من العذراء التدخّل لدرء هذه الآفة. واستجابت أمّ الله لملتمسه، في أثناء ظهورها، إِذ بدأت بنفث آهة حزنٍ، ثمّ أطلقت تحذيرًا مخيفًا: «**سيعاقب السّكارى!**». تحذيرٌ هزّ أركان حانات القرية. درسٌ مغرقٌ في الإيجاز، ولكنّه فائق الفعّاليّة، وسرعان ما أتى نتائج مدهشةً، إذ تأسّست، في كلّ أرجاء المنطقة، جمعيّاتٌ لمكافحة الكحول، وتراجعت آفة السّكر.

وفي ظهورٍ آخر، في ذلك النهار عينه، التمس الكاهن من العذراء تبريك نبعة الماء التي تفيض على مسافة **٣٠٠** متر من الكنيسة، آملاً، من وراء ذلك، اجتذاب المؤمنين إلى الكنيسة للصلاة، وأجابت: «**سيُبارك النبع لاحقًا**».

يوم الإثنين ١٣ آب

في ذلك اليوم تلقّى كاهن الرعيّة من أُسقفه إِذنًا بتبريك المصلّى الذي شُيِّد، بناءً على طلب العذراء، بجوار الكنيسة، وعلى مقربةٍ من شجرة الظهورات. وقد تمّ تبريك المصلّى، والنبع، وتمثال العذراء معًا، يوم ١٦ أيلول ١٨٧٧.

أمّا في أثناء ظهورات ذلك اليوم، فقد طُرحت على العذراء أسئلةٌ تتعلّق بأشخاصٍ غائبين أو يواجهون مآزق. وقد شدّدت الأمّ السماويّة، من خلال أجوبتها، على دعوتها الملحّة إلى الإيمان والصلاة.

وهكذا فعلت، يوم الثلاثاء، ١٤ آب، إذ انتهزت الأسئلة المتعلّقة بأَمواتٍ وأحياءٍ غير مؤمنين، للتشديد على واجب الإمعان في الصلاة.

يوم الأربعاء، ١٥ آب

في يوم عيد انتقالها إلى السماء، بدت أُمّ اللّه، في أثناء ظهوراتها الثلاثة، تضجّ فرحًا، وقد لفّتها هالة نورٍ أشدّ سطوعًا من أيّ يومٍ آخر، وأحاطت بها أجواقٌ من الملائكة. وقد تقاطر الفلاّحون الذين حرّرهم العيد من عنائهم اليوميّ، لمشاركة الرائيتين صلاتهما، ولتكليفهما بتقديم ملتمساتهم إلى الزائرة السماويّة. وتكرّمت العذراء فاستجابت للجميع، ولكنّها أكّدت على ضرورة تقديم قداديس عن نيّة الأموات، وعلى الصلاة العائليّة، بحيث تصبح البيوت كنائس منزليّة، يشترك فيها حتّى الصغار، بتلاوة المسبحة، فهي سهلة الحفظ.

يوم الخميس، ١٦ آب

ردّت العذراء على طائفةٍ من الأسئلة التي كانت تؤرّق كاهن الرعيّة، وأكّدت أنّ ما حدث للرائيتين، في منزل الخيّاطة، كان «عمل الشرّير».

وعادت فأكّدت، يوم الجمعة ١٧ آب، أنّ كلّ الرؤى المزعومة، التي تحدث خارج الكنيسة، في أثناء تلاوة المسبحة، هي من عمل إبليس. بعد أن افتضح أمره، عمد إبليس إلى إشاعة أنباء أشفيةٍ كاذبةٍ، بغية زرع الريبة في الظاهرة. وكان كاهن الرعيّة يلجأ، دائمًا، إلى حكم العذراء، سبيلاً إلى الإفلات من شباك الخدّاع.

يوم السبت، ١٨ آب

عيّن الأُسقف لجنة تحقيقٍ في أحداث «غيتشـقاود» على أن تقدّم تقريرها النهائيّ في غضون شهر. وفي هذه الأثناء تواصلت ظهورات العذراء، واستمرّ طرح الأسئلة عليها. وقد تضمّنت جميع أجوبتها دعوةً إلى الإمعان في الصلاة، والمواظبة عليها، والحضّ على التضحية والتوبة والتكفير.

يوم الأحد، ١٩ آب

نتائج تدخّل العذراء الفعّال، من أجل مكافحة السكر، حفّزت كاهن الرعيّة على التماس تدخّلها من أجل مكافحة الفسق والانفلات الجنسيّ. وكلّف «باربارا» بطلب أزر العذراء، بهذا الشأن، فاستجابت، وأعلنت بصوتٍ جهوريٍّ: «**سيعاقب الفاسقون**». وكان قولها هذا تأكيدًا لقول الرسول بولس: «لا العاهرون، ولا عبدة الأوثان، ولا الزناة، ولا المتخنّثون، ولا مضاجعو الذكور... يرثون ملكوت اللّه» (كورنثس ٦: ٩).

يوم الإثنين، ٢٠ آب

في ذلك اليوم بدأت السنة الدراسيّة الجديدة، وطُرحت قضيّة توفيق مواعيد الصلوات مع مواعيد الدروس. واقترحت «يوستينا» أن يلتئم الأولاد، باكرًا، أمام شجرة الظهورات لتلاوة المسبحة، ثم يحضرون القدّاس، وينتقلون إلى المدرسة. ولكنّ الرائية كانت حريصةً على أن يحظى هذا البرنامج بموافقة العذراء، التي اعترضت مؤكّدةً وجوب البدء بالقدّاس، فهو أجلّ شأنًا من المسبحة ومن المدرسة. وبذلك أعطت درسًا في الأولويّات، مقدِّمةً العبادة على العلم.

ومن خلال إجاباتها على سائر الأسئلة التي تناولت حالاتٍ فرديّةً، وقضايا عمليّةً، أظهرت أُمّ الله معايشتها لهواجس أبنائها، وتعاطفها مع همومهم، وحدّثتهم بلغتهم البولونيّة التي كان الاحتلال البروسيّ يجهد في منعهم من تداولها.

وبصفتها معلّمةً شدّدت على الدعوة إلى الصلاة، التي توثّق العلاقة بالله، وإلى الصلاة من أجل الآخَرين، عملاً بوصيّة المحبّة، الملازمة لحبّ الله.

تحقيقٌ كنسيٌّ

كما أسلفنا، كان الأُسقف غائبًا عندما بدأت الظهورات، ومنذ عودته فوجئ بأَصداء هذه الظهورات المدوّية في الصحافة الألمانيّة. فطالب كاهن رعيّة «غيتشڤاود» بتقريرٍ مفصّلٍ، وسارع الكاهن إلى تزويده بيوميّاته عن تلك الفترة بين ٢٧ حزيران و٧ آب. وفي الحال أوفد الأُسقف كاهنًا صحافيًّا إلى مسرح الحدث، وقد تأثّر هذا الموفد بالجوّ الذي خلقه سلوك الرائيتين، وتقوى الحجّاج والمصلّين، وغيرة كاهن الرعيّة وجدّه، فاقترح تأليف لجنةٍ كنسيّةٍ تتقصّى الأمور عن كثبٍ، وتصدر تقريرًا موثّقًا. وأُلِّفت هذه اللجنة في ١٨ آب، وباشرت عملها في الحال.

وكلّف الأُسقف، أيضًا، بالمهمّة عينها، لاهوتيًّا متمرّسًا، تردّد في قبول هذا التكليف، بسبب تحفّظه حيال الظواهر

فائقة الطبيعة. غير أنّه وصل إلى «غيتشـڤاود» يوم **٢١** آب، وشهد الانخطاف المسائيّ، وفي الغداة شهد الانخطافات الثلاثة، ثمّ شهد انخطاف صباح يوم **٢٣** آب. وفي **٢٥** آب سلّم تقريرًا أوجزه بقوله: «وصلت مرتابًا، وأعود مقتنعًا أنّ الحدث فائق الطبيعة».

وحرص الأُسقف على تدعيم يقينه برأي لاهوتيٍّ آخر، كلّفه بإجراء تحقيقٍ شخصيٍّ مستقلٍّ. وقد وصل هذا اللاهوتيّ إلى «غيتشـڤاود» في **٣١** آب، وتلبّث فيها حتّى **٩** أيلول، أي حتّى غداة الظهور الأخير. وفي هذه الأثناء قطع الأُسقف نفسه جولةً رعويّةً، وحضر يوم **٤** أيلول، وشاهد انخطاف ذلك المساء، فراقب الرائيتين، واستجوبهما بعد الظهور، واستطلع آراء الشهود. وإمعانًا في التحقّق كلّف طبيبين كاثوليكيّين، وطبيبًا بروتستانتيًّا، بإجراء تحقيقٍ طبّيٍّ. وفي الغداة شاهد انخطاف الصباح، قبل أن يعود إلى مركزه، حاملاً انطباعًا إيجابيًّا، ناجمًا عن كلّ ما رأى وسمع.

وواصلت العذراء ظهوراتها، تاركةً لخدّامها مواصلة القيام بواجباتهم.

يوم الأربعاء ٢٢ آب

طلب محقّقٌ مكلّفٌ من قبل الأُسقف أن تُحفظ مسافة مئة قدمٍ بين الرائيتين، لكيلا يكون أيّ تأثيرٍ من إحداهما على الأُخرى، والكفّ عن استخدام جرسٍ كان ولدٌ يقرعه عند بدء الانخطاف، لكيلا يؤثّر على مخيّلات الحضور.

وأمر ذلك المحقّق الرائيتين بدعوة سيّدة الظهور إلى الكشف عن قدميها، نفيًا لأيّ احتمال خداعٍ شيطانيٍّ، فقد كانت الأساطير تصوّر إبليس بشكل مسخٍ مخيفٍ، وابتغى المحقّق التأكّد من امتلاك الطيف شكلاً سويًّا. وبدأت العذراء بالابتسام، تعبيرًا عن استسخافها هذا الطلب، ولكنّها استجابت له، قائلةً بشيءٍ من نفاد الصبر: «**حان لكم أن تؤمنوا، فأنا هي، حقًّا**».

ومضى المحقّق إيغالاً في تماديه، فكلّف كلاًّ من الرائيتين،

أن تطرح على السيّدة، لدى ظهورها، ظهرًا، ثلاثة أسئلةٍ: «هل ظهرت، هذا الصباح، بهذه الطريقة عينها، لأشخاصٍ آخرين؟ ماذا قلتِ لهم؟ ما هو موعد آخر ظهور لك؟».

هذه الأسئلة شوّشت ذهن الفتاتين، ولم تَرُق للزائرة السماويّة، فلم تتلقّ «باربارا» أيّ جوابٍ، أمّا «يوستينا» فقد نسيت السؤالين الأوّلين، وعلى السؤال الثالث، أُجيبت: «**سيكون ظهوري الأخير، يوم عيد مولدي، يوم السبت، في الساعة التاسعة مساء**»، أي في الثامن من أيلول.

أظهر هذا الجواب، جليًّا، أنّ الزائرة السماويّة هي أمّ اللّه، مريم. بيد أنّ المحقّق مضى قُدُمًا في تماديه، فكلّف كلاًّ من الفتاتين بسؤال السيّدة، ثانيةً، في أثناء ظهورها المسائيّ، هل هي ظهرت لشخصٍ آخر وماذا قالت له، ولمَ هي تظهر لكلٍّ منهما بشكلٍ مختلفٍ. نسيت «باربارا» السؤالين الأوّلين، أمّا عن السؤال الثالث، فقد تلقّت الجواب التالي: «**على كلّ واحدةٍ أن ترضى بما ترى. وينبغي ألاّ تكون التباينات مبعث قلق**». **أمّا** «**يوستينا**» **فلم تظفر بأيّ جوابٍ عن**

السؤالين الأوّل والثاني؛ أمّا عن السؤال الثالث، فقد تلقّت هذه الإجابة التي قد تبدو غريبةً: «لكي يتعاظم الإيمان!».

ويبدو أنّ العذراء ابتغت تذكير المحقّق بأنّ أمور اللّه بسيطةٌ لا تعقيد فيها، حيث «نعم» تعني «نعم»، وأنّ سُبُله تختلف عن سُبُلنا، فلا يسوغ أن نُكرِهَه على انتهاج أساليبنا في التفكير والعمل. هكذا كان الربّ يجيب الفرّيسيّين الذين يطالبونه بآياتٍ أنّه لن يريهم سوى آية يونان، فعلى الإنسان أن ينشد اللّه حيث هو يتجلّى، لا حيث يرغب الإنسان في رؤيته.

ومن جرّاء التباسٍ حصل، بسبب تباين إفادتي الفتاتين حول موعد انتهاء الظهورات، إذ اتّفقتا، كلتاهما، على القول إنّه يوم عيد مولد العذراء، الذي حدّدته «يوستينا» بيوم السبت، في حين خُيِّل إلى «باربارا» أنّ كلّ عيدٍ يُحتَفَل به يوم الأحد، فقالت إنّه عيد العذراء، يوم الأحد. وبُغية تبديد هذا الالتباس، طلب المحقّق من الفتاتين التماس تفسيرٍ لهذا

التباين، وكان جواب العذراء لباربارا: «**لم تفهمي جيّدًا. أنا قلت في عيد ذكرى مولدي، يوم السبت. فعليك أن تكوني أشدّ انتباهًا**». وليوستينا أكّدت: «**لقد كان جوابك صحيحًا، أمّا باربارا فلم تنتبه**».

وفي ظهورها المسائيّ أكّدت العذراء أنّ كلّ ادّعاء رؤيةٍ، خارج مكان تلاوة المسبحة الجماعيّة، هو غير صحيحٍ.

يوم الجمعة ٢٤ آب

غادر المحقّق، واستعادت الأسئلة المطروحة على الزائرة السماويّة بساطتها. وبقيت الفتاتان الرائيتان مفصولتين إحداهما عن الأخرى، وقد تولّى استضافة كلٍّ منهما وجيهٌ في قريتين مختلفتين. وعادت أمّ اللّه تؤكّد تعذّر الظفر بشفاءٍ أو بأيٍّ مطلبٍ آخر إلاّ بالصلاة الحارّة المتواصلة. لقد حرصت العذراء على تأكيد واجب الصلاة، كي ترسّخه في الأذهان والنوايا.

في **٢٩** آب، عاد كاهن الرعيّة يطرح أسئلةً حول مواضيع تؤرّقه. وكانت العذراء تجيب بواقعيّةٍ وبساطةٍ، وبصوَرٍ مؤثّرةٍ. فمثلاً على سؤالٍ حول القَسَم الكاذب، قالت: «**وحانثو اليمين، والنّمامون هم جلاّدو نفوسِهم**»، وكانت قد وصفت الخاطئ بكونه «**جلاّد ذاته**».

وفي ذلك اليوم عينه عيّن الأسقف لاهوتيًّا پولونيًّا متمرّسًا، مفوّضًا أسقفيًّا، وقد وصل هذا اللاهوتيّ إلى «غيتشـڤاود» يوم ٣١ آب على أن يمكث فيها عشرة أيّامٍ. وقد وجد فيه كاهن الرعيّة عونًا رعويًّا، ومشورةً نيّرةً، أثلجا صدره.

يوم الخميس ٣٠ آب، حاول كاهنٌ عابر سبيل، امتحان العذراء، فأوعز إلى الرائيتين الاستيضاح عن أمرين كان يضمرها في سريرته، وأبى الإفصاح عنهما، يتعلّقان بمصداقيّة الظهورات، وبأهليّة الرائيتين للتصديق. كانت الغطرسة طاغيةً على موقفه، وربّما كان يخفي نوايا خبيثةً. ومن ثمّ، تجاهلت العذراء أسئلته في ظهوري الظهر والمساء.

هنا توقّفت يوميّات كاهن الرعيّة التي دوّنت، بدقّةٍ وصراحةٍ، كلّ ما حدث خلال ٦٥ يومًا (من ٦/٢٧ حتّى ١٨٧٧/٨/٣٠). ولم يتحرّج من تسجيل كلّ ما كان يعتورِ الحدث من رائعٍ ومن ملتبسٍ.

ومنذ الأوّل من أيلول تولّى الأب «هيلپير» (HILPER) الإشراف على الظهورات، وإعداد الأسئلة، وتنظيم محاضر

الظهورات. وقد تناول سؤاله الأوّل كاهن الرعيّة، فسئلت العذراء عمّا تبتغي منه، وأجابت: «**أن يستمرّ، بلا هدنةٍ ولا ملَلٍ، في إيلائي ثقته في صلواته. لقد دأبتُ على حمايته، وسأظلّ أحميه حتّى النهاية**». هذا العطف الذي عبّرت عنه أمّ الله، حيال خادمها المرهق، كان دعمًا لروحانيّته، ووعدًا بانتصاره، في نهاية المطاف.

واستمرّت الأسئلة البسيطة التي يوحي بها الإيمان والمحبّة. وكانت الأمّ السماويّة تتنازل فتجيب عليها، وتنتهز، غالبًا، كلّ سانحةٍ كي تحرّض على المشاركة في الذبيحة الإلهيّة، وتقديمها من أجل المتوفّين، أو فاقدي الإيمان. فهي الوسيلة المثلى لجمع المسيحيّين حول فاديهم.

يوم الخميس، ٦ أيلول، خضعت الرائيتان لفحوصٍ طبّيّةٍ، أثبتت سلامتهما، جسديًّا وعقليًّا.

ويوم الجمعة ٧ أيلول، بما أنّ العديد من الكهنة استخفّوا بالظهورات، ولم يتحمّسوا للدعوة إلى تلاوة المسبحة عائليًّا، فقد سُئلت، العذراء عمّا تبتغي من كهنة الرعايا، فأجابت:

«**أن يصلّوا بحرارةٍ، فأكون، دائمًا، إلى جانبهم**». فقد كان العديدون من الكهنة الكاثوليكيّين، المتأثّرين بالجوّ البروتستانتيّ الطاغي، يشنّون حربًا على الظاهرة، كأنّهم بذلك، يؤدّون واجبًا مقدّسًا.

وداع العذراء: السبت ٨ أيلول

في الثامن من أيلول، تحتفل الكنيسة بعيد مولد العذراء، وتحتفل رعيّة «غيتشـڤاود» بعيد شفيعتها. وحلّ الثامن من أيلول، في تلك السنة، يوم سبتٍ، وسبق للعذراء أن أعلنت عن ظهورها الأخير، بذلك التاريخ. وقد ذاع الخبر، فتقاطر المؤمنون من كلّ الجوار، كي يشاركوا في وداع صديقتهم وأمّهم السماويّة. واحتشد في تلك القرية التي لا يتعدّى عدد سكّانها خمس مئة نسَمةٍ، أكثر من خمسين ألف حاجٍّ، ومكثوا النهار كلّه، متخشّعين، يتلون مسابح الصباح والظهر والمساء، أمام الشجرة التي اتّخذت منها ملكة السماء عرشًا. وقد ذهل معظمهم عن الأكل والشرب.

وكانت العذراء، في ظهورها، تضجّ فرحًا، وترفل جمالاً متألّقًا، تواكبها جوقة ملائكةٍ يهتفون لها. في السماء عيدٌ،

وفي قلب الرائيتين غصّةٌ، كلّما جالت في خاطرهما فكرة أنّهما لن تريا السيّدة الجميلة بعد ذلك اليوم. وقد حرصت العذراء على تعزيتهما بقولها: «**لا تحزنا، سأكون دائمًا معكما**».

وفي ظهورها، ظُهرَ ذلك اليوم، كافأت العذراء غيرة كاهن الرعيّة، ولبّت له مطلبًا طالما كرّره بإلحاحٍ ومواظبةٍ، وهو تبريك نبعة الماء، لعلّها تصبح مقصد حجٍّ وصلاةٍ. حتَّئذٍ، كانت العذراء ترجئ هذا التبريك إلى وقتٍ لاحقٍ. وهذا الوقت أزف في ذلك اليوم، وقد ضربت أمّ الله موعدًا لتحقيقه في الساعة السابعة مساءً.

وعندما حان ذلك الموعد توجّه – خلسةً لمنع الازدحام – إلى موقع النبعة التي تبعد نحو ثلاث مئة مترٍ عن الكنيسة، موكبٌ من خمسين شخصًا مؤلّفٌ من ثلاثةٍ وعشرين كاهنًا، والرائيتين، وثلّةٍ من المؤمنين المختارين، وهم يصدحون بالأناشيد. وبغتةً انحنت الرائيتان، وركعتا معًا، في لحظةٍ واحدةٍ، إشعارًا ببدء انخطافهما. وبعد دقائق، نهضتا ورسمتا

إشارة الصليب، إذ انتهى الانخطاف، وفرغت العذراء من تبريك النبعة، فأنشد الجميع «تعظيمة العذراء» تعبيرًا عن شكرهم وامتنانهم. وقد أفادت الرائيتان، لاحقًا، أنّ العذراء ظهرت على علوّ نحو ثلاثة أمتارٍ فوق النبعة، وباركتها باليد اليمنى، كما يفعل الكهنة على الهيكل، ثمّ باركت الحضور، وتوارت. وعندما همّت الفتيات بارتشاف الماء المقدّس، سمعنَها تقول: «**الآن موعدي معكم في فناء الكنيسة**».

من أسفل التلّة، عند النبعة، تجلّت فخامة المشهد، فالسفح كلّه يتلألأ بأضواء الشموع المشتعلة، والكنيسة تبدو سفينةً تموج في بحرٍ من الأنوار، ولهب الشموع يتمايل مع حركة النسيم. وبغتةً تحوّل النسيم إلى عاصفةٍ هوجاء، أطفأت الشموع، أمّا الشعلات التي قاومت فأغرقها مطرٌ مدرارٌ. ثمّ، بغتةً هدأت العاصفة، والتمعت هنا وهناك، بعض مصابيح، فتمكّنت الرائيتان من احتلال مكانيهما المعتادين، حول شجرة الظهورات، استعدادًا لمسبحة المساء، التي كانت جوقتان تابعتان للمدرسة تتناوبان على تلاوتها، ويشاركهم الجمهور، بصمتٍ وخشوعٍ. وعند الشروع بتلاوة البيت الثاني

من المسبحة، ركعت الرائيتان معًا، في لحظةٍ واحدةٍ، مع أنّهما كانتا بعيدتين إحداهما عن الأخرى، ولا ترى إحداهما الأُخرى. وأدرك الجمع الذي تحدّى المطر، ووقف ثابتًا، شجاعًا، أنّ أمّ الله حضرت، وساد تأثّرٌ عميقٌ. وعندما انتهت تلاوة البيت الثالث، رسمت الرائيتان، ثانيةً، إشارة صليبٍ، إشعارًا بانتهاء الانخطاف، وببركة العذراء للحضور الذي استجاب بإشارة صليبٍ، أيضًا، وواصل الصلاة.

هيجان الجحيم

ما إِن باركت العذراء الجمهور، حتّى هاجت الجحيم. كان المؤمنون المحتشدون ما برحوا يتلون المسبحة، عندما دوّت، في فناء الكنيسة، ضوضاء تصمّ الآذان، ومزّقت الأجواء شتائم مريعةٌ مجهولة المصدر، وسُمع زئير أسودٍ قريبةٍ، وصياح ممسوسين مسًّا شيطانيًّا، وصليل سيوفٍ، وحشرجة محتضرين، وخفقات أجنحةٍ حادّةٌ من أسرابٍ كثيرةٍ تنطلق في آنٍ واحدٍ، ودوّت المقبرة، وكلّ جوار الكنيسة، بصفير زوابع، وأنّاتٍ مريعةٍ. وإلى ذلك، شاعت رؤًى مخيفةٌ، فقد تطايرت فوق الرؤوس، في كلّ اتّجاهٍ، كتل نارٍ، وانطلقت من شجرة الظهورات، شراراتٌ ملتهبةٌ نحو سطح الكنيسة، وارتدّت منه صوب الجمع، وهوت على القرية. وانتشرت أشكالٌ شوهاء، داعيةً الجميع إلى الفرار.

وقد واجهت هياجَ الجحيم ذاك صلاةٌ تفجّرت، تلقائيًّا، من الصدور هاتفةً: «يا أمّ اللّه نجّينا»، وجهرت الأصوات بصلوات المسبحة، جاهدةً في خنق صخب الشرّير.

استمرّ هذا الهياج حتّى انتهاء الصلوات، مستغرقًا خمس دقائق بدت دهرًا. ثمّ سكن، بغتةً، مثلما بدأ، غارقًا في الأناشيد الموجّهة إلى ملكة السماء، وقد صدحت بها الحناجر جهارًا، باللغة البولونيّة، وكأنّها نشيد انتصارٍ على قوى الشرّ والعداوة. ولحسن الطالع، لم يعترِ الجمهور الكثيف، أيّ هلَعٍ كان من شأنه أن يؤدّي إلى نتائج كارثيّةٍ.

بيد أنّ الشرّير لم يستسلم، فبعد الساعة العاشرة، شرع الحشد ينفرط، فقصد كثيرون محطّة القطار، في قريةٍ مجاورةٍ، عائدين إلى بيوتهم، والذين لم تتسنَّ لهم العودة، في ذلك الليل، تدبّروا أمورهم بما تيسّر. فغُصّت الكنيسة بمن وجدوا فيها مقعدًا للنوم أو للصلاة، واستضاف الكاهن بقدر ما اتّسعت دار الرعيّة للضيافة، واستقبل أهل القرية في بيوتهم، وأهرائهم، ومستودعاتهم، وإسطبلاتهم، ما

استطاعوا استقباله. وقبع كثيرون في زوايا ظليلةٍ، أو في العراء. وعند منتصف الليل، ارتعد من كانوا ما زالوا مستيقظين لدى سماعهم ضجيج تقصّفٍ مريعٍ، عندما كُسرَ الغصن الرئيس من شجرة الظهورات، ولم يُدرَك لكسره سببٌ، في حين ثبت غُصنٌ آخر يابسٌ كان بجواره. وقد أدّى كسره إلى لَيّ صليبٍ حديديٍّ كان يعلو مزارًا قريبًا، وإلى تهشيم واجهة ذلك المزار، وإلى تحطّم قطع قرميدٍ هوت على الأرض، محدثةً ضجّةً مدوّيةً، حيث، لدقائق خلت، كان المكان غاصًّا بالمصلّين. لقد فشل الشرّير في تدمير الظاهرة، فانتقم من العرش الوضيع الذي اتّخذته العذراء موطئًا لظهوراتها. ولكن لم يُسمح له بأذيّة أحدٍ من المؤمنين.

الأحد ٩ أيلول: الظهور المئة والسبعون

انقصاف غصن الشجرة، وذكرى الظهورات التي حفرت أثرًا بليغًا في النفوس، دفعا الرائيتين للمجيء، وتلاوة المسبحة، وشكر الربّ على ما أسبغه من نعمٍ. كانت العذراء قد أنذرتهما أنّ ظهورها، يوم عيد ميلادها، سيكون ظهورها الأخير، ولكنّ السيّدة الجميلة فاجأتهما، في ذلك الصباح، بظهورٍ آخر غير متوقّعٍ. كانت واقفةً، وكأنّها تدوس بقدميها رأس أفعى الشرّ، وبادرت بالقول: «**تعالوا إلى هنا دائمًا**»، ولكأنّ قولها دعوةٌ إلى جعل ذلك المكان مطرحَ حجٍّ عالميًّا. وفاض قلب كاهن الرعيّة فرحًا وامتنانًا، فالعذراء ظهرت في رعيّته مثلما ظهرت في لورد، معرّفةً ذاتها بالاسم عينه، سيّدة «الحبل بلا دنسٍ»، وباركت نبع ماءٍ سيصبح نبعَ نِعَمٍ وأشفيةٍ. وحوّلت رعيّته محجًّا.

أمّا الغُصن المقصوف، فقد تخاطف المؤمنون أجزاءً دقيقةً منه، اتّخذوا منها ذخائر، وذكرياتٍ ثمينةً.

كيف تحدث الانخطافات

هي، عمومًا، تحدث اعتبارًا من بيت المسبحة الثاني أو الثالث، وتدوم بين عشر دقائق واثنتي عشرة دقيقةً، فيما تكون الرائيتان تصلّيان راكعتين... وعندئذٍ، تنقطعان عن العالم الخارجيّ الذي يصبح ظلامًا دامسًا، وتفقدان كلّ شعورٍ بمحيطهما. عندما يحدث الظهور تسجدان سجودًا سحيقًا، بحيث يلامس رأساهما الحضيض، وتظلاّن، برهةً، على هذه الحال، ثمّ تستقيمان ويعتريهما الانخطاف بفارق ثلاثين ثانيةً، مع أنّ إحداهما لا ترى الأُخرى، ولا تتّصل بها. وحينئذٍ، يتوقّف انزلاق حبّات المسبحة بين أناملهما، وتكفّ شفاههما عن الحركة، وتشخص عيونهما بعنادٍ إلى الشجرة التي تظهر لهما عليها السيّدة العذراء.

في أثناء انخطافهما، تتجمّد أنظارهما، وتشخص جفونهما

إلى الأعلى، في موقف صلاةٍ وتوسّلٍ، فيما تبقى ملامح المحيّا عاديّةً، ولا يفقد الجسم شيئًا من ليونته، ولا يتشنّج، بيدَ أنّ حرارته تنخفض انخفاضًا طفيفًا، ويكاد يتلاشى كلّ إحساسٍ. فلا يُحدث الضغط على الأعضاء، أو أيّة حركةٍ عنيفةٍ أمام العينين، أيّ ردّ فعلٍ. وتكفّ الفتاتان عن تلاوة المسبحة. غير أنّهما، لدى سماعهما عبارة «المجد للآب والابن والروح القدس» ترسمان على ذاتهما إشارة الصليب. ثمّ، عند انتهاء الانخطاف تستأنفان تلاوة المسبحة، حيث يكون الآخرون قد وصلوا.

ويُختَتم الظهور بمباركة العذراء للجمهور، بيدها اليمنى، مثلما يبارك الكاهن. وحينئذٍ تنحني الرائيتان انحناءً سحيقًا، ويحذو حذوَهما جميع الحاضرين. فيبدو المكان وكأنّه حقل قمحٍ أمالت سنابلَه هبّةُ نسيمٍ قويةٌ. ثمّ تُستأنف أدعيةٌ مختلفةٌ، موجّهةٌ إلى يسوع والعذراء.

وقد أفادت الرائيتان أنّ الخوف انتابهما، لدى ظهور العذراء الأوّل، ولكن سرعان ما حلّ محلّه الفرح. ومنذئذٍ دأبتا على حضور القدّاس، وعلى الصلوات اليوميّة. لقد كانتا

سعيدتين بما حدث لهما، مع أنّهما لم تلتمسا حدوثه، قطّ، ولم تدركا له معنًى.

وكان أحد المحقّقين قد طلب منهما تأمّل قسمات العذراء عن كثبٍ، ووصفها له، بعدئذٍ. وقد تقاطعت معظم أوصافهما، ما خلا تبايناتٍ ضئيلةً، ناتجةً عن اختلاف طباعهما ووضعهما النفسيّ. وقد اتّفقتا، كلتاهما، على أنّ السيّدة متوسّطة القامة، تضجّ حيويّةً، تجلس على مقعدٍ جاثمٍ بين ثلاثة أغصانٍ كبيرةٍ، ولكنّها، مع ذلك، تبدو معلّقةً في الهواء. يزيّن رأسها شعرٌ أشقر طويلٌ، يتدلّى جزءٌ منه على ظهرها، وجزءٌ آخر على صدرها، حتّى ركبتها. لا تزيّن عنقها أيّة حليةٍ. ثوبها المتألّق بنصاعة بياضه ينحدر من عنقها، ويغطّي قدميها الحافيتين، ويشدّ خصرها زنّارٌ رقيقٌ مصنوعٌ من قماش الثوب عينه... يداها تستقرّان على ركبتيها، وهي، عندما تبارك بيدها اليمنى، تظلّ يدها اليسرى مستقرّةً على ركبتها اليسرى. من كلّ شخصها يشعّ نورٌ باهرٌ ناصعٌ كالثلج. ويحيق بها غمامٌ متألّقٌ، وتنبعث من عنقها، ومن يديها، ومن قدميها، أشعّةٌ ساطعةٌ صوب الأرض.

مصير الرائيتين

كانت ملاحقة رجال الأمن لكاهن الرعيّة قد سرّبت الهلع إلى نفس الرائيتين. فظهرت لهما العذراء كي تسكّن روعهما. واستوضحتاها: «هل سنُسجن؟»، فأجابت العذراء ببسمةٍ مطمئنةٍ.

واستشارتاها بشأن مستقبلهما، متسائلتين هل عليهما انتهاج الرهبنة مصيرًا، فنصحتهما بذلك، فاسحةً لهما حرّيّة الطريقة. وقد استحسن الكاهن هذه المسيرة التي تقيهما من إزعاج الفضوليّين، ومن ملاحقات رجال الأمن، ووجّههما نحو راهبات المحبّة، حيث انتسبتا بصفة طالبتين عام ١٨٧٨، ثمّ بصفة مبتدئتين، بعد بلوغهما التاسعة عشرة من العمر. وقد سارع رجال الأمن إلى الترخيص لهما بتغيير عنوان إقامتهما، أملاً في أن يُغرق حبس الدير قضيّة الظهورات في طوايا النسيان.

تمثال سيّدة «غيتشـڤاود»

كان كاهن الرعيّة قد كلّف فنّانًا من برلين بصنع تمثالٍ للسيّدة التي ظهرت في رعيّته، على أن يتمّ تسليمه قبل الثامن من أيلول، بحيث يُبارَك ويُنصَّب في ذلك اليوم الموافق لعيد الرعيّة. وقد وفى الفنّان بوعده، غير أنّ الجمارك الألمانيّة تلكّأت في منح إذن العبور، فلم يبلغ التمثال غايته إلاّ يوم الأربعاء ١٢ أيلول.

ومنذ فتح الصندوق الذي كان يحتويه غزا جمالُ التمثال قلوب أبناء الرعيّة. كان بالحجم الطبيعيّ. رأس العذراء فيه مكشوفٌ، وذراعاها مبسوطتان، ممدودتان إلى أسفل، كما هي ممثّلةٌ في الإيقونة العجائبيّة. تتلفّع بمعطفٍ سماويّ اللون، يسفر عن ثوبٍ ناصع البياض يشدّه زنّارٌ سماويٌّ عريضٌ. قدمها اليمنى تدوس رأس أفعى ملتفّةٍ حول التمثال، وكأنّها

تتجنّب اللعنة. منظر رأس إبليس المداس أسال الطمأنينة في نفوس المؤمنين، الذين ما زالوا تحت تأثير محاولات الشرّير التي أشاعت الرعب والأذى، قبل ثلاثة أيّامٍ.

منظر التمثال كان يعبّر عن حبّ الأمّ وعطفها، ويشيع الثقة، فأنظارها تترقرق حنانًا، وذراعاها المبسوطتان ترحّبان بكلّ لاجئٍ، ومتأهّبتان لعون كلّ بائسٍ.

بالإجمال، كان التمثال محطّ إعجاب جميع أبناء الرعيّة، ما عدا الفتاتين الرائيتين اللتين، ما إن فرغتا من دروس الصباح، حتّى جرتا إلى الكنيسة لمشاهدة التحفة التي يتحدّث عنها الجميع. ولكنّهما أُصيبتا بخيبةٍ ذريعةٍ، بعد أن قارنتا التمثال الذي صنعه مثّالٌ شهيرٌ، وجمال السيّدة التي شاهدته عيونهما، فانفجرتا بالبكاء مردّدتين قول: «يا لبشاعته!». هكذا كان ردّ فعل «بيرناديت»، رائية لورد، عندما شاهدت التمثال الذي أنجزه فنّانٌ شهيرٌ، وهكذا فعلت «ميلاني»، رائية «لاساليت»، عندما وقع نظرها على التمثال الذي صمّمه الأُسقف، غير أنّ الأُمّ العطوف، معزّية

الحزانى، سارعت إلى تعزية الفتاتين، فعند شروعهما بتلاوة بيت المسبحة الثالث، ظهرت لهما، فأشرق وجهاهما، وانتابهما انخطافٌ دام حتّى نهاية المسبحة، وقد كفكفت العذراء دموعهما، بتأكيدها رضاها عن التمثال الذي وصفته **بالجيّد**، في حين كانتا تتمنّيانه **جميلاً**. ومع ذلك بدّدت حلاوةُ ظهورها مرارةَ خيبتهما.

ولكي ترسّخ العزاء في قلبيهما، عادت فظهرت لهما ظهر يوم ١٣ أيلول وصباح يوم ١٤ أيلول. ولم يكن كاهن الرعيّة قد كلّفهما بطرح أيّ سؤالٍ، إذ لم يتوقّع ظهورها، فضلاً عن انهماكه بملاحقاتٍ أمنيّةٍ، من جرّاء إحجامه عن الوشاية بكهنةٍ قدموا من رعايا أُخرى، وساهموا في خدماتٍ روحيّةٍ كانت محظورةً عليهم خارج حدود رعاياهم. هذه الملاحقات أنهكت صحّته، وكلّفته مبالغ باهظةً لتسديد المخالفات التي تحمّل تبعاتها.

تبريك المزار: الأحد ١٦ أيلول

منذ مستهلّ الظهورات، كانت العذراء قد عبّرت عن رغبتها في إقامة نصبٍ تذكاريٍّ للآلام، وتمثالٍ لسيّدة الحبل بلا دنسٍ. وكان أبناء الرعيّة راغبين في تحقيق مطلب العذراء، على أفخم وجهٍ، ولكنّ ضآلة مواردهم أكرهتهم على الاكتفاء بما استطاعوا جبايته، وبما اقتطعوه من احتياجاتهم الأساسيّة. فاقتصروا على إشادة مشكاةٍ من قرميدٍ تتّسع لتمثالٍ بالحجم البشريّ الطبيعيّ، قائمةٍ على منصّةٍ ارتفاعها مترٌ ونصفٌ، منتصبةٍ فوق أرضيّةٍ يُصعد إليها بثلاث درجاتٍ، يمكن استخدامها مراكع للصلاة. ويعلو المشكاةَ صليبٌ حديديٌّ، بحيث يبلغ الارتفاع الكلّيّ ستّة أمتارٍ.

ووصل التمثال إلى «غيتشڨاود»، يوم الأربعاء ١٢ أيلول، كما أسلفنا، فتقرّر تنصيبه يوم الأحد التالي. ومع أنّ الفرصة

لم تسنح لإذاعة النبأ، تجمهر زهاء خمسة عشر ألف مؤمنٍ للمشاركة في تكريم الأمّ السماويّة، التي باركت منطقتهم بحضورها. وانبرى كاهن الرعيّة في سبيل إعداد المؤمنين لذلك الحدث، ولسماع اعترافاتهم، منذ مطلع الفجر. وآزره ثلاثة كهنةٍ من رعايا أُخرى تحدّوا الحظر الحكوميّ، والغرامات الماليّة الباهظة.

كان موعد الاحتفال قد حُدّد في الساعة الثالثة من ذلك اليوم. ومنذ الظهر، احتشدت الجماهير بين الكنيسة ودار الرعيّة، وكلٌّ يجهد في أن يكون الأقرب من التمثال الحبيب، رغم المطر المدرار، الذي لم يتوقّف إلاّ ساعة رفع التمثال إلى موضعه داخل المشكاة، وكأنّ توقّفه بسمة رضًى من أُمّ اللّه، وأمّ البشر، ودعوةٌ منها إلى المؤمنين كي لا يكفّوا، أبدًا، عن إيلائها كلّ ثقتهم.

واستقرّت العذراء في بيتها القرميديّ الوضيع كي تسهر على كلّ مَن يثقون بها، ويلتمسون غوثَها.

١٦ أيلول مساءً:
الظهور الخامس والسبعون والأخير

سُبّق موعد تلاوة المسبحة، كي تُتاح للجميع المشاركة في تكريم الأُمّ السماويّة. ولم يتحرّج كثيرون من التريّث على أن يعودوا إلى منازلهم، ليلاً، فكوفئوا بزيارةٍ سماويّة أخيرةٍ، غير متوقّعةٍ، أكّدت فيها العذراء حبّها لأبنائها المناضلين الشجعان.

ففي الساعة السابعة مساءً، بعد صلاة التبشير، استهلّ الحضور صلاة الورديّة، أمام التمثال الذي نهض إشارةً حيّةً على حضور الأُمّ السماويّة. وما إن فرغ الجمع من تلاوة بيت المسبحة الأوّل، حتّى سرت رعشةٌ ضاعفت حرارة الصلاة. فقد اعترى الفتاتين انخطافٌ استمرّ طيلة وقت تلاوة الورديّة. ولكأنّه شقّ على العذراء وداع من قضت بين ظهرانيهم أربعة أشهرٍ، وكرّمتهم بمئةٍ وخمسة وسبعين ظهورًا، في أُلفةٍ

حميمةٍ، مجيبةً، بطيبة خاطرٍ، على أسئلتهم التي لم تخلُ، أحيانًا، من السذاجة، وكلّمتهم بلغتهم التي كان الاحتلال يحظر استخدامها، بمعزلٍ عن أيّة نيّةٍ سياسيّةٍ، بل لمجرّد أنّ تلك اللغة هي وسيلتهم للتعبير عن إيمانهم.

وقد ظهرت العذراء، في ذلك اليوم، محاقةً بجوقةٍ من الملائكة، وباركت تمثالها بيمينها، ثمّ رسمت إشارة صليبٍ واسعةً على القرية، ثمّ على كاهن الرعيّة الذي كان جاثيًا متخشّعًا، عند أقدام تمثالها، ثمّ على جميع الحاضرين.

كانت قد وافت كي تساعد ذلك الشعب المضطهَد على حمل صليبه، وتعده بحضورها الدائم إلى جانبه، وكانت وصيّتها الأخيرة: «**صلّوا المسبحة الورديّة بحرارة**».

هذه الدعوة في محيطٍ يطغى عليه التأثير البروتستانتيّ، تبدو حافلةً بالمغزى. إنّها دعوةٌ موجّهةٌ إلى العالم المسيحيّ بأكمله، لأنّ تلاوة المسبحة، وتأمّل أسرارها، هما الحبل الذي أُعطي للبشر التمسّك به للصعود نحو اللّه.

عجائب

الظهورات هي تدخّلٌ من العذراء، محدودٌ في الزمان والمكان، من أجل التعليم، وإطلاق تيّار خلاصيٍّ. وقد توخّت العذراء، من خلال ظهورها في «غيتشـڤاود» الحضّ على ممارسة صلاة الورديّة، والوفاء للكنيسة.

أمّا العجائب فهي امتدادٌ واستمرارٌ لهذا التدخّل، ودليل مصداقيّته. وقد سُجّلت، منذ عام ١٨٧٧، حالات أشفيةٍ عجيبةٍ، عقبت استخدام ماء النبعة التي باركتها العذراء، أو قِطَع النسيج الذي علّقه كاهن الرعيّة على شجرة الظهورات. غير أنّ العداء المعلن لكلّ المظاهر الدينيّة، الذي كان يشنّه حكم «بسمارك»، قد حال دون المضيّ في التحقّق من هذه الأشفية.

ولكن، بعد العام ١٩٤٥، عادت منطقة «وارميا» المحتلّة، إلى أحضان الوطن الأمّ، پولونيا. وفي عام ١٩٦٢ دُشّن

سجلّ عجائب، بفضل شفاعة سيّدة «غيتشـڤاود»، وقد احتوى هذا السجلّ قائمةً بمئةٍ وثمانين شفاءً عجيبًا، جرت بين عام **١٩٦٢** وعام **٢٠٠٢**، أي بمعدّل أربعةٍ إلى خمسة أشفيةٍ سنويًّا. وثمّة رواياتٌ عن أشفيةٍ باهرةٍ، وإليكم باقةً من الأشفية المسجّلة:

– بتاريخ ١٤/٨/ ١٨٧٧وقّع المعلّم جوزيف بولينا إقراره التالي:

«كانت زوجتي ماريّا تشكو تحسّسًا حادًّا من ضوء الشمس، منذ شهر آذار من السنة الحاليّة، وقد شخّص الدكتور «كاتربرو» والبروفسّور «جاكوبسون» إمكانيّة الشفاء، ولكن بفضل علاجٍ طويل الأمد.

وقد أسهم العقار الذي وصفه البروفسور «جاكوبسون» في تخفيف الألم، ولكنّه لم يقضِ على سببه، بحيث اضطرت ماريّا إلى مواصلة العيش في العتمة. وحينئذٍ، غسلت عينيها بالماء الذي باركته العذراء مريم في «غيتشڤاود»، ومسحتهما بالنسيج الذي لامس شجرة الظهورات. فزال الألم تدريجيًّا.

وفي غضون خمسة أيّامٍ، أي في السابع من آب استطاعت التحديق إلى ضوء الشمس بلا عائق، واستئناف مشاغلها المعتادة مثل الحياكة، والخياطة، وكلّ نشاطات مهنتها، والتي كانت متعذّرةً عليها. وإنّ بوسع الجيران، الشهود على علّتها وعلى شفائها، وتأكيد ذلك إن اقتضى الأمر».

وفي ١٦ آب ١٨٧٧، دوّن كاهن رعيّة «غيتشڤاود» **حالة المزارع «جون شميت»**:

«منذ زمنٍ طويل كان يعاني قروحًا خبيثةً منتشرةً على كلّ جسده. وفي مطلع شهر آب تورّمت يده وذراعه اليمنيان ورمًا جسيمًا، امتدّ إلى أَسفل وجهه، مهدّدًا عينه. وقد التهم القرح لحم يده اليمنى حتّى العظم، فغدا منظرها منفّرًا، وبالفعل أُغمي على جارةٍ له، عندما شهدته.

وتنامت إليه روائع «غيتشڤاود»، فحجّ إليها. وهناك توسّل السيّدة بحرارةٍ، واغتسل بالماء المبارك، ووضع على يده قطعةً من النسيج المبارك. وفي الحال، تلاشت كلّ القروح، وعاد إلى بيته كي يذيع البشرى السعيدة.

وبعد بضعة أيّامٍ؛ اكتست يده بلحمٍ جديدٍ، فتمكّن من حصد حقل قمحه، طبيعيًّا. وحينئذٍ وطّن العزم على العودة إلى «غيتشڤاود»، كي يشكر المنزّهة من الدنس، مؤكّدًا لأصدقائه الذين نصحوه بوفاء دينه تجاهها في كنيسة رعيّته، أنّ ذلك غير كافٍ، وأنّه، إن لم يفعل ذلك في «غيتشڤاود»، لاستأهل عتاب الربّ: «ألم يبرأ العشرة؟ فأين التسعة الآخرون؟».

شفاء عمياء

أولغا، يتيمةٌ في الخامسة عشرة من العمر. منذ سنّ الخامسة، فقدت إحدى عينيها البصر. والتماسًا للشفاء باشرت تساعيّة صلوات أرفقتها بتبليل عينها، يوميًّا بماء «غيتشڤاود»

في اليوم الأوّل لم تظهر أيّة نتيجةٍ. في اليوم الثاني، شرعت تعاين، على نحوٍ مبهَمٍ، الأشياء التي تقابلها، في اليوم الثالث تحسّنت رؤيتها لما يحيق بها، وفي اليوم الرابع تمكّنت من القراءة، واكتملت قدرتها على القراءة في اليوم الخامس.

شفاء حارس الغابة «جان شميدت»

عام ١٨٧٢، فيما كان «جان» المذكور يفرغ عربة أشجارٍ مقطوعةٍ، انزلقت إحدى هذه الأخشاب، وصدمت عنقه بعنفٍ، مسبّبةً شلل أعصابه، ففقد رأسُه توازنه وثباته، وبات يتأرجح مثل خذروفٍ شاردٍ. وكانت كلّ حركةٍ من رأسه مبعث أوجاعٍ مضنيةٍ. وعلى مدى ستّ سنواتٍ، أثبتت كلّ العلاجات الطبّيّة إخفاقها.

وحينئذٍ، قرّر الرجل الحجّ إلى «غيتشڤاود»، حيث ظلّ يصلّي منذ الثالث حتّى الثامن من أيلول، ويرتشف ماء النبع، ويضع على عنقه أوراق شجرة الظهورات والنسيج الذي لامسها.

وفي الثامن من أيلول، بينما كان قاصدًا الكنيسة لتلاوة المسبحة، ثبت عنقه بغتةً، واستقرّ رأسه، وتلاشت آلامه. لقد شفي.

شفاء الآنسة سوزانا سابلّيك

كانت ابتليت، وهي في السادسة عشرة، بداء مفاصل حادٍّ، شلّ أطرافها السفلى، فلازمت الفراش أكثر من أربعة عشر عامًا، إلى أن أمست عاجزةً عن الحركة.

انعدام الحركة سبّب آلامًا في المعدة، وتلفًا في الرئتين، فضلاً عن الأرق، وفقدان الشهيّة. إلى أن أمست الآنسة سوزان، أشبه بشبحٍ حيٍّ، وغدت تلقى مشقّةً بالتكلّم.

وتنامت إليها أنباء «غيتشڤاود» فأودعت السيّدة العذراء كلّ ثقتها، وطلبت أن يؤتى لها بشيءٍ من ماء النبع العجيب، وتوطّد لديها اليقين بأنّ العذراء ستوفّر لها الشفاء، إن هو كان لخير نفسها.

وما إن استقت بضع جرعاتٍ من ذلك الماء حتّى زالت أوجاع معدتها، وغادرها الأرق، واستعادت شهيّة الطعام.

وعلى امتداد سبعة أسابيع، اقتصرت على علاج ماء النبع، فشهدت صحّتها العامّة تحسّنًا بحيث استطاعت الحجّ إلى «غيتشڤاود» في الرابع من أيلول، من أجل تقديم آيات الشكر، ولمّا عادت كانت كلّ عللها قد تلاشت.

شفاء ماريّا هانوفسكا من السرطان

بتاريخ ١٩/٣/١٩٥٠، دوّن الأب جان هانوفسكي:

لقد خضعت شقيقتي «ماريّا» لعدّة مداخلاتٍ جراحيّةٍ، بغية استئصال السرطان، بلا جدوى.

وقد تبيّن آخر الأطبّاء المعالجين تكاثر الخلايا الخبيثة، وتوقّع لشقيقتي موتًا وشيكًا، وأبلغتُها الأمر، غير أنّ هذا الحكم المبرم لم يدفعها إلى الانهيار، بل وطّنت عزمها على الحجّ إلى «غيتشڤاود» التماسًا لعون العذراء.

وهناك باشرت تساعيّة صلواتٍ، واستقت من ماء النبع. ولم تغادر المزار إلاّ وقد استعادت صحّةً كاملةً.

شفاء الطفل «يانوش ماركوفسكي»

الزوجان جوزف وستيفانيا ماركوفسكي كانا يعيشان سعيدين مع أبنائهما العشرة. غير أنّ صغيرهما «يانوش» كان يتعرّض لنوبات صرعٍ وسعالٍ ديكيٍّ، ولم يفلح علاج نطاسيٍّ شهيرٍ في شفائه، بل تفاقمت علّته سوءًا، وزاد وضعه إحراجًا إسهالٌ أَنهكه، وأودى به إلى عتبة الموت.

وفي يوم ١٩٥١/٩/٨، الموافق عيد مولد العذراء، شفيعة رعيّة «غيتشقاود»، تحدّت والدته نصائح الجيران الذين حذّروها من مغامرة الحجّ مع الطفل إلى المزار العجائبيّ، وهناك ركعت أمام الهيكل الرئيسيّ، وهتفت:

«أيّتها الأمّ السماويّة، لن أغادر هذا المكان إلاّ مع ابني، وقد أُنعم عليه بالشفاء».

مدى ثلاثة أيّامٍ، لم يستطع الطفل تناول أيّ طعامٍ. غير أنّ أمّه اعتصمت، مع ذلك، بالرجاء.

وفي أحد مشاويرها المتكرّرة إلى النبع، انتعش الطفل، بغتةً، بين ذراعيها، وأمسكها من ذقتها، طالبًا ماءً للشرب. وشرب ربع ليترٍ من ماء النبع، والتهم كسرة خبزٍ. ولم يقتصر على استعادة النطق، بل شرع يرتّل مع الجميع.

وأخيرًا انتصب على ساقيه، كي يثبت لنفسه أنّه شفي.

وتتويجًا لهذه النعمة، استقامت ساقاه اللتان كانتا متقوّستين إلى الوراء.

معمّرٌ يروي

ذكرت صحافيّةٌ كانت قاصدةً «غيتشـڤاود» بالحافلة، وفي قاعة الانتظار التقت رجلاً مسنًّا، وهو «جاكوب بيم» المولود في ١٨٦٦/٧/١ والذي توفّي في ١٩٦٦/١٠/٢٢ عن مئة عامٍ، وقد تطوّع لإطلاع الصحافيّة على ما يجري في «غيتشـڤاود»، فروى لها:

«كنتُ ما زلتُ ولدًا، عندما ظهر قرحٌ خبيثٌ على ساقي اليمنى، فوق الركبة، وجهدت أمّي في إنقاذي منه، بشتّى الوسائل الطبّيّة، والعقاقير الشعبيّة، ولكنّ كلّ جهودها ذهبت هباءً، لا بل إنّ القرح تفاقم واستشرى، واحتدّ ألمه، بحيث غدا لا يُطاق. كنتُ أسير بمشقّةٍ، بل أعرج مستعينًا بعكّازٍ. وسرعان ما أحاطت بالقرح هالةٌ من اللحم الحيّ، الذي تدعوه العامّة «اللحم البرّيّ» المنبئ بالأسوأ. وعندما سُدَّت في

وجه أمّي جميع السبُل، أوكلتني إلى عناية سيّدة «غيتشڤاود». ولكي تشحذ إيماني، استفاضت في الحديث عن المعجزات التي كانت تجري في ذلك المحجّ المبارك، وأطلعتني على نيّتها الحجّ إليه، في الثامن من أيلول، التماسًا لشفائي. فقلت، في سريرة نفسي: «لمَ لا أذهب إلى هناك بنفسي؟». ورجوت أمّي أن تستصحبني، فقد كنت شديد الرغبة في الشفاء، إذ لم أكن عاجزًا عن الركض، أُسوةً بأترابي، وحسبُ، بل لم أكن أقوى على السير سيرًا طبيعيًّا. ولكنّ أمّي أدلت بألف حجّةٍ وحجةٍ، كي ترفض مطلبي، فالمكان بعيدٌ، ولن أقوى على بلوغه، وقد أتعرّض لخطر الضياع وسط الحشود الكثيفة؛ وقد يسبّب هذا المشوار تفاقم وضعي سوءًا. ولم تُجدِ كلّ توسّلاتي نفعًا.

وحينئذٍ تفتّق ذهني عن فكرةٍ: لمَ لا أذهب بمفردي، وبوسائلي الخاصّة؟ وقد راق لي هذا المشروع. وبما أنّني كنت أجهل الطريق، قرّرت أن أترسّم خطى أمّي، خلسةً، من بعيدٍ، لكيلا تراني. وهكذا فعلت. كانت ساقي تلتهب ألمًا، ولكنّني كنت لا أكفّ ألتمس من العذراء أن ترأف بي

وتشفيني. وعند مدخل «غيتشڤاود»، أضعتُ أثر أمّي، بسبب كثافة الازدحام. ولكنّ ذلك لم يسرّب إلى نفسي قلقًا، فقد كان حسبي أن أتبع الجموع وصولاً إلى النبع العجائبيّ. وقد عقدتُ العزم على الاقتراب منه بقدر ما أستطيع، ووطّنتُ العزم على غمس ساقي فيه، تاركًا الباقي لعمل النعمة الإلهيّة.

غير أنّني لم أُقِمْ حسابًا للجمع المزدحم حول النبع. ولّما جاء دوري، لم أتردّد في التشمير عن ساقي العليلة، وهمَمْتُ بتغطيسها في الماء، فمزّقت الجوَّ صيحاتُ الاستنكار التي دوّت كالرعد. هاجت الجموع، وانهالت عليّ احتجاجاته، من جرّاء إقدامي على تلويث الماء المقدّس، بساقي العليلة. ولكنّني لم أتخلَّ عن رباطة جأشي، وأصممت أذنيّ عن الصيحات الغاضبة، وانتهزت سانحة الفوضى التي سادت كي أُكمل ما عزمت عليه، ملتمسًا من الأُمّ الحنون، بمزيدٍ من الحرارة، أن تنعم عليّ بالشفاء. وغمست ساقي كلّها في الخزّان الذي كان ماء النبع يتدفّق إليه، وكانت ثقتي بالعذراء مطلقةً...

وفي الحال، توقّفت آلامي، وبسرعةٍ سحبتُ ساقي، وتفحّصتُها، فإذا بالقرح الخبيث قد اختفى، واكتسى موضعه المتقيّح بجلدٍ جديدٍ أملس، في حين تجعّد «اللحم البرّيّ» مثل تفّاحةٍ جافّةٍ.

وأدرك القوم الذين كانوا، قبل لحظاتٍ، يصيحون في وجهي، ما كان يحدث لي. فقد شُفيتُ، وانتصبتُ مستقيمًا مثل «ألف»، ثابتًا على قدميّ. وبصوتٍ واحدٍ، دوّت اللفظة السحريّة: «معجزةٌ!»، وتردّدت أصداؤها من موقعٍ إلى آخر، وبغتةً أصبحتُ «حَدَث فضولٍ عالميّ»، فتقاطر القوم، وتراصّوا من حولي، وأحاقوا بي من كلّ صوبٍ. وكانت أمّي في وسطهم!... كانت تجهل كلّ شيءٍ عن مغامرتي، وكادت ألاّ تصدّق ما تشاهده عيناها: فالذي نعم بالمعجزة هو أنا، ابنها المعاق. اغرورقت عيناها بدموع التأثّر التي انسابت على خدّيها، ثمّ انفجرت بالبكاء، وكان الحشد لا يني يتضخّم ويتدافع، فكلٌّ يجهد في أن يرى ويطّلع عن كثبٍ، إلى أن وضَعت أمّي نهايةً لذلك الاستعراض، مستعملةً سلطتها، وجارّةً إيّاي إلى البيت».

أمّا عن **التحوّلات النفسيّة**، فقد روى المدعوّ «**فرانزيشك**»، الذي ارتضى نشر شهادته تمجيدًا للأمّ السماويّة، وإشادةً بقدرتها وبحبّها الجمّيْن:

«كنتُ مدمنًا عريقًا على الكحول، وأبًا لثلاثة صبيانٍ، وتلبيةً لرغبة الأب «أوجينُس»، انضويت إلى جمعيّة مكافحة الكحول، المحلّيّة، وأوكلتُ إلى سيّدة «**غيتشـڤاود**»، نيّتي الإقلاع عن المسكرات. ومنذئذٍ، غدوتُ أتلو المسبحة الورديّة يوميًّا. ورغم التجارب، صمدتُ أربع عشرة سنةً، وإنّي عاقدٌ العزمَ على مواصلة الجهد حتّى النهاية... والآن، أنا أساعد مدمنين على الكحول، كي يتحوّلوا إلى أشخاصٍ أحرارٍ مسؤولين. وإنّي أُقسم أنّ هذا الإقرار، الموقّع بيدي، هو صحيحٌ».

كنيسة «غيتشڤاود»، زمن الظهورات

منظر عامّ لـ «غيتشڤاود»

منظر عامّ لـ «غيتشڤاود» من الطائرة

الأب «ڤيشيل» ،
كاهن الرعيّة آنذاك

إيقونة «غيتشڤاود» العجائبيّة

البابا يوحنّا بولس الثاني
يصلّي أمام الإيقونة العجائبيّة

رسم يمثّل ظهور العذراء للفتاتَين

باربارا راهبة

باربارا راهبة

تمثال سيّدة «غيتشڤاود»

مكتب الأُخت «ستانسلاڤا سامولوڤسكي» في نيكاراغوا،
والمصلّى الذي أشادته إثر الهزّة الأرضيّة ١٩١٧–١٩١٨

الكردينال «كارول ڤوتيوا» يحتفل بالذكرى المئوية

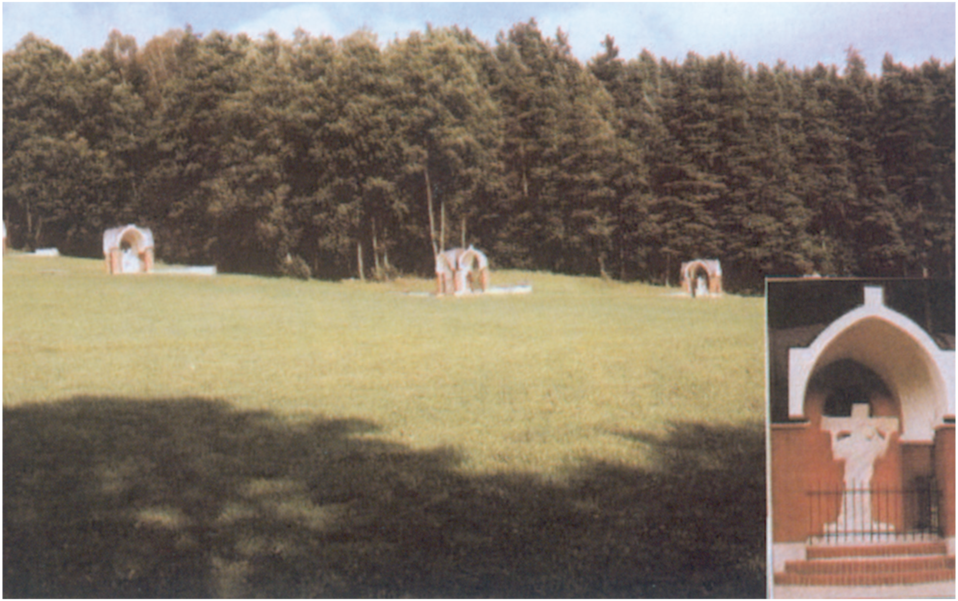

درب الآلام في «غيتشڤاود»

شهودٌ

الشاهد الأوّل والأساسيّ هو كاهن الرعيّة آنذاك، الأب «أوغسطينُس ڤيشسيل» (Augustinus Weichsel). وهو من أسرةٍ ألمانيّةٍ تقطن في قريةٍ مختلطةٍ، تضمّ ألمانًا وپولونيّين. تعلّمَ اللغة الپولونيّة إضافةً إلى لغته الأمّ الألمانيّة. أكمل دراسته في إكليريكيّةٍ، وسيمَ كاهنًا عام ١٨٥٦، وعُيّن خادمًا لرعيّة «غيتشڤاود»، منذ عام ١٨٦٩ حتّى وفاته عام ١٩٠٩. فدامت خدمته لتلك الرعيّة أربعين سنةً. كان في السابعة والأربعين من العمر، ممتلكًا كلّ طاقاته الروحيّة والنفسيّة والذهنيّة، عندما حدثت الظهورات. فهو يُعَدّ المسؤول الكنسيّ الأوّل عنها، وقد ساعده على مواكبتها طبعه المنظّم بدقّةٍ، ووجدانه المهنيّ المرهف الذي دفعه إلى تدوين ملاحظاتٍ نقديّةٍ مفصّلةٍ، على شكل يوميّاتٍ، أكملها

بمجموعة مراسلاتٍ. وقد أضحت هذه الوثائق مرجعًا أساسيًّا للظاهرة.

لم تكن مهمّته سهلةً. فقناعته بصحّة التدخّل السماويّ حدته إلى المغامرة بأمنه، إِذ كانت سلطات بسمارك دائبةً على مقاومة كلّ ظاهرةٍ دينيّةٍ، فضحّى بكلّ ما يملك في سبيل الترحيب بمجيء أمّ الله إلى رعيّته. وقد مثُلَ سبعين مرّةً أمام محقّقي الأمن، وسُجن مرّةً، ولكنّ أبناء رعيّته اعتصموا، سحابة خمسة أيّامٍ، أمام معتقله، إلى أن أُفرج عنه، إِذ خشيت السلطات اتّساع رقعة الاحتجاج. وعاد مع أبناء رعيّته على وقع الأناشيد، وعند وصولهم إلى مسافة ثلاثة كيلومتراتٍ عن القرية قرعت الأجراس الجذلى، وحُمل الكاهن الشجاع على الأكتاف، إلى أن ركع أمام إيقونة العذراء، ورفع لها آيات الشكر.

ولم يتوقّف اضطهاده عند هذا الحدّ، ففي عام ١٨٨١ أمرت المحكمة بمصادرة كلّ ممتلكاته المنقولة وغير المنقولة، وبيعها في مزادٍ علنيٍّ. وقد أوجعه الأمر ولكنّه لم يستسلم.

لقد نَعتَ مغرضون ترحيبَه بالحدث بالسذاجة، افتئاتًا. فقد كان متيقّظًا لكلّ شاردةٍ وواردةٍ، فدقّق في كلّ تفصيلٍ، وحلّل رسائل العذراء، إلى أن كوّن قناعةً لم يجِدْ عنها أُنملةً، بل دافع عنها بكلّ طاقاته، وبكلّ ما يملك. وقد أيّدت التحقيقاتُ الكنسيّة موقفَه.

نتيجة التحقيق

المحقّق الذي كلّفه الأُسقف، جاء إلى «غيتشـڤاود» حاملاً أحكامًا مسبّقةً، وشكوكًا راسخةً. ولكنّه في نهاية تحقيقه اعترف: «عمومًا ثمّة توافقٌ بين إفادات الفتاتين. وبعد أن فرغتُ من تقصّياتي، لا بدّ لي من الاعتراف بأنّني قد باشرتُ تحقيقي في كثيرٍ من الريبة، وقد حلّ محلّها، الآن، يقينٌ راسخٌ بأنّ ما يحدث في «غيتشـڤاود» هو لمجد اللّه، ولخير النفوس».

ولم يقتصر الأُسقف على رأي الكاهن المحقّق، بل ألّف لجنةً كلّفها بالتحقيق مع الفتاتين الرائيتين، ومع الشهود، والتثبّت من «العجائب»، وبحث تأثير الحدث على إيمان القوم وعلى سلوكهم، وإبداء رأيهم الخاصّ بشأن مصداقيّة

الظهورات. وكان التقرير الذي وضعته تلك اللجنة في ٤٧ صفحةً، عام ١٨٧٧ هو الأساس الذي قام عليه، عام ١٩٧٧، الاعتراف الرسميّ بصحّة ظهورات «غيتشڤاود».

وقد جاء، في تقييم اللجنة للفتاتين:

«تبدو الفتاتان بسيطتين، مستقيمتين، طبيعيّتين، بعيدتين عن كلّ خداعٍ، متواضعتين في سلوكهما. قبل الظهورات وبعدها، على السواء، هما ساذجتان، بريئتان، غير حافلتين بحدثٍ ضجّ به كثيرون. لا تتوانيان عن اللعب مع أترابهما كلّما سنحت لهما لذلك فرصةٌ، وهما تبتهجان باللعب، بعد الظهورات، كما كانتا قبلها.

«عندما تُسألان تجيبان في شيءٍ من الخَفَر، لا سيّما عندما يكون السائل غريبًا. ولكنّهما لا ترتبكان، ولا تجهدان كثيرًا في إعداد أجوبتهما. وفي ذلك دليل صدقهما. أمّا وصفهما للرؤى، فهو طبيعيٌّ ومقتضَبٌ...

«في أثناء انخطافهما، تشخص أفكارهما بثباتٍ نحو

الرؤيا. وقد أُجريت اختباراتٌ متعدّدةٌ، مثل الضغط على أيديهما، ووضع حاجزٍ أمام عيونهما، ووخز إِبرٍ، فلم تُحدِث كلُّها أيّ ردّ فعلٍ على ملامحهما ولا على موقفهما.

«يرى كاهن الرعيّة، والأُسرتان اللتان تتولّيان رعايتهما، أنّهما طبيعيّتان، مطيعتان، دؤوبتان على العمل، وبالإجمال لا مأخذ عليهما.

«لا تتميّزان بالتقوى، بل إنّهما تتعرّضان لشرود الذهن، عندما تشرعان بتلاوة المسبحة، إلى أن يعتريهما الانخطاف.

«وقد رفضتا، بانتظامٍ وإصرارٍ، كلّ الهدايا، وحرصتا على إعادة تلك التي تركها أصحابها، في حين كان ذووهما يئنّون فقرًا وعَوَزًا.»

أمّا عن مستواهما الذهنيّ، فقد ورد في تقرير اللجنة:

«إنّهما تختلفان إلى مدرسة القرية، تتكلّمان اللغة البولونيّة، وتحفظان بضع مفرداتٍ ألمانيّةٍ. تقرآن، وتكتبان هاتين اللغتين على نحوٍ رديءٍ. كلّ هذه العوامل، مؤتلفةً، تمكّن من استخلاص أنّهما عاجزتان عن الخداع، وتضفي

على شهادتهما افتراض الصدق... قدراتهما الذهنيّة هزيلةٌ... ادّعاء خضوعهما لتأثيراتٍ خارجيّةٍ، أو تواطؤهما على توفيق أجوبتهما، لا يستند على أيّ أساسٍ».

موقف الأسقف

في قرارة نفسه، كان الأُسقف موقنًا بصحّة الحدث، وقد دعمت هذا اليقينَ تقاريرُ المحقّقين الذين كلّفهم بهذه المهمّة، وزاد قناعتَه رسوخًا ما شهده وسمعه بنفسه. ولذلك أذن لكاهن الرعيّة بنصب تمثالٍ لسيّدة الحبل بلا دنسٍ في موقع الظهورات، وأجاب كاهنَ رعيّةٍ أُخرى كان أبناء رعيّته يلحّون في طلب تبريك صورة سيّدة «غيتشڤاود»، والتمس موافقته: «من جانب الكنيسة، لم يصدر، حتّى الآن، أيّ اعترافٍ رسميٍّ، غير أنّ لكلّ فردٍ حرّيّة الرأي في هذا الشأن».

أمّا إحجامه عن إصدار اعترافٍ رسميٍّ، فمردّه إلى طائفةٍ من الأسباب، أوّلها عداء السلطات المدنيّة، ومقاومتها الشرسة لكلّ نشاطٍ دينيٍّ.

وكان قد سبق للحكم الألمانيّ أن قاوم بضراوةٍ ظاهراتٍ

فائقةً أُخرى، جرت في مناطق محتلّةٍ، عملاً بقرار المستشار «بسمارك»: «لن نسمح بوجود «لورد» أُخرى في إمبراطوريّتنا».

وقد فرض عليه ذلك الوضع الحيطة والحذر، لكيلا يُلحق بالكنيسة وبالمؤمنين أيّ أذًى. ففي مثل ذلك الجوّ العدائيّ، كان من شأن أيّ اعترافٍ رسميٍّ بحدثٍ فائق الطبيعة، إثارة حفيظة النظام الحاكم، الذي قد يرى في هذا الاعتراف تحدّيًا لسلطته، فيُسعّر نار الاضطهاد. ولذلك، التزم الأُسقف موقف التريّث، ولا سيّما أنّه لم يكن، ثمّة، داعٍ إلى الاستعجال، ولا أيُّ خطرٍ على الإيمان.

سببٌ آخر لتريُّثه، حادثةٌ مؤسفةٌ أرخت ظلالها على الظهورات. فقد ادّعت سيّدةٌ من بنات الرعيّة أنّها كانت تشارك الفتاتين رؤاهما. وفي البدء، صدّقها كثيرون. ولكن، بعد أن توقّفت الظهورات للفتاتين. ادّعت رؤًى خاصّةً بها، وأقنعت رائيةً مزعومةً أُخرى، كانت تجتاز أزمةً نفسيّةً حادّةً، بالتواطؤ معها على ادّعاء رؤًى ورسائل للقدّيس يوسف.

وعندما افتُضح أمرهما رماهما الأُسقف بأقسى العقوبات الكنسيّة. غير أنّ ذلك الحدث كان قد أشاع البلبلة، وأثّر تأثيرًا وبيلاً على مجمل الظهورات، وزرع الريبة والتردّد في نفس الأُسقف، مبدّدًا رأسمال الثقة الذي كان قد تجمّع لديه، وحداه إلى التريّث، وإلى المزيد من التحقّق والتثبّت. فتوخّى إخضاع قراره لاختبار الزمن، ولكنّ الزمن لم يتوفّر له، إذ إنّه عُيِّن، عام ١٨٨٥، رئيس أساقفةٍ على رعيّة كولونيا، فترك لخلفه شأن القرار، وورث منه خلفُه ريبته وتردّده.

وفضلاً عن كلّ ذلك، كان كاهن الرعيّة، في تلك الأثناء، منهمكًا بواجبات الرعاية التي تعاظمت إثر الظهورات، وبالملاحقات الأمنيّة التي كانت تطارده بلا هوادةٍ، فافتقر إلى الوقت اللازم للتحقّق من كلّ ما كان يحدث من معجزاتٍ، وتحوّلاتٍ روحيّةٍ مذهلةٍ، ولا سيّما أنّ معظم الذين أوتوا نِعمًا فائقةً، توانوا عن إشهارها، أو عن تقديم وثائق تثبتها.

لا غروَ أنّ كلّ ذلك مثّل انتصارًا مؤقّتًا للشرّير ولأعوانه

الذين جهدوا في وأد الظاهرة، وتبديد ثمارها، مثلما كانوا، قديمًا، قد أفلحوا في تعليق يسوع على الصليب. ولكنّ يسوع قام في اليوم الثالث. أمّا قيامة ظاهرة «غيتشڤاود» فقد استلزمت مئة عامٍ. وقد أسهم في تلك القيامة، إِسهامًا فعّالاً، صمود الشعب المسيحيّ، في تلك المنطقة، ومواظبته، وحرارة إيمانه.

مسيرة الحدث

ادّعت سلطات «بسمارك» أنّ ظهورات « غيتشڤاود»، ما هي إلاّ مؤامرةٌ حاكها الاستقلاليّون البولونيّون بالتواطؤ مع الإكليرُس، بحجّة أنّ العذراء تكلّمت باللغة البولونيّة، لقومٍ لا يحسنون فهم سواها.

وقد تمادت الصحف الموالية للمحتلّين، في إطلاق سهام تهكّمها وافتراءاتها إلى حدَث « غيتشڤاود»، وتضافرت عناصر كثيرةٌ على دفن الحدث في مطاوي النسيان، ولكنّ الإيمان الشعبيّ كان هو الأقوى، بفضل استجابته لدعوة الزائرة السماويّة، التي وطّدت تقليد المسبحة الورديّة، فدأب القوم على تلاوتها، على ثلاث مراحل، صباحًا، وظهرًا، ومساءً، وكان تأثيرها بليغًا على مَن يتلونها، وعلى مَن يشهدونها، فخلّدت حضور الأمّ السماويّة إلى جانب أبنائها.

وكرّت الأيّام، وتكثّف تدفّق الحجّاج، مؤكّدًا رسوخ الظاهرة في العمق، متحدّيًا مقاومة السلطات، ومتخطّيًا العوائق الكأداء.

وتواصلت الصلاة. ففي ١٨٧٨/٨/٢، احتشد في فناء الكنيسة جمعٌ تراوح عديده بين سبعة آلافٍ وثمانية آلاف نسمةٍ، اشتركوا في تلاوة صلاة المسبحة الورديّة، ونال كثيرون منهم سرّ الغفران. وفي عيد العذراء، من العام نفسه، اكتظّت باحة الكنيسة والطرق المجاورة لها بما يربو على عشرين ألف حاجٍّ يرافقهم نحو ستّةٍ وعشرين كاهنًا، وارتقى هذا العدد، يوم عيد الميلاد، إلى ستّين ألفًا، يواكبهم ستّون كاهنًا، قادمين من شتّى المدن المجاورة.

وخلافًا لادّعاء الصحف المناوئة بأنّ توافد الحجّاج آخذٌ في التضاؤل، أثبتت يوميّات كاهن الرعيّة نقيض ذلك، إذ إنّ عدد الذين وافوا للاحتفال بعيد انتقال العذراء، في ١٥ آب ١٨٧٩، قد ناهز خمسةً وعشرين ألفًا، فيما بلغ عدد الذين شاركوا في الاحتفال بعيد مولد السيّدة في ١٩٨٩/٩/٨،

زهاء سبعين ألفًا، وقد قدم جزءٌ كبيرٌ منهم من أقاصي روسيّا. حبُّ المؤمنين للأمّ السماويّة كان يدفع بأمواجٍ منهم إلى تحدّي مقاومة السلطات، والقدوم للتعبير عن عميق مشاعرهم حيال سيّدة الكون، وملكة القلوب.

وقد شهد أحد الكهنة: «منذ ظهور العذراء في «غيتشڤاود»، غدا التجدّد الروحيّ في منطقة «وارميا» محسوسًا. فاكتسبت الأخلاق تطهّرًا، ولوحظ نموٌّ في الروح الدينيّ. وقد تجلّى هذا الروح من خلال تعميم تلاوة الورديّة، داخل الأُسَر، وتكاثُر جمعيّات مكافحة الكحول، وازدهار الدعوات الرهبانيّة والكهنوتيّة، وباتت ممارسة الشعائر الدينيّة أكثر مثابرةً، وبالإجمال، أضحت الحياة في يسوع أوفر صدقًا. وترسّخ، في المنطقة كلّها تكريس النفوس للعذراء». هذه اليقظة الروحيّة، ومواظبة الحجّاج على أَمّ المكان الذي ظهرت فيه العذراء، ساهما إِسهامًا فعّالاً في إِبقاء حدث ظهورات «غيتشڤاود» حيًّا في الأذهان والقلوب، وكان ذلك «معجزةً أدبيّة»، حقّةً.

عام ١٩٤٥، عادت منطقة «وارميا» إلى أحضان الوطن الأمّ، پولونيا. ورغم كلّ الاضطهادات التي كانت قد مورست، في هذه الأثناء، وُجدت جميع الوثائق التي دوّنت وقائع ظهورات «غيتشڤاود»، في وقتها، سليمةً. وكُلّف مختصّون في التاريخ واللاّهوت، والحقّ الكنسيّ بدراستها، وقد انتهوا من هذه المهمّة، عشيّة الذكرى المئويّة الأولى، أي في ١٩٧٧/٦/٢٦.

وبغيةَ الاحتفال احتفالاً لائقًا بالحدَث، حدّد الأسقف موعده في ١٩٧٧/٩/١١ الموافق لعيد الرعيّة.

ولمّا اعتذر الكردينال «فيتزينسكي» عن ترؤّس الاحتفال، بسبب مرضه، تولّى المهمّة الكردينال «كارول فويتيوا» (الذي أصبح البابا يوحنّا بولس الثاني)، بحضور نحو مئتين وخمسين ألف حاجٍّ. وفي أثناء القدّاس تُلي قرار الاعتراف الرسميّ بظهورات «غيتشڤاود».

ولا ريب أنّه كان لمثال الرائيتين، ولا سيّما الرائية «باربارا»، يدٌ طولى في هذه النهاية السعيدة. ففي أعقاب

الظهورات، استقبلت راهبات المحبّة الرائيتين، كي يؤمّنّ لهما الهدوء والدراسة الأساسيّة. فمكثتا في ميتمهنّ حتّى إغلاقه، وأمضيتا فيه سنتين ونصف السنة. ثمّ تنقّلتا بين مختلف مدارس راهبات المحبّة، ولمّا بلغتا التاسعة عشرة من العمر، انضوتا إلى تلك الرهبانيّة، وأُوفدتا إلى مركزها الرئيسيّ في فرنسا، كي تكونا بمنأًى عن الفضوليّين، ومتفرّغتين للابتداء.

لا ريب أنّ الغربة آلمتهما، وأنّهما افتقدتا بساطة القرية وفتنتها، ولكنّهما سعدتا بالعيش حيث عاشت القدّيسة «كاترين لابوريه»، وبالصلاة في المعبد الذي شاهدت فيه العذراء.

«يوستينا» لقيت مشقّةً في تعلّم اللغة الفرنسيّة. ولكنّ «باربارا»، على نقيضها، أتقنتها بيُسرٍ وبسرعةٍ، وتعلّمت، إضافةً إليها، اللغة الإسبانيّة، لأنّ حلم الرسالة كان يراودها. وقد أبرزتا، كلتاهما، نذرهما الأوّل عام ١٨٨٩، فاتّخذت «يوستينا» اسم الأخت «أوغستا»، فيما اختارت «باربارا» اسم الأُخت «ستانسلاڤا». وفي تلك السنة عينها، كُلّفت الأُخت «ستانسلاڤا» بالإشراف على روضة أطفالٍ في باريس، أمّا

الأخت «أوغستا» فكُلِّفت بالأعمال المنزليّة، وتفانت، في أدائها، تفانيًا بلا حدودٍ.

عام ١٨٩٥، أُرسلت الأخت «ستانسلاڤا»، في مهمّةٍ رسوليّةٍ، إلى غواتيمالا، التي تبعد أكثر من عشرة آلاف كيلومترٍ عن موطنها. وبقيت الأخت «أوغستا» وحيدةً، لا سند لها ولا رفيق، فأُحبطت، وأحجمت عن تجديد نذورها. ويُستدلّ من إفادات معارفها أنّها تزوّجت، ولم يكن زواجها سعيدًا، وعانت الفقر والعوَز، وندمت بسبب تخلّيها عن الحياة الرهبانيّة.

أمّا الأُخت «ستانسلاڤا»، فقد تفانت، بلا تحفّظٍ، مدى خمسٍ وخمسين سنةً، في خدمة موطنها الجديد، غواتيمالا، حيث كان لها إتقانها اللغة الإسبانيّة عونًا، وأدّت عملاً رسوليًّا رائعًا، وافر الثمار، إذ إنّها تولّت مراكز مسؤوليّةٍ عديدةً، بصفتها مرشدة مبتدئاتٍ منذ عام ١٨٩٥ حتّى عام ١٩٠٧، ثمّ مديرةً لعدّة مستشفياتٍ، حتّى مماتها عام ١٩٥٠، عشيّة عيد الحبل بلا دنسٍ.

لقد كرّست ذاتها، نفسًا وجسدًا، لخدمة اللّه، والعذراء، والبشر. وفي كلّ ما اضطلعت به، عكست رحمة اللّه الجمّة، وحضور العذراء الأُموميّ، واضعةً، دائمًا، نصب عينيها، وعلى مكتبها، الصليب المخلّص، وتمثال سيّدة الحبل بلا دنسٍ، واعظةً بالصلاة، وبمثال سلوكها.

وفي عام ٢٠٠٠، بمناسبة مرور خمسين سنةً على وفاتها، بوشر بجمع وثائق تمهّد لتطويبها، وقد شهدت ٢٨ راهبةً عرفنَها، وواكبنَها، وكنّ لها تلميذاتٍ ومساعداتٍ، بأنّها كانت مثالاً أعلى للراهبة التي تخيّلها القدّيس منصور، جامعةً التقوى العميقة إلى التواضع السحيق، والمحبّة الصادقة السخيّة للأولاد والمرضى والفقراء. ومع أنّها، بفطرتها، كانت كَلِفةً بالتظاهر والرئاسة، فقد تميّزت برقّة مشاعرها ودماثتها ومودّتها، حيال الجميع.

وكانت في سنتها الأخيرة، قد عانت آلامًا مضنيةً، من جرّاء سرطانٍ في وجهها، ومع ذلك أبت تناول أيّ مسكّن آلامٍ، تكفيرًا عن خطاياها، وعن ذنوب الآخرين، مستمدّةً

القوّة من المسبحة التي لم تكن تفارق يدها. لقد سمت، في مدرسة مريم، إلى ذرًى شاهقةٍ من القداسة.

عِبَرٌ من ظهورات «غيتشـڤاود»

بظهور العذراء حاملةً يسوع على ركبتها، أثبتت، حسّيًّا، أُمومتها للّه. لم تتلفّظ بكلمةٍ، ولكنّها أظهرت الربّ معها، داعيةً العالم إلى حبّه. إنّها الكأس التي تحتويه لإطعام الجياع، وإرواء العطاش إلى الحياة الحقّة.

وبما أنّها حملته في أحشائها، كان لا مفرّ لها من أن تكون، خلافًا لجميع نساء الأرض، منزّهةً من كلّ لوثةٍ، وهذا ما أعلنته منذ ظهورها الأَوّل.

وبصفتها أمّ يسوع البشريّة، هي أمّ اللّه، وأمّ الكنيسة، وأمّ البشر أجمعين. وبما أنّ ابنها يسوع ملكٌ، فالعذراء، هي، أيضًا، ملكة السماء والأرض. وقد أكّدت صفتها الملكيّة في ظهوراتها، جالسةً على عرشٍ، معتمرةً تاجًا، وابنها الجالس على ركبتيها قابضٌ على كرةٍ تمثّل الكون كلّه. غير أنّ

مملكتها، مثل مملكة ابنها، ليست من هذا العالم، بل هي مملكةٌ روحيّةٌ. وبما أنّ وظيفة الملك الأساسيّة هي اقتياد المجتمع صوب أسعد مصيرٍ، فمهمّة العذراء هي اقتياد البشر نحو ابنها، ونحو ملكوت السماوات.

لقد حرّضت العذراء على الالتزام بوصايا المحبّة، محبّة الله والقريب، وشدّدت، بوجهٍ خاصٍّ، الدعوة إلى الصلاة، صلاةٍ من كلّ نوعٍ ولونٍ: القدّاس، والتساعيّات، صلواتٍ من أجل الأحياء والأموات، من أجل شفاء النفوس والأجساد، صلواتٍ فرديّةٍ، وجماعيّةٍ، وعائليّةٍ، صلاة الصغار والكبار، الكهنة والعلمانيّين، صلواتٍ قصيرةٍ وطويلةٍ، وبخاصّةٍ صلاة الورديّة، وتأمّل أسرارها، وقد حملت جموعًا غفيرةً على ممارسة هذه الصلاة، ورسّختها، إذ ما انفكّ يؤمّ «غيتشڤاود»، كلّ سنةٍ، زهاء مليونٍ ونصف مليون حاجٍّ، يستمدّون تجدّدًا روحيًّا، بفضل تلاوة الورديّة.

لقد غدت «غيتشڤاود» محجًّا مرموقًا، مشجّعًا على تلاوة الورديّة، وعلى عيش مقتضيات الحياة المسيحيّة بكثافة.

حجّاجٌ كُثُرٌ استُجيبت صلواتهم هناك. وتلبيةً لرغبة سيّدة «غيتشڤاود»، أسّس كاهن الرعيّة، الأب «هونورات كوزمنسكي» (الذي أُعلن طوباويًّا عام ١٩٩٩) جمعيّة «خادمات مريم المنزّهة من الدنس»، التي سرعان ما انتشرت في كلّ أرجاء پولونيا.

في زمنٍ نزع إلى حذف الله من عالمنا، شدّدت العذراء على ضرورة الصلاة، التي توثّق علاقة البشر بالله، وتسيل في نفوسهم الحياة الحقّة، وتضفي عليهم قوّةً فائقةً تؤهّلهم للتغلّب على ذواتهم، وعلى مصاعب الحياة، وتدفعهم إلى عملٍ مُجدٍ، كفيلٍ بتحويل «وادي الدموع» إلى «ملكوت العدل والسلام». فالصلاة هي خير دافعٍ إلى العمل السخيّ، وإلى الذود عن المستضعفين، كما أثبت جبابرة الروح في عصرنا، أمثال الأمّ تيريزا، والأب پيير، والأخت إيمّانويل، وجان ڤاينيه... فضلاً عن كون الصلاة هي تأدية واجب الخليقة حيال الخالق.

لقد ذكّرت زائرة «غيتشڤاود» بالقيَم التي تصون كرامة

الإنسان، وتحترم جلال اللّٰه، فندّدت برذيلة استخدام اسم اللّٰه استخدامًا باطلاً، وبوجوب التزام النذور، وبواجب العفّة، والقناعة في الأكل والشرب، والامتناع عن السكر الذي يذهب بالعقل، ويقود إلى الشرور.

وحيال ضلال أبنائها، وما يعرّضون له ذواتهم من مهالك، عبّرت الأمّ السماويّة عن مرارتها وشجبها، بعباراتٍ حازمةٍ، ورفعت صوتها عاليًا لإدانة آفة الفسق، والانحلال الأخلاقيّ، داعيةً إلى إطاعة اللّٰه وممثّليه، وإلى الاقتداء بيسوع، والاستنارة بمَن هو الطريق، والحقّ، والحياة.

الفهرس

ظهورات «غيتشڤاود» (GIETRZWALD) ٢٠١

«يوستينا» ٢٠٣

«باربارا سامولوڤسكي» (Barbara SAMULOWSKI) ٢٠٦

ظهورات العذراء ٢٠٨

ظهورٌ ثانٍ: يوم الخميس ٢٨ حزيران ٢١٥

الظهور الثالث: يوم الجمعة ٢٩ حزيران ٢١٩

الظهور الرابع : ٣٠ حزيران ٢٢٠

الظهور الخامس: الأحد الأوّل من تمّوز،

ليوستينا وحدها ٢٢٢

الظهور السادس: الإثنين ٢ تمّوز ٢٢٦

الظهور السابع: الثلاثاء ٣ تمّوز ٢٢٨

الظهور الثامن: الأربعاء ٤ تمّوز ٢٢٩

الظهور التاسع: الخميس ٥ تمّوز ٢٣٠

الظهور العاشر: الجمعة ٦ تمّوز ٢٣١

ثلاثة ظهورات: ٧ و٨ و٩ تمّوز ٢٣٣

استمرار الظهورات: بين ١٠ و١٨ تمّوز ٢٣٥

الظهور الرابع والعشرون حتّى الظهور السابع والعشرين:

١٦ حتّى ٢٢ تمّوز ٢٣٧

ظهور ٢٣ تمّوز ٢٤٠

ظهورات ٢٤ تمّوز ٢٤١

الظهور الواحد والثلاثون: **٢٥** تمّوز صباحًا **٢٤٥**

الظهور الثاني والثلاثون: **٢٥** تمّوز ظهرًا **٢٤٦**

٢٥ تمّوز مساءً: الظهور الثالث والثلاثون،
ليوستينا وحدها **٢٤٩**

ثلاثة ظهورات يوم الخميس **٢٦** تمّوز **٢٥١**

ثلاثة ظهورات يوم الجمعة **٢٧** تمّوز **٢٥٣**

يوم السبت **٢٨** تمّوز **٢٥٤**

ثلاثة ظهورات يوم الأحد **٢٩** تمّوز **٢٥٦**

ظهورات يوم الأربعاء الأوّل من آب **٢٥٨**

ظهورات يوم الخميس **٢** آب **٢٥٩**

يوم الجمعة **٣** آب **٢٦٠**

يومي السبت ٤ آب والأحد ٥ آب ٢٦١

يومي الإثنين ٦ آب ٢٦٢

يوم الثلاثاء، ٧ آب ٢٦٣

إغواءٌ شيطانيٌّ يومي الجمعة ١٠ آب
والسبت ١١ آب ٢٦٤

يوم الأحد ١٢ آب ٢٦٧

يوم الإثنين ١٣ آب ٢٦٨

يوم الأربعاء، ١٥ آب ٢٦٩

يوم الخميس، ١٦ آب ٢٧٠

يوم السبت، ١٨ آب ٢٧١

يوم الأحد، ١٩ آب ٢٧٢

يوم الإثنين، ٢٠ آب	٢٧٣
تحقيقٌ كنسيٌّ	٢٧٥
يوم الأربعاء ٢٢ آب	٢٧٧
يوم الجمعة ٢٤ آب	٢٨١
وداع العذراء: السبت ٨ أيلول	٢٨٥
هيجان الجحيم	٢٨٩
الأحد ٩ أيلول: الظهور المئة والسبعون	٢٩٢
كيف تحدث الانخطافات	٢٩٤
مصير الرائيتين	٢٩٧
تمثال سيّدة «غيتشڤاود»	٢٩٨
تبريك المزار: الأحد ١٦ أيلول	٣٠١

١٦ أيلول مساءً: الظهور الخامس والسبعون والأخير ٣٠٣
عجائب ٣٠٥
شهودٌ ٣٢١
نتيجة التحقيق ٣٢٤
موقف الأسقف ٣٢٨
مسيرة الحدث ٣٣٢
عِبَرٌ من ظهورات «غيتشـقـاود» ٣٤٠
الفهرس ٣٤٥

ظهر في هذه السلسلة

١ – ظهورات لورد، ٢٠١١.

٢ – ظهورات فاطمة، ٢٠١١.

٣ – ظهورات الصوفانيّة، ٢٠١١.

٤ – ظهورات مديغوريه، ٢٠١١.

٥ – ظهورات سيّدة لاساليت، وظهورات الإسكوريال، ٢٠١٢.

٦ – ظهورات كيبيهو، وظهورات غوادالوپي، ٢٠١٢.

٧ – ظهورات السيّدة العذراء لكاترين لابوريه، ولألفونس راتسبون، ٢٠١٢.

المطبعة البولسية
جونيه – لبنان
هاتف: ٠٩/٩١٢٥٩٣ – ٠٣/٣٥٧٣٥٣
isppress@inco.com.lb